روعة الكلمة

مهداة الى عبد الله العلايلي معلم الكلمة في كتاب الجيل

✻

في اورشليم ، في الجزيرة الاورشليم ، عند محراب الهيكل ، روعة الكلمة . والعظمة كل العظمة كلمة . **وسقطت** والامة ، كل الامة العظيمة ، كلمة ، عصارة كلمة ، تترنح على الماء والتراب في ضمير الانسان الكلمة

يا لهول الانهيار ... صارت الصلاة العربية هياكل ، ومجامر ، وبخورا يشتعل من بخور ... وكانت الصلاة العربية كلمة . وكانت الكلمة تأملا ، تحنثا ، وكان التحنث ، التأمل ، قوة ، قدس الاقداس ، نورا ينبثق من مستودع الحق ، من عمق العمق ، من ذات الله ، حلما ، وقوة ونورا ...

يا لهول الانحدار ... صارت الكلمة العربية فراغا يملأه الفراغ ، وقوالب تصبها في القوالب القوالب ؛ وكانت كيانا أقوى من سدرة الكيان ... كانت نفسا ارحب من دنيا النفس في مدى التطلع .

كانت لسانا ، هو السيف المنتصر في معركة الخير ، في نضال البطولة . هو الرمح الذي حطم مكة القديمة على اصنام مكة القديمة . هو الحجر الذي بنى الكعبة العتيقة ، البيت العتيق ، في كعبة الايمان على اعمدة الزمن العربي ، الواقف ، المتمرد ، المتحرر . هو الجلجلة في موكب المواكب في الدمع والدم ، من غير دمع ومن غير دم ، على بركة الغفران في بركة المحبة .

ما انتصر محمد بحدّ السيف ... كانت سيوف قريش ، اهل الوثن من قريش ، اضعاف اضعاف سيوف اليتامى ، أهل الله ، من مهاجر يثرب ، وخنادق الطريق الى يثرب .

ضل المؤرخون ... ما كانت العرب امة سيف ، امة فتح ، امة حراب ، امة دموع دماء ، امة سيوف جماجم ، ولكن العظمة في العرب ، اوائل العظمة ، فاتحة الفواتح في كتاب العظمة ، كانت ان محمدا ، قرأ ، الكلمة فتكوّن في الكلمة ، محمد ، اعظم من محمد ، أعمق من الاستيعاب في استيعاب هذا المتأمل ، المتحنّث ، اليتيم ، الشريد ، ابن عبد الله بن عبد المطلب ، محمد .

ثم ان الكلمة عاركت عراكها ، ناضلت نضالها ، ثم تمّ الفتح ... تم النصر وكانت المآذن والقباب في الارض ملاعب الحروف لا ملاعب السيوف . خرجت العرب الى معاركها وعلى سيوفها وصهيلها حكمة الكلمة في حكمة القدر على حكمة القضاء ... ومنذ اصبح العرب ، سيفا حديدا ، وسيوفهم تتكسر على حد السيوف ... والحديد ، ان لم يكن ، في الحديد ، في ذرات الحديد ، ما يصهر ذات الحديد ، في اتون الكلمة ، كان الحديد هذا الاصم الصلب : جلجلة الانكسار في معركة الانتصار .

وتقوم العرب ، اليوم ، امة تكتب ولا تقرأ ، تقرأ **ولا** تكتب ، لا تقرأ ولا تكتب ، ولا تتأمل ولا تتحنّث ، ولا تتطلع الى فوق ، الى الامس النائم ، الى الغد المنتظر ، . . امة لا تنتفض من اكفان الزمن ، من اشباح الخوف ، الى فاتحة الدهر الى قباب البعيد البعيد ... ولا ابعد في البعيد من الحرف ... ولا اعمق في العميق من الكلمة ...

تعقد عقودها ، هذه الامة ، وكأنها في الركاكة ... تصلي صلاتها في الذل ... تسجد وهي تخنع ... تتضرع وهي تستنيخ ... تهان وهي تبكي ... تشرّد وهي تنوح ...

ويوم هاجر محمد لم يبك ، ويوم اهين لم يشك ، ويوم رجم لم يئنّ ، ويوم اضطهد لم يستعط ... قال لاهل مكة نحن قادمون ، مقيمون ، وقال لاهل يثرب نحن ذاهبون عائدون – اللهمّ اعطني من لدنك كلمة القدوم وكلمة الذهاب ... ثم صهر في نضال ذاته فاتحة القدوم وصهر في بطولة نفسه ، سورة الذهاب ، ثم صبّ السيوف القليلة في خواتم القلوب وخواتم الخواطر على اسم القدوم وعلى اسم الذهاب ، ثم التفت الى حراء ، ثم التفت الى مكة ، ثم التفت الى الفوق ، ثم بنى التاريخ ، ركن التاريخ ، على اعمدة القوة في هياكل الكلمة .

ويا ابا العلاء .. ايه ابا العلاء ، ها هي الكتيبة الخرساء ترتجي من فوهة الزمن الامام الناطق . صدق الظن لا امام سوى الكلمة ... هي الخبز للذين ليس عندهم لجوعهم خبز ، وهي الماء للذين ليس عندهم لعطشهم ماء ، هي الضوء للذين ليس عندهم لليلهم ضوء ، هي الارض للذين طردتهم الاحذية من ارضهم هي الغلبة للذين يفتشون عن طريق الغلبة .

على هذه الامة ان تقرأ ، وان تتجسد في ما تقرأ . وان تكتب وان تنصهر في ما تكتب ، سقطت في الامة العربية مقاييس الكلمة ، تقلقلت اركان التعبير ، تضعضعت البنود والمواعيد والمواثيق . فلنعد الى اوائل الحرف ، الى فاتحة الكلمة ، الى الكلمة ، الى معنى الكلمة في معنى البطولة ، كان محمد مجدا لانه كان ، لانه لم يكن ، لا يقدر ان يكون ، الا كلمة ...

ويا ابا العلاء ، لم يعد النطق في الكتيبة علم الامامة ، ليتك ترى كيف تزحف الركاكة العمياء الخرساء في بيوتنا على جباهنا زحفا ، لم يعد لنا افواه تملك النطق ، وآذان تملك الكلمة ، وعيون تنظر الزمن .

الياس خليل زخريا

مشكلة الموت في الفكر الاسلامي

بقلم الدكتور احسان عباس

✳

يشير الادب الجاهلي الى ان عرب الجاهلية كانوا قد اتخذوا نحو الموت نظرة رواقية تقوم على الصبر والرضى والتضحية دون تأفف ، وان مقياس القوة كان قد وضح لهم الفرق الواسع بين الانسان والدهر . ولما كانوا يعتقدون ان القوة هي الحكم الاوحد في كل صراع ، سهل عليهم ان يتقبلوا ضعف الانسان والحيوان ازاء الدهر ، فذهبوا يتعزون عن الفناء بمصير الحيوان القوي ، كالاسد والثور وحمار الوحش .

وهذا الموقف من الموت يفسر لنا حقيقتين من حياة الجاهلية : اما الحقيقة الاولى فهي تجمع القوى التي ترمز لها الآلهة المتعددة في قوة واحدة قادرة على الافناء سموها الدهر . فعرفهم الاسلام مبلغ العجز في هذه القوة لانها لا تستطيع الاحياء ابتداء ، ولا الاحياء بعد الافناء . واما الحقيقة الثانية فهي ان فلسفة الموت عند الجاهليين تدل على مدى رقيهم الفكري والنفسي ومفارقتهم للبدائية . وهو رقي فكري ونفسي طرح قوة الخيال الواهم والتزم حدود المادة ، وعاش مقيدا بجفاف النظرة المحدودة وسجنها الضيق . وربما كان ذلك الرقي وليد المنطق الطبيعي للعلاقة القائمة بين الانسان والارض ـ ذلك المنطق الذي يرمز اليه قول امرىء القيس :

الى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

وربما كان وليد العاطفة البحتة التي ترى في الحياة الدنيوية جنة يعقبها العدم المطلق . ومهما تكن الطريق التي اوصلت الجاهليين الى ذلك الرقي ، ، فلا شك انهم في تلك المنزلة العقلية والنفسية ابتعدوا كثيرا عن النظرة البدائية حين رأوا ان الموت حقيقة كبرى . اما في نظر البدائي فالموت حقيقة عارضة تحتاج الى برهان . والبدائي ينكر احتمال الموت ولا يدور في خلده ان الانسان حيوان قابل للموت بطبيعة تركيبه . ولو رجعنا الى اقدم الوثائق من تاريخ مصر لوجدنا انكارا تاما للموت حتى ان لفظة « الموت » لا ترد في نصوص الاهرام الا سلبا او حين تطلق على عدو، لان المصري أبى منذ البداية ان يؤمن بانه يموت . أما الجاهلي فقد ابتعد كثيرا عن هذا التفكير واستغنى عن اسطورة تنشر له استمرار الحياة بعد الموت ، وكان قد سعى ـ كأخيه البابلي ـ الى نيل الخلود على هذه الارض ، فلما أثبتت له اسطورة « لقمان والنسور » ان لا خلود ، اكتفى باليأس واستسلم للامر الواقع وربى في مثله العليا مبادىء الصبر والشجاعة والتضحية حتى أصبح لا يحسب حسابا كثيرا لما وراء الفناء. ونكاد نلمح انه بقوة هذه المبادىء لم يعد يهتم كثيرا بالقوى غير المنظورة ـ باستثناء الدهر ـ فالغول تعجز عن ان تقتل تأبط شرا ، في الاسطورة ، والجن تستطير عمرا ابن اخت جذيمة ولكنها لا تقتله . وليس معنى هذا ان الجاهلي لم يعد يخاف الغيلان والجن والقوى الشريرة وانما اخذ يقيس كل قوة خفية بالدهر فيجدها أضعف منه.

ومن ثم كانت فلسفة الشعر الجاهلي ، أعني أعمق ما يشخص النفسية الجاهلية ، هي الصراع بين الانسان والدهر ، وما يبديه الانسان من شجاعة في تلك الخصومة، وهو على يقين بما ينتظره من مصير . ان ايمان الانسان بأن الهزيمة قد كتبت عليه لم يحرمه الشعور بالقوة ـ القوة على الحياة ـ وفي ظلها نظم الشعراء الجاهليون اروع اشعارهم في اللذة وحب الحياة وحب الطبيعة ومزجوها بأسى عميق على « الكنز » الذي ينقص من ايديهم كل ليلة [ارى العيش كنزا ناقصا كل ليلة . . .]

وكانت أشد اشعارهم اسى حين يحسون ان « القوة على الحياة » لم تعد من نصيبهم وان الهرم قد اغتال تلك القوة ليسلم اصحابها الى الفناء . ولم يقصر الجاهليون تعزيهم على موت الحيوان القوي ، بل ازدادوا ايمانا بقوة الموت حين نظروا الى فناء الانسان القوي ايضا ، مثل :

اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

وكانت القوة لديهم مرادفة للفضل ، فلما اسلموا اصبحوا يتعزون بموت الانسان الفاضل ـ لا القوي ـ .

وهناك شيء واحد يتصل بالبدائية المحضة في عقيدة الموت عند الجاهليين وذلك هو شعائر النوح العنيفة القاسية التي كانوا يؤدونها للميت . ولا شك في ان هذه الشعائر ـ وان احتفظت بطابعها البدائي ـ فانها كانت تمثل معاني

جديدة راقية ، في نفوسهم - تمثل موقف الوداع للقوة او الرجولة التي لن تعود ، وتصور قيمة الاستحقاق :

اذا مت فانعيني بما انا اهله

اما الذي يموت دون ان تعلن حقيقة موته بمثل هذه الشعائر فهو انسان مغمور ، ليس له خالات وعمات يذرين عليه الدموع . ولذلك لم يفهم الجاهلي لم يحرم الاسلام هذه الشعائر فهما عميقا ، وبقي العرب يمارسونها في كل عصر مغالين او مقتصدين لانهم ظلوا ، في انفسهم يعترفون بمقياس القوة داخلا متلبسا بمقياس الفضل كما ظل الشعراء - في العهود الاسلامية - يقرنون صراع الانسان بفكرة «الدهر» .

★★★

فلما غرس الاسلام في نفوس العرب فكرة الحياة بعد الموت ، انتقل الخوف الحقيقي من الموت نفسه الى خوف مما بعده ، وعلى مر الزمن ، مال الاتقياء الى جانب الخوف اكثر من ميلهم الى جانب الرجاء ، وكان الزهاد في العصر الاموي وما بعده يسمون خوفهم هذا خوفا من الموت نفسه او خوفا من النار ، دون ان يفرقوا بينهما . واتصل ذلك الخوف في حياتهم بالحزن الدائم والبكاء الكثير ، وكان بعضهم اذا شيع جنازة احتجب في بيته اياما ، وكان الحسن البصري يقول : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا ؛ وعمل هؤلاء الزهاد على تخويف الناس من الموت وتنفيرهم من امور النواح ؛ ومن الامور التي تلفت النظر تشددهم في هذه الناحية ، وكثرة الحاحهم عليها . وقد مشى الزهد الاسلامي على مبدأ التخويف الى النهاية ، وكان اصحابه يعتقدون ان خير طريقة لبناء الخلق القويم مداومة التذكر للموت وزيارة المقابر فان فيها تذكرة للغافل وعبرة للمتامل . ومن الغريب ان تكون المقابر في العصر الاموي مكانا لاستثارة الخوف من الموت مع ان الباب كان مفتوحا على مصراعيه لمن شاء ان يواجه الموت عيانا في سبيل الدين . غير ان النفس الانسانية تركن الى التفلسف حول الموت اكثر من ركونها الى الموت نفسه ، وتلك الفلسفة دينية كانت او شعورية او عقلية لا تعدو ان تكون نوعا من التعزية للنفس . وانك لتجد عمر ابن حطان شاعر الزهد الاول في العصر الاموي كثير الذكر للموت ، وهو يدين بالقعود عن القتال ، وتسمعه يتمنى ان يلحق بمرداس، امام الخوارج ، ثم يفر هاربا من وجه السلطان حذر السيف . ومع ذلك فالحقيقة التي لا نرتاب فيها هي ان عمرانا كان عميق الخوف من الموت ، ومن هذا الخوف العميق اهتدى الى حقيقة ادهش باهتدائه اليها معاصريه ، على بساطتها ، - اهتدى الى ان الموت نفسه سيموت :

وكل شيء امام الموت متضع والموت فان اذا ما ناله الاجل

والى مثل هذه الحقيقة تنبه الشاعر الانجليزي دن في قصيدة له عن الموت ختمها بقوله « ايها الموت انك ميت لا محالة » . غير ان اللفتة التي أثارها عمران لم تترك اثرا عميقا في النفوس الا حين تجسدت في ثوب اسطورة واخذ القصاص يحكون ان الموت يبعث يوم القيامة في صورة حيوان ، ثم يأمر الله به فيموت .

ان الايمان بموت الموت نفسه كان ملاذا جميلا لنفس عمران ، ولكن غيره من الناس كانوا يتغلبون على المشكلة في نفوسهم بانواع اخرى من الاطمئنان . فنسمع من بعضهم انه « يحب الموت » ، وهذا نادر واكثر ما يرد على السنة الزهاد . ونرى آخرين يطمئنون الى الرجاء في رحمة الله . وفريقا ثالثا يطلب الموت طلبا حثيثا ، يكاد يصور لنا ان الموت لم يعد مشكلة في حياتهم . وبعضهم كان يطمئن الاطمئنان البدوي القديم الى ان هذه هي سنة الوجود التي جرت على الآباء والاجداد :

اعاذل قد فكرت في الدهر ما كفى ونظرت في اعقاب حق وباطل
فايقن قلبي انني تابع ابي وغائلتي غول القرون الاوائل

وقد ظل التيار الزهدي يلون الفكر الاسلامي في نظرته الى الموت على مر العصور ، حتى اذا وصلنا الى الغزالي وجدنا الافكار الزهدية حول الموت قد تمحصت وتبلورت . فذكر الموت والخوف منه لا يزالان هما العامل الضروري في التربية النفسية ، دون ان يطمح الانسان لمعرفة حقيقة الموت ، فهذا شيء لا يتاتى الا بمعرفة حقيقة الروح، ولم يؤذن للرسول ان يتكلم فيها . ومما يلفت النظر في حديث الغزالي عن الموت تسميته له بانه « زمانة مطلقة » في الاعضاء كلها ، واقراره ان للموت الما ، وان الالم يصيب نفس الروح ، وهذا راي شذ فيه الغزالي عن الراي الفلسفي العام ، كما سنرى بعد قليل . ويقول الغزالي : ا ن الموت سلب للانسان مما كان يملك فاذا لم يكن يملك في الدنيا كثيرا هان عليه فراقها ، ومن هذا الراي ينفذ الغزالي الى القول بضرورة الزهد . ويرى الغزالي ايضا ان الموت يكشف للانسان ما لم يكن مكشوفا له في الحياة ؛ ومن الحقائق الكبرى التي تمثلت في التيار الزهدي ذلك الترحيب بموت الفجاة حتى لقد اورد الزهاد فيه الحديث « موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على الفاجر » . وهذا يذكر بتلك النتيجة التي استقراها ثيودور سبنسر في كتابه « الموت والتراجيديا في عهد اليصابات » فقد توصل هذا المؤلف الى ان المرء في العصور الوسطى كان يخاف موت الفجاة لانه يعجله عن التوبة ، بينا اخذ بعض الروائيين في عصر النهضة يتجه الى تفضيل الموت السريع المفاجيء . والفرق واضح بين النظرة الاسلامية والمسيحية ، اذا تذكرنا ان التوبة عند المسلم غير مقترنة بشعائر معينة . وليس بغريب ان يتجه الزهد الاسلامي الى تمجيد موت الفجا ليدل على ان الزاهد مستعد لتلقي الموت في كل حين ، لانه دائم التفكير فيه والتردد له .

ولم يتفق كل المتصوفة مع الغزالي في ضرورة الخوف من الموت ، بل نجد ابن عربي مثلا يرى ان عدم الخوف من الموت امر واجب ، لان الموت تفريق لا اعدام فهو لا يصيب منا الا صورنا المحسوسة ـ اي الاجسام ـ فان فنيت الاجسام بقينا في صورنا العقلية . وعلى هذا الاساس يرى ابن عربي ان الخالق يسوي للانسان مركبا (جسما) من جنس دار البقاء ، لا يمكن ان يصيب اجزاءه تفريق . ولما تغلب ابن عربي عقليا على فكرة الخوف من الموت تغلب ايضا على الخوف من العذاب حين استنتج ان نار جهنم ستنطفىء ويكون نعيم اهلها مماثلا لما وجده ابراهيم حين القي في النـــار .

★★★

ولقد جرت الفلسفة الاسلامية العقلية على نقيض نظرة الزهاد في ضرورة الخوف من الموت ، فعالج الفلاسفة الاسلاميون هذه المشكلة في حديثهم عن فلسفة الاخلاق عامة ، محاولين ان يصفوا الدواء الصحيح للتغلب على الخوف من الموت ومعنى ذلك ان الفكر الاسلامي عامة وقف من المشكلة موقفين مختلفين : موقف الزهاد الذين يرون الخوف من الموت اساسا في التربية الخلقية ، وموقف الفلاسفة الذين يرون التغلب على ذلك الخوف وسيلة لتهذيب الاخلاق . ولا بد ان نذكر ان علاج الخوف من الموت تابع دائما للاصول الفلسفية عند كل فيلسوف على حدة . فالرازي الطبيب يعتمد فكرة اللذة والالم مقياسا للمفاضلة بين الحياة والموت . وتعريف اللذة عنده انها عدم الالم ، ولذلك توصل الى القول بان الموت اصلح للانسان من الحياة ، لان حالة الموت خالية من الالم ، وما كان خاليا من الالم اصلح مما احتوى الما ولذة معا . وهذا البرهان النظري ينسجم مع عقيدة من لا يؤمن بحياة اخرى بعد الموت ، فاذا كانت هناك حياة ثانية فلا مجال لاستشعار اي خوف من الموت ، اذا كان الانسان خيرا فاضلا ناهضا بما فرضته عليه الشريعة . وتبقى بعد ذلك حالة واحدة هي حالة من يؤمن بحياة ثانية ولكنه شاك ، ومثل هذا ـ في راي الرازي ـ معرض للرحمة لان « الله اولى بالصفح عنه والغفران له » . وهذه الآراء هدف لكثير من الاعتراضات وفي اول ما يعترض عليه تعريف اللذة بانها انعدام الالم . ومن اقوى الاعتراضات : كيف عرف الرازي ان حال الموت ليس فيها الم ؟ واجاب هو على ذلك بقوله : ان هذه المعاني متوهمة متصورة . وقد اخذ كل من مسكويه وابن حزم بهذا الراي فقررا ان الموت لا الم فيه ، وحاولا اثباته بالبرهان . ومن الامور التي يعترض عليها في كلام الرازي وضعه الشاك في نطاق الرحمة ، فهو امر لا يثبت للمحاكمة المنطقية . ومن الغريب ان الرازي الذي كان يؤمن بتناسخ الارواح لم يستغل اعتقاده هذا في تفسير مشكلة الموت ، والتغلب على الخوف منه .

ولاخوان الصفا رسالة في ماهية الحياة والموت قامت على فكرة واحدة هي « ان موت الجسد ولادة للنفس » ؛ وقد سلم اخوان الصفا بان الاحياء جميعا يكرهون الموت ويحبون الحياة ولكنهم رأوا في الموت حكمة رفيعة لانه الضمان الوحيد لعودة النفس الى ربها ، بل قالوا انه منة من الله لانه « سبب لحياة الابد » . واتخذوا في هذه الرسالة جانب التصوير والتمثيل : فحينا مثلوا الجسد بالسفينة والنفس بالملاح والاعمال الصالحة بالبضاعة وحينا آخر شبهوا الدنيا بالميدان والاجساد بالخيل والنفوس السابقة الى الخيرات بالفرسان ، وكانت نظرتهم الى الموت مزيجا من الدين والشعر والفلسفة القديمة .

وفي القرن الرابع الهجري اتسع مجال المشكلة فشغلت حيزا كبيرا في الحياة الفكرية عند المسلمين اذ تصدى لها المشتغلون بالفلسفة والاخلاقيون كما تعمقها الشعراء وداروا حولها . وفي المقابسة الثامنة من كتاب « المقابسات » للتوحيدي حديث عن ان الاسباب التي هي مادة الحياة في وزن الاسباب التي هي علة الموت ، ولكن اضطراب هذه المقابسة يجعل الاهتداء الى حقيقة الراي فيها امرا عسيرا ، اما في المقابسة الثامنة والخمسين فيقول ابو سليمان المنطقي « نحن نساق بالطبيعة الى الموت ، ونساق بالعقل الى الحياة » ومن هنا يتحتم على الانسان ان يوفق بين هاتين القوتين فيخضع للضرورة مستسلما راضيا بحكم الهيولى ويحترم بالثانية اي العقل .

ومن اغرب الامور التي تمخضت عنها الحياة الفكرية في ذلك القرن موقف مسكويه ، ففي الهوامل والشوامل نجده يعالج مشكلة الخوف من الموت بغير الذي ارتآه لمعالجتها في كتابه « تهذيب الاخلاق » ـ في الاول يرى الموت نسبيا ويذم العدم ويصفه بالخسة ، ويقرر ان النفور منه واجب ، والموت عدم فالنفور منه ضروري مستلزم . ثم يستدرك على هذا بأن الموت قد يفضي الى حال سرمدية وعندئذ يكون كالدواء المر ، اي انه مفيد ولكنه كريه ، ثم يقول ان تقبل الانسان للموت يعتمد على استعداده وعمله ، فان كان مستعدا كالهنود الحمر والخوارج لم يجزع منه . على ان لمسكويه عهدا يشبه ان يكون منهجا لحياته وسلوكه، وفي هذا العهد نجده قد نذر « ان يترك الخوف من الموت والفقر بعمل ما ينبغي » . وما قاله في هذا العهد هو المحور الذي تدور حوله نظرية في كتاب تهذيب الاخلاق . ففي هذا الكتاب صرح ـ دون تردد ـ بان الخوف من الموت داء لا بد من علاجه ، وحصر اسبابه فيما يلي :

(١) جهل الناس بحقيقة الموت ، بينما الموت ـ كما رآه اخوان الصفا ـ ولادة للنفس التي تطلب السعادة التامة .

(٢) جهلهم اين تصير النفوس بعد الموت ، وهذا خوف من الجهل لا خوف من الموت ، وبزوال الجهل يزول ، ولا سبيل الى ذلك الا بطلب الحكمة ، فيها يتوصل الانسان

الى ادراك حده « الانسان حي ناطق ميت » ــ وتمام الحد بكلمة ميت يجعل الانسان العاقل يطلب كل ما يتممه ، اي يطلب الموت .

(٣) ظن بعض الناس ان في الموت الما ولكن الالم لا يكون الا للحي والحياة لا تكون الا بوجود النفس فاذا فارقت الجسد فلا الم (هذا هو البرهان الذي اورده ابن حزم ايضا يثبت ان الموت لا الم له) .

(٤) خوف العقاب ، وهذا ليس خوفا من الموت ، وفي هذا الموطن نرى كيف ميز مسكويه بين نوعين من الخوف ، خلط بينهما الزهاد من قبل . ويرى مسكويه ان من خاف عقوبة ، وجب عليه ان يحترس من الذنوب ، ولا دواء هنا الا طلب الحكمة .

(٥) الحزن على ما يخلف في الدنيا من ملذات واهل وولد ، وليعلم من يحزن على ما يخلفه ا نالانسان كائن ، والكائن فاسد ، فاذا احب ان لا يفسد ، وقع في تناقض .

واذا توقفنا قليلا للمقارنة بين موقف مسكويه اولا وموقفه اخيرا من مشكلة الموت ، فانا نجده قد خضع للتطور في نظرته الفلسفية .

★★★

ولقد توصل مسكويه الى نقض الحزن على ما تخلف في الدنيا حين قال : « ولو لم يمت اسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقى من تقدمنا ولو بقي من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض » . وهذه العبارة ــ بكامل نصها ــ توصلنا الى المتنبي الذي كأنما ترجمها شعرا بقوله :

سبقنا الى الدنيا فلو عاش اهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي تملك سالب ... وفارقها الماضي فراق سليب
ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا بقاء شعوب

وقد تأثر المتنبي في نظرته الى مشكلة الموت بالنظريات الفلسفية المختلفة ، وحاول بعضهم ان يستنتج ميله الى التناسخ من قوله :

تمتع من سهاد او رقاد ... ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى ... سوى معنى انتباهك والمنام

وهذا افتراض محض لان ثالث الحالين ــ وهو الموت ــ ذو معنى لم يكشف عنه المتنبي ، ولا ريب ان المتنبي بما اوتي من بصيرة شعرية كان من ادق من تناولوا مشكلة الموت ، ومن اطرف آرائه فيه انه شيء ضروري ، لا لانه ولادة للنفس كما راى اخوان الصفا ، وانما لانه هو مقياس الفضائل في الحياة ، فلولاه ما كانت هناك قيمة للشجاعة والكرم والنجدة والعفة .

والكلام عن المتنبي يؤدي دائما للتحدث عن المعري ، فقد تأثر ابو العلاء خطى المتنبي في بعض فلسفته المتعلقة بمشكلة الموت . فجعل الموت مقياسا للفضائل في قوله :

ان المنايا ارتنا حجة شرحت ... فضل العطايا لبخال واجواد

والفرق بين الشاعرين ان المتنبي اميل الى التأثر بمسكويه بينما مال ابو العلاء الى وجهة اخوان الصفا . وبتجه مسكويه بفلسفته الاخلاقية اتجاها اجتماعيا ، اما اخوان الصفا فنظرتهم الاخلاقية قائمة على الزهد . وهي النظرة التي تضم فلسفة ابي العلاء في الموت ، وليس قوله :

خلق الناس للبقاء فضلت ... امة يحسبونهم للنفاد

الا ترجمة شعرية لعبارة مماثلة وردت في رسائل اخوان الصفا وقد اخذ ابو العلاء بالنظرة الزهدية التي ترى الموت أكبر دليل على عجز الانسان ، وضعفه ، وانه يجب ان يطأمن من خيلائه ويعرف قدر نفسه ، كما اخذ من الموت عبرة دلته على تفاهة القيم في الحياة وضرورة الزهد فيها . والحق ان نظرة ابي العلاء للموت تجمع مؤثرات من نواحي متعددة : ففيها نلمح الجمع بين الموت والخطيئة كما في النظرة المسيحية وذلك في قوله :

دع آدما لا شفاه الله من هبل ... يبكي على نجله المقتول هابيلا
ففي عقاب الذي ابداه من خطأ ... ظلنا نمارس من سقم عقابيلا

وفيها نظرة اخوان الصفا الى ان الموت ولادة تخلص الانسان من اسر الجسد ، ومن ذلك قوله :

متى الق من بعد المنية اسرتي ... اخبرهم اني خلصت من الاسر

ونجد في فلسفته ايضا لمحات من اثر الرازي :

ولا الوم اخا الالحاد بل رجلا ... يخشى السعير وما ينفك في سعر

وفي شعره ترجمة للحديث « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما اكلتم منها سمينا » وذلك قوله :

هل تعلم الطير الفوادي علمنا ... ام لا يصح لمثلها افكار
لو انها شعرت بما هو كائن ... لم تتخذ لفراخها الاوكار

وقد عبر عن ان الموت راحة للجسم ، ورجعة للروح في قوله :

وروح الفتى اشبهت طائرا ... اطير فما عاد لما نفر
هنيئا لجسمي اذا ما استقر ... وصار لعنصره في العفر
ولست أبالي اذا ما بليت ... من وطء القبر او من حفر

وهو يمزج بين المثل الاعلى الجاهلي والمثل الاعلى الاسلامي ، فيتعزى بموت الحيوان القوي ، ويدرك حقيقة الموت في فناء الرجل الصالح ، وهو ايضا كالزهاد ، يتصور الموت مفاجئا ، ولكنه لا يرحب كثيرا به .

هذه هي الخطوط العامة للمشكلة ، لا من حيث رجعها في الادب وصداها في نفسية الجماعات ، بل من حيث هي مشكلة ذات مقام محدود في تاريخ الفكر الاسلامي .

احسان عباس
كلية الخرطوم الجامعية

مصادر البحث : (فيما عدا الدواوين الشعرية) :
١ ــ رسائل فلسفية لابي بكر محمد بن زكريا الرازي .
٢ ــ احياء علوم الدين للغزالي ــ ٣ ــ نصوص الحكم لابن عربي
٤ ــ رسالة في هل الموت الم ام لا ــ لابن حزم الاندلسي
٥ ــ الهوامل والشوامل للتوحيدي ومسكويه ــ ٦ ــ المقابسات للتوحيدي ــ ٧ ــ رسائل اخوان الصفا ــ ٨ ــ تهذيب الاخلاق لمسكويه .

ما حل هنا

ما حلّ هنا
في حفرة الدجى
في حلقة القمر ؟
مرّ غراب
سوّد السما لنا
صفّر زرعنا
راح يحبو على القدم
رحنا نسأل وهج العدم
من حيطاننا حملنا اللوح
من كوّات أكواخنا
قسمنا أن لا ننوح
لصقت هناك وجوهنا
لا تميل ولا تذوب
سمّرنا في الاعتاب أقدامنـا
انطلقنـا الى المنحنى
عرج في دربنـا
مع الضباب تجعّدت حقولنـا
نعود الى حيطاننـا
نحملهـا ستائر

نصد الشمس عنا
نؤوب دون ضمائر
نعد الايـام
لا نغيب
قسمنـا ان لا ننوح
عدنـا ننوح
قسمنا أن نحول الدمع الى صخور
عدنا نذيب الصخور
قسمنا أن نقتل الأفاعي
عادت في صدورنا تسوح
قسمنا أن نجفف الدموع
عدنا نفتح للغيوم العيون

لم نخلق معا
أرواحنا اعداء الزمن

ما حلّ هنا ؟
لم ندور ؟

ثريا ملحس



يكتبها
الياس خليل زخريا

*

بنى الدوري عشه في زاوية القرميد الاحمر
•• ريشة مع الشمس •• وريشة مع القمر••

ومنقار رصاصي ، مع الجفن والعين ، في مواسم
الخصب ، على بيادر الزمن •

ينقر النقرة من هنا ، والنقرة من هنا ، •••
ويرتق ويطير في دارة البيت على تآلف
النظر ومقاعد اهل الحي

كأنه واحد من اهل الحي ، من اهل الدار ،
من سكان العلية العالية

له جناح ، وقلب ، ومنقاد ، وله برثن يخدش
به ما بين المزاريب ، وتفاريج الحجر ، ومكاحل النوافذ

وللدوري ••• كان للدوري ، في خلايا عشه ، كوز
فيه ماء ، ووعاء فيه بُر
وشيء من الخبز اليابس ،
وشيء من الثمر ••• حبة عنب ، وحبة تين ،
وصمغ لوز اخضر ،
وغصن من الروند تعلق بأعشاب العش
في شدة الجناح

بنى الدوري عشه وكأنه من ورق البنفسج
على ورق الورد
••• فيا لنعمى الشم ••• ويا لهناء النظر •••

تمهلت، في البناء ، خيوط الامل، واوراق الرضى، واصابع
الزمن القانع في خمائل الزمن المخصب ، •••
وبوح دائم ، هو النفحة ، البقية الباقية ، من مهامس
الشفاه في مواعيد الجنة القديمة

••• ارتواء عميق كانه العطش •••
••• وعطش ، عميق ، اعمق من الارتواء ، •••
••• ، من الشبع •••
من جوع الشبع ، وشبع الجوع •
وقناعة تكاد في رحب الطمأنينة تفتح الامل في
الشيء ، في قلب كل شيء ، في ضلع الحجر
في مضلع الخشب اليابس على الطين المتيبس
خبر قادم على الضوء من وراء السراب المتقشع •••
من هناك ، من حيث ترود الاجنحة في صحارى
لا ينتهي فيها التبصر ، خاطرة التبصر
على خاطرة الجناح •

* *

هذا الدوري لا يرتوي ولا يعطش ، لا يجوع
ولا يشبع • عنده في وديعة البيت ، في ايوان
الدنيا، مع الياسمين والبخور، وادوات العمر وشجرة التفاح
المزهرة ، واللوزة المزهرة ،
••• حبتان ••• غرستان •••

يا لهما حبتين غرستين ، هاتان الحبتان الغرستان •

حبة ... سكب اللؤلؤ
على الثلج ، والنار ، في قارورة المرمر الاخضر
حبة ... مد الفيء
على الفيء والندى في مسارب الصباح المبكر

... واحدة
ما اشتمها الورد الا نضب ، فيها ، لونه
ونفد ، فيها ، طيبه
وهي ريًّا في اللون ، طفحى في الطيب ،
تقدس الخصب في ذاتها ، وتمحَّى على الخدين الموردين
لون الحياء على لون الحياة .

فيها بشرى الحياء ، الاحمر ، في الخدّ
الملفح ، الملون ، الاحمر .

... وواحـدة
عطاؤها كاه عطاء ... ضوء نائم على ضوء
ونفح متمهّل كأنه نفح الخميرة الطريئة المقدسة
في معاجن الصلاة

* * *

صلت « كاتيا » ليطول ، في صفاء الدعاء
عمر اخيها « منال »
وصلت « امها » ليطول في منتهى الامل عمر البيت ،
... زهو الشمس على قرميد البيت الاحمر ...

وصلى ، وبكى « منال » ليمتص ، فيشبع ، فيغرق في
ملتف النوم الهادىء
وصلى الدوري ليسلم له الشبّاك العالي واعمدة الدار...

... وجناح في المحبة حوّل التعبَ الى نعمة ...
وكوزَ الماء الى ينبوع مصبَّ
وحبات القمح الى مواسم غلال
وعنقود العنب ، سلّةَ الثمار ، الى كروم تكاد تنتشي
من ورق دواليها حجارة المعابر ، وأجران المعاصر

... أصبحت ارض البيت منازل تأمل ...

العتبة تتأمل في السرير الصغير المتمايل
بين دفعات « كاتيا » بين شدات راحتيها
خيطَ ضوء يرفُّ ، بصعوبة ، على خيط ضوء آخر .

النافذة الخضراء تتأمل في حجارة الغرفة تعدُّها
مع نسمات الجنوب ونسمات الشمال حجرا حجرا .

والكرسي الخشبي الجديد يتأمل في الشوق ولهفة البرد
المدفأة الحمراء الصامتة .

وكوز الماء يتأمل وعاء البُر .
ورغيف الخبز الاسمر الرقاق يتأمل حبات العنب
وحبات الزيتون المسبح .

ومرآة الحائط تتأمل بعيداً في مرآة الديوان .

وكتاب الصلاة يتأمل ، في صليب الناصري ، فوق السرير
كأنه يد البركة تطرد شبح الضيق ،

وتطرد الذبابة السوداء التي أخاف طنينها ، على
لوح الزجاج الشرقي ، ابنته الصغيرة

* * * *

.... صار عنده بيت ....

وكان الدوري يعيش في زوايا البيوت ، وفي سراديب
الحي المقفر ، وفي خرائب المنازل الموحلة ....

وفي بيته منتهى أمل كأنه منال الرضى
في محطات العمر .

وفي بيته ، في ملء بيته ، ابنة سمّاها « كاتيا »
تيمناً بأمٍّ له سرت السُرى في
تراب الارض الاخضر

وتيمناً بأمٍّ له ، أخرى ، سافرت السفر في حروف
القلب مع عملاق

الشمال الاحمر ، حبيب الارض وحبيب المحبة
وفي بيته ، في طفح بيته ، صبيٌّ سمّاه « منال » ...

... قطوف من اسم امه ، وقطوف من اسم أبيه ...

ومنال في الشهرين عينه من عين أبيه

وفمه من فمها الرضي ومناغاته ، باكورة مناغاته
فرح البيت ، وبشرى الارض ومفاتيح الادراج المقفلة
وفي بيته ، في عشه العالي ، درج
خفي خبأ فيه الزمن ٠

لن يخرج الزمن من درجه الخفي المقفل ٠

نائم في فيالج النفس على نسج
الأمل وفراشات الضمير ٠

كان يعيش في الطريق ، من باب الى باب
٠٠٠٠ من تحت شرفة الى تحت شرفة ٠٠٠٠
كان يعيش في الليل والنهار من كأس الى
بقايا كأس ، ومن لقمة خبز ، وحبة عنب ، الى
لقمة دم وحبة دم عطشان جائع ٠٠٠

كان يعيش في الرصيف ، في الارصفة ،
في مفارق الارصفة ،
عندحديقة النهم، ومقبرة السرو، وبوابات الحديد الاسود،
وقليل من البنفسج ، وقليل قليل من الورد ٠

كان يشرب لينتهي النهار ، ويشرب لينتهي الليل
٠٠٠٠ وينام ، على العطش ، الليل والنهار ٠٠٠٠

وكان يضرب الليل ، ويضرب النهار ، على الوحل والطين،
بحذائه الثقيل المتعب

اشترى امس من ثلج الجبل لابنته حذاء
جديدا ابيض وعقدة حمراء خضراء ورداء موشحا ملونا
وخاتما ذهبا

واشترى لابنته صليبا ، ومعطفا ، نفض عنه الغبار، وهم
الغبار ، بأجفان العين وشفاه المحبة ٠

لم يبق عنده في مجاري عمره سراج مطفأ
أشعل في موقدة البيت حتى ثياب الليل الاسود

يمرغ أنفه كل يوم في قارورة الطيب في
خابية الخمر ، في ورق الآس ، في ورق الحبق ٠
يمرغ كل يوم في عناقيد الوفاء على كتاب
الصلاة الدائم أنفه ، جبهته العالية

لم يكن مؤمنا ولكن بساطة الايمان في قوة
المؤمنين فتحت له ، كأنما فتحت له ، ما
وراء النفس ، في حدود العمر ، الممر الجديد

يقرأ في كتاب الصلاة ولا يضجر

يتحدث الى الناصري ، الى صليب الناصري ، ولا يتعب
يقبل صورة الطفل على يدي امه
ولا يغمض عينه

يختم نهاره ، بكلمة ، وقبلة ، ودعاء ٠٠٠

ويباشر نهاره ، بكلمة ، وقبلة ، ودعاء ٠٠٠
ترحب به مفاتيح الباب
وتودعه قضبان النوافذ

عطش الدوري أجنحته ، الواح قلبه ، في بركة النار ٠
احترقت في صفاء النار أخشاب الضجر

تماسك القرميد في الرياح باعمدة السماء
٠٠٠ ريشة مع الشمس ٠٠٠ ريشة مع القمر
وحبة ايمان مغروسة في شرفة التأمل

أعطني يدك نلف البيت بصدورنا لفا ٠
كل حجر فيه ، حكاية طيب ، في حكاية الزمن
نامت عندنا الشمس
اختنا الشمس
تحت القرميد
في عتبة البـــاب

الياس خليل زخريا

صفحة من صفحات بيروت المطوية

بقلم محمد جميل بيهم

✶

في الناس ميل لاستجلاء الغوامض ، والتنقيب عن الحقائق ، ولا سيما ما كان منها ذا صلة بهم . وفي جملة ما تتطلع نفس الانسان الى معرفته، وتتوق لكشف اسراره هي مصادر اسماء اعلامهم ومدنهم واحيائهم .

فقد كنت كلما تطرقت للبحث مرة في مصدر اسم بيروت ، اشعر بميل خاص للعلم باسباب تسمية بمعنى محلاتها بالاسماء الغامضة التي تتداولها ، فاود لو ان الباحثين توسعوا في هذه الدراسات لاستيلاء جزء من تاريخنا فتراءى لي أن ادرس هذا الموضوع لتحقيق هذه الامنية ، ونشطني اليه ما في دراسة تاريخ الموطن ، واخبار الجدود من لذة وحبور .

على ان في اسماء بعض احياء بيروت ما لا يحتاج لتفسير ، كزقاق البلاط ، ومار نقولا ، وراس بيروت ، بينما في بعضها غموض وابهام كالسمطية ، وفي بعضها وضوح بالمعنى ، ولكنه يحتاج الى اظهار الاسباب التي حملت الاجداد على اطلاق هذه الاسماء كالمصيطبة والبسطة والمريسة .

واول ما يلاحظه الباحث في هذا الموضوع حدوث تحريف في اسماء عدة من تلك المحلات حتى بات هذا التحريف يحول دون الوصول الى معرفة أصلها . مثلا ان المحلة التي يطلق عليها الآن اسم السمطية ، حيث لا تزال توجد المقبرة القديمة المعروفة بهذا الاسم ، كانت معروفة في القرن الرابع عشر للميلاد بالصنبطية . وقد جاء ذكرها على هذا لوجه في تاريخ بيروت لصالح بن يحي . ولا نرى بأسا من ايراد المناسبة التي اتت على ذكرها لما في حوادث مدينتنا واخبار اجدادنا من تفكهة لاحفادهم وفائدة . قال: المؤرخ (ص ٥٥ و٥٦) ومن الحوادث ما جرى سنة ست وثمانماية هـ (١٤٠٤ م) فكان ملك قبرس (١) قصد ان يسترجع الماغوصة (٢) من الجنوية (٣) .

فبلغ الجنوية ذلك فجهزوا عمارة ليأخذوا منه قبرص ، فاصلح الروادسة (٤) بينه وبينهم على حكم ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار في نظير كلفتهم على التعميرة ، فتوجهت التعميرة المذكورة الى العلايا (٥) فلم يقدروا عليها ، فتوجهت منها الى طرابلس وبها الامير دمردالش (٦) نائبا ، فنزل الفرنج الى البر لكن المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول للمدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة . ثم حضروا الى بيروت فلما رآهم احد اهل بيروت ، هموا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم ، فاخليت بيروت من اهلها . ولم يكن بها عسكر مجرد للحرب سوى امراء الغرب (٧) ومعهم بعض جماعة . وكان قد توحش خاطرهم لظنهم ان في التعميرة خيولا ، فخافوا من ذلك ، فنزل الفرنج من الشواني (٨) الى البر في مكان يسمى الصنبطية غربي البلد في الرابعة من النهار ، وتملكوا البلد ونهبوه ، واحرقوا الدار التي لنا على البحر (٩) والسوق القريبة من الميناء وصار المسلمين يجتمعون شيئا فشيئا . وجعل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرد منهم في الازقة ، فقتلوا منهم جماعة ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر . وحضر المتولي الامير يوسف التركماني (١٠) . فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ، ثم رجعوا الى مراكبهم ، وتتبع المسلمون بقيتهم .

فنحن نرى في رواية هذه الحادثة كيف كانوا يدعون في القرون الوسطى سمطية اليوم بالصنبطية ، وهو اسم قد يكون محرفا ايضا ، فلا يهتدى بسهولة الى أصله ، أم أعجميا يجب رده الى مصدره ، ذلك لان في بيروت مخلفات كثيرة للاغراب لما دال عليها من الاعاجم الذين ترك كل راحل منهم آثارا في ما هو معروف الآن من تقاليدها ولغتها ، وفي جملة ذلك كلمات افرنجية تلقنها اهل بيروت من

---

(١) هو حنا الثاني دي لوسينيال

(٢) ثغر في قبرص معروف بالملاحة .

(٣) أي اصحاب جمهورية جنوا في ايطاليا .

(٤) يريد بالروادسة فرسان رودس وهم حكامها في ذلك العهد .

(٥) العلايا مدينة جنوبي اداليا على شط الاناضول .

(٦) كان نائبا عن الملوك الشراكسة المسيطرين على طرابلس .

(٧) امراء الغرب أي آل بحتر التنوخيين والمقصود بالغرب ههنا مقاطعة الشوف من لبنان .

(٨) الشواني جمع شونة وهي السفينة الكبيرة للعرب .

(٩) المؤلف هو من امراء آل بحتره وكانت بيروت قد دخلت حينا في ولاياتهم فبنوا فيها الدور وغيرها ، ولا سيما الامير ناصر الدين .

(١٠) اشتدت شوكة أهل كسروان في اواخر القرن الثالث عشر للميلاد

الصليبيين الذين حكموا مدينتهم نحو مائة عام ، وجرت على السنتهم ، ومنها كلمة بطس ـ الانكليزية اي سفن . وقد استعملها صالح بن يحي في تاريخ بيروت . ولا يبعد ان يكون اسم الصنبطية يرجع ايضا الى كلمة انكليزية ايضا وهي سنبوط بمعنى زورق لان تلك المنطقة كانت في عداد مراسي بيروت التي تلجأ اليها الزوارق ، والتي تصلح لنزول الركاب الى البر كما فعل اسطول ملك قبرص حينما هم بغزو بيروت . ولعل تلك المنطقة التي تمتد على شكل هلال بين مقهى الحاج داود وفندقه نيو رويال كانت معدة لصنع المراكب والزوارق واصلاحها ، فسميت بهذا الاسم . وكانت توجد مراسي اخرى بجوار الصنبطية من ناحية الغرب احدها يقع في الخليج الصغير بالمحلة المعروفة الان بمينة الحسن . وكانت تعرف من قبل بميناء الحصن نسبة الى حصين صغير كان يقوم الى جانبها . وعلى بعد مسافة نحو كيلومتر واحد من ميناء الحصن كان يوجد مرسى آخر في المحلة المعروفة الآن بالمريسة وكانت تعرف بعين المريسة لوجود عين في ذلك الخليج الصغير على شاطىء البحر . وهكذا يكون اسم محلة المريسة مشتقا من الرسو ولعله تصغير لكلمة مرساة . كما كان يقوم في الناحية الشرقية من الصنبطية ولا يزال مرفأ بيروت . وعلى مدخله حصن لعله هو المعروف بحصن الهدير .

هذا وكانت بوابة بيروت الشرقية وتعرف ببوابة السرايا تقع بين مسجد الامير عساف (١١) وبين الساحة التي نلقبها الآن ساحة الشهداء ذكرى لاحرار العرب الذين صلبهم السفاح جمال باشا في تلك الساحة خلال الحرب العالمية الاولى . وكان اسم تلك المنطقة محلة البرج نسبة لبرج عال كان يقوم في مبتدأ طريق النهر كان معروفا ببرج الكشاف . بني هناك خارج بيروت للاشراف على كل من المناطق المجاورة والبحر حذرا من مداهمة العدو . وقد تهدم هذا البرج سنة ١٨٤٠ بقنابل اسطول الدول المتحدة التي جاءت لاجلاء ابراهيم باشا كما تهدم بعض بيوتها ولا تزال آثار القنابل بادية في جدار جامع المجيدية المشرف على البحر .

وقد اتضح لي ايضا ان اسم محلة المصيطبة قد اصابها من التعريف ما اصاب السميطية ، غير اني توصلت الى معرفة اسمها الاصلي ، والى اسباب التسمية اذ عثرت في كتاب صالح بن يحي نفسه على ما يرفع الابهام حيث قال في الصفحات (٥١ و٥٢ و٥٣) .

« وفي يوم الجمعة الثالث عشر من محرم سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) أخذت الاسكندرية (١٢) وكان الامير يلبغا العمري هو المتكلم عن السلطان (١٣) لحداثة سنه فرسم الامير بيدعمر الخوارزمي بالتوجه الى بيروت ليعمر من غاباتها (١٤) مراكب كثيرة حمالات وشواني للدخول الى قبرس . فحضر الى بيروت . واحضر صناعا كثيرين من سائر الممالك فكانوا جما غفيرا . وقيل انه لم يعهد قط عمارة مثلها عظما وسرعة وكثرة صناع وقوة عزم . عمر بيدمر بظاهر بيروت مسطبة وعرفت به الى الآن (١٥) وكانت المراكب تعمل بها على بعد من البحر وحضر عسكر الشام متجردا فانزلوه فيما بين البحر والمراكب حذرا من مراكب صاحب قبرس لئلا يحضر العدو على حين غفلة فيحرقوا ما يعمل من المراكب ولما توفي يلبغا العمري (١٦) في ليلة الاحد العاشر من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعماية ابطلت العمارة المذكورة . »

وان القرائن التي وردت في هذا التاريخ وغيره تدل على ان موقع المسطبة المذكورة كان في محلة المصيطبة . وهي تحريف مسيطبة تصغير مصطبة .

ويظهر من ذلك ايضا انه صار لمحلة المسطبة (مصيطبة) شأن فيما بعد ، فكان السلاطين والامراء اذا جاؤوا بيروت ، وهي على ما كانت عليه من ضيق الساحة وسذاجة العمران بحيث لا تصلح ولا تتسع لنزولهم كانوا يخيمون في محلة المسطبة : وكانوا يختارونها على سواها لارتفاعها واعتدال هوائها . وقد تكرر نزولهم فيها حتى عرفت بمنزلة السلاطين .

ويؤيد ذلك ما جاء في تاريخ بيروت عند الكلام على اسماعيل بن هلال وهو من الاشرفية . قال في صفحة ١٦٩ .

« واسماعيل المذكور كان من اعيان الناس ، وكان من ذوي الايسار ، حكي عنه ان السلطان (١٧) نزل على المسطبة التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الاشرفية ، فعمل له اسماعيل ضيافة ، فكان صبوح البكرة مائة خروف مشوي ، فظن السلطان انه السماط . ثم بعد ساعة او ساعتين حضر السماط الكبير ، فتعجب السلطان ورسم له بخلعة . فوقف في طريقه مقطع الاشرفية (اي المتولي عليها) كيلا تكثر عليه منافس اسماعيل المذكور هذا ويخال لي ان اسماعيل المشار اليه هو جد آل شقير المسلمين

وتواتر تعديهم وخروجهم على حكومة الملك الناصر محمد بن قلاوون من المماليك البحرية في مصر فجرد عليهم حملة ابادتهم ثم اقطعوا كسروان التركمان للمحافظة عليها . والامير يوسف هو احد امرائهم .

(١١) الامير عساف من اسرة تركمانية اقطعها اصحاب دمشق كسروان بعد الحروب الصليبية لدفع التعديات . وقد بنى الامير منصور عساف في بيروت المسجد المعروف الان بجامع السرايا . وقد اتيت على تاريخهم في كتابي الحلقة المفقودة .

(١٢) اي استردتها العساكر المصرية من الصليبيين .

(١٣) السلطان وقتئذ هو الملك الاشرف زين الدين من مماليك مصر .

(١٤) الغابة المشار اليها هي حرج الصنوبر المعروف ، وهذا ينفي ما يشاع ان هذه الغابة هي من زرع الامير فخر الدين المعني ، ثم ابراهيم باشا المصري ، فهي اقدم منهما . ولكن قد تكون لهما يد في اصلاحها وتعميرها .

(١٥) اي بقيت الى عهد المؤلف في القرن التاسع للهجرة تعرف تلك المحلة بالمصطبة .

(١٦) الحقيقة ان يلبغا لم يمت موتا طبيعيا وانما قتله الملك الاشرف زين الدين . (١٧) لعله محمد بن قلاوون من مماليك مصر .

(١٨) على ان الذي لا خلاف عليه ان آل شقير هم من سلالة احمد بن السيد علاء الدين الحمراوي من ساقية الحمراء بمراكش الادريسي الحسني وكان مدفونا في زاوية الحمراء تجاه مدخل جامع الكبير في بيروت (المعرض) ومن نسله ايضا آل خرما شقير . وكان للسيد علاء الدين ولد آخر اسمه محمد من سلالته آل الريس وآل البابا اليروتيون. ومن الجائز ان يكون اسماعيل بن هلال المشار اليه من سلالة السيد علاء الدين .

(١٩) لعله الملك محمد بن قلاوون من مماليك مصر .

في صنعتي او فني الزعول

✳

لديلن توماس

ترجمة

جبرا ابراهيم جبرا

✳

بغداد

في صنعتي أو فني الزعول
أمارسه في هدأة الليل
حين لا يستشيط الا القمر
والعشاق في فراشهم
واشجانهم كلها بين أذرعهم ،
أكدح في الضوء المغنّي
لا من أجل خبز او مطامح
أو ُخيلاء واتجار بالمفاتن
على المسارح العاجيه ،
بل من أجل ذلك الأجر العادي :
أضمر ما في قلوبهم .
لا للمتكبر المنعزل
عن القمر المستشيط أكتب
على هذه الصفحات الدوامة العائمة ،
ولا للاموات الشاهقين ارتفاعا
بعنادلهم ومزاميرهم ،
بل للعشاق ، واذرعهم
حول احزان العصور ،
اولئك الذين لا يدفعون اجرا ولا يمدحون
ولا يأبهون لما اخذتُ نفسي به
من صنعة او فن

الموجودين في بيروت لاني رايت في التاريخ ان ابنه محمدا كان يعرف بمحمد شقير وانه تجند للامير ناصر الدين الحسن التنوخي الذي كان محافظا لبيروت والشوف المتوفي في سنة ١٣٥٠ م (١٨)

اما الاشرفية التي كان يسكنها اسماعيل بن هلال فهي عين المحلة المعروفة في بيروت بهذا الاسم ولعلها سميت بذلك نسبة الى الملك الاشرف زين الدين المشار اليه (١٩) . وقد كانت وقتئذ مقطعا خاصا أي ذات متول منفرد على ان اسم الاشرفية يطلق على امكنة اخرى في بلاد الشام . وفي جوار دمشق قريتان تحملان هذا الاسم .

هذا والى جنوب المسيطبة كانت تقوم بين بيروت وقرية حنتوس مزرعة آهلة لا تزال تحمل اسم المزرعة ، وكان اسمها وقتئذ مزرعة العرب نسبة الى بعض البدو المتحضرين الذين كانوا يزارعون فيها . وقرية حنتوس هي محلة الاوزاعي الآن التي يوجد فيها مدفن الامام الاوزاعي .

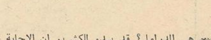
هذا ما تيسر لي نشره من صفحات بيروت المطوية انشره على امل ان يكون حافزا لغيري للافاض في مثل هذا الموضوع الذي يهم اهل البلد خاصة .

محمد جميل بيهم

الدراما والحياة

بقلم محمد محمود الاهواني

*



ما هي الدراما ؟ قد يبدو للكثيرين ان الاجابة عن هذا السؤال امر بسيط : فالدراما كلمة يونانية تعني « الحركة » . وهي تطلق على ذلك النوع من الادب الذي يقوم فيه عدد من الاشخاص بالتحدث فيما بينهم ، عن طريق الممثلين الذين يتقمصون الشخصيات ويرددون الحوار ، ويعرضون حركات القصة ، دون ان تظهر في هذا الحديث المتبادل شخصية المؤلف . وهذا في الواقع هو الاساس الشكلي او العنصر الخارجي للدراما ، وهو الحوار . ولكن قد يحدث ان تعبر شخصيات القصة عن افكار وانفعالات متباينة ، تتعارض كل منها مع الاخرى ، ولكنها لا تسفر عن اي تغيير او تبديل او تحول في تلك الافكار والانفعالات ، وينتهي الحوار وعقول هذه الشخصيات في نفس الحالة التي كانت عليها في البداية - مثل هذا الحوار قد يكون مشيرا للانتباه فعلا ، ولكنه مع ذلك لا يحمل في طياته اية اهمية درامية ، والمسرحية التي تقوم على هذا الاساس لا يمكن ان تسمى دراما .

ويمكن توضيح هذا الامر باستعراض نوع من المحاورات التي لا تنتمي الى المسرح ، ولكنها مناقشات فلسفية . فقد وصف افلاطون في احد كتبه سقراط وهو يسأل السوفسطائي هيبياس عن معنى الجمال . وكان هذا الاخير مستعدا باجابة تافهة سطحية ذكرها في الحال . ولكنه اضطر تحت تأثير هجمات سقراط المقنعة الى التخلي عن تعريفه الاول ، وان يفتش عن آراء اخرى ، حتى اجبره خجله واضطرابه ازاء عبقرية الفيلسوف سقراط الذي اقنعه بجهله ، الى الهرب من هذا المجال . فهذا الحوار لا تقتصر أهميته على الناحية الفلسفية ، ولكنه يمثل دراما صغيرة ، اكتسب بسببها شهرة كبيرة لما فيه من حيوية تصاحب ذلك النمو في الافكار ، ولهفة تسيطر على الحواس في انتظار النتيجة ، وبعبارة اخرى لما يحتويه من طبيعة درامية .

فالصراع عنصر اساسي في الدراما ، وبدونه تفقد محورها واهم اسس تكوينها . وبعبارة اخرى يجب ان تتضمن الدراما تصادما في الآراء والعقائد والادارة ، وكلما كان هذا الصراع عميقا هاما بالنسبة للمشاهدين ، كلما ارتفعت قيمة الدراما وعظمت دلالتها . ففي الدراما نشاهد بشرا يعومون ، بدافع من الحب والبغضاء ، بمواجهة بعضهم البعض بما يحملون من مثل اخلاقية وثقافية ، قد تكون متصلة بالفكر او العواطف او الانفعالات ، وقد تكون ممثلة للحق او الباطل ، للخير او الشر ، فيحاول كل منهم التأثير في الآخرين ، كما انهم يحددون عن وعي العلاقات النسبية بينهم .

ويقوم فن الشعر بتخليص القصة مما لا يتصل بضرورات الحياة اليومية ، او من الاحداث التافهة التي تخفي وراءها النمو الحقيقي للاحداث الهامة ، وان يركز في نطاق محدود عددا من الحوادث يملأ اذهان المستمعين بما يثير انتباههم ولهفتهم . وهو بهذا يزودنا بصورة متجددة للحياة بان يعرض لكل ما هو حيوي ومثير للاهتمام في حياة الانسان .

وليس المقصود بفن الشعر الدرامي التعبير الشعري ، باوزانه وقوافيه وانغامه ، اي الزينة اللغوية او اللفظية او الموسيقية ، بل الشعر في روحه . وقد يتحقق هذا التعبير الشعري في اسمى درجاته حتى ولو كتب نثرا . فمتى تصبح الدراما شعرية ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال لا تأتي الا اذا قرن بسؤال آخر : لماذا تكتب الدراما ، وما هي وظيفتها ، وما القياس التي تستعمل في بيان اهميتها ودلالتها ؟ يقول ارسطو في كتابه الشعر ان وظيفة الدراما هي ان تحدث « الصفاء » على الاقل . وارسطو يعني بذلك أن المتفرجين الذين يشاهدون على المسرح احداثا متصارعة يعانون احساسا ظافرا بالارتياح والتسرية . وهذه في

الواقع احدى الوظائف الاساسية للدراما اليونانية ، التي كانت تنزع في تصويرها لاحداث القصة ، الى مزج التراجيديا بالكوميديا الى حد اصبحت معه كلمة « تراجيكوميدي » تستخدم للدلالة على تلك المسرحيات من امثال : « بنات مسيو دوبون الثلاث » لاوجين بريو ، و « مهنة مسز وارن » لبرنارد شو .

ولكن قيمة المسرحية لا يمكن ان تتقرر لمجرد انها تبعث على المتعة و « الصفاء » فحسب ، ولو ان عددا كبيرا من المسرحيات التي تتبع مذاهب مختلفة ، تقتصر في رسالتها على الامتاع الشكلي او الحسي ، فالمسرحية ذات القيمة الانسانية الخالدة تكتب لتصور العواطف والشخصيات ، او لتعرض محيطا او حالة اجتماعية ، وفي كلتي الحالتين يكون للمسرحية مضمون او موضوع يحتويه شكلها الخارجي ، ويعبر جوته عن ذلك بقوله ان المسرحية الجيدة تؤدي ثلاثة اشياء ، فهي تمتع ، وترشد وترفع الانسان الى مكان اعلى . وهذا لا يتم الا اذا كانت الدراما كلا متصلا ينمو فيه الهيكل الخارجي لها مع الموضوع في بناء متكامل. ولكن ليس هذا كل شيء ، فهو ليس الا جانبا واحدا للدراما ، بل يجب ان تكون الدراما مرآة للافكار والآراء والانفعالات التي يتضمنها الشكل الخارجي لها في تصارعها ومتناقضاتها . فليس في الدراما وحدة في الراي او الفكر او الانفعال ، ولكنها تعكس تيارات متصادمة من هذا كله ، وتعرضها في تطورها ونموها وتقدمها في بناء واحد ؛ فان الوحدة اذا كانت ضرورية في الاثارة السياسية ، فانها تعتبر قاضية على الدراما ، لان كل دراما يجب ان تمثل صراعا في الحياة ، وقد تكون نهاية هذا الصراع تحطيما لراي او فكرة ، او قد لا تكون هناك اية نهاية على الاطلاق كما في الحياة نفسها ؛ ولكن الصراع لا مفر منه ؟ فبغير الصراع لا توجد دراما ، كما يقول برنارد شو . وهذا هو المقصود بالدراما الشعرية .

ويؤدى بنا هذا ، زيادة في التوضيح ، الى مناقشة نوع من الدراما يقرر فيه المؤلف سلفا نوعا من الخير المطلق ، والشر المطلق ، فيبدأ مسرحيته محتوية على شخصيتي البطل والشرير ، فيجعل الاول معبرا عن وجهة نظره التي يحتضنها ، فيمجده منذ البداية حتى تنتهي المسرحية ، ويضع امامه الشرير مثيرا حوله كل السخط والغضب ، داعيا الى القضاء عليه كأمر مقدس يجب ان يحدث ، وتنتهي المسرحية بقهره وتحطيمه . وهذه مسرحيات فجة رخيصة، لا تصور الصراع الحقيقي في الحياة الذي تحتويه جماعات كبيرة ، وجماهير باسرها في كفاحها من اجل الحياة والتقدم، والذي ينمو من الادنى الى الاعلى ، وتغلفه في البداية انسجة من الغموض والتخفي ، تبلى تدريجيا ، في بطء شديد قد لا يبقى ملحوظا للكثيرين ، تحت تأثير نمو احد هذه المتناقضات واضمحلال الاخرى ، واشتداد التباين بينها حتى تتمزق تلك الانسجة ، وتفور فوق السطح تلك القوى الكامنة في انطلاق ينبىء عن تحول نوعي حقيقي .

ففي الدراما ، كما في سائر الفنون ، الانسان هو الذي يصنع الفن ، ويصنعه للانسان ، فالانسان هو الهدف الاسمى للنشاط الانساني . والمتعة التي يحدثها الفن يجب ان تحمل معها عمل الانسان الحي ؛ ويقول برنارد شو : « ان نقطة البدء والانتهاء في العمل الفني من وجهة نظر المؤلف هي فن جعل النظارة يؤمنون بان اشياء حقيقية تحدث لاناس حقيقيين . » فالفنان في انتاجه لاثره الفني يعبر عن موقفه الاجتماعي في المجتمع الذي يعيش فيه ، وعن طراز الثقافة التي يمليها عليه هذا الموقف الاجتماعي .

وليس حتما ان يقف جميع الفنانين في صف واحد ، مؤيدين وجهة نظر واحدة ، ومعبرين عن مفهوم واحد للحياة . فكما نرى فنانين يستشفون بابصارهم حقيقة الصراع الذي يحدث في المجتمع الذي يعيشون فيه ويشكل عواطف الناس وطراز ثقافتهم وتفصيلات علاقاتهم اليومية ومشكلاتهم الخاصة ، ويدركون القوى الانسانية المندفعة الى الامام لتصنع الحياة وتبني درجاتها الصاعدة الى اعلى، فيعبرون عن هذا الصراع جاعلين فنهم جزءا من تلك القوى المتقدمة ، واداة تنير طريق التقدم امام البشر الذين يسلكون ، فاننا نرى فنانين آخرين يقفون في الجانب المضاد واضعين فنهم في خدمة القوى التي تعرقل تقدم الحياة، وتحاول تحطيم كل ما هو انساني فيها . وفي جميع العصور وجدت مسرحيات تقوم على اساس تمجيد الجريمة وبذر بذور الخوف واليأس والقلق في النفوس او نشر الانحلال الخلقي واثارة الغرائز الحيوانية ، او التحليق في آفاق غيبية وهمية لتبعد الناس عن طريقهم في الصراع القائم في الحياة بين انصارها وخصومها .

وينتشر هذا النوع من الدراما ، وسائر الفنون ، ويشتد ساعده في الفترات الحاسمة في تاريخ الانسانية ، التي يصل فيها الصراع الداخلي في المجتمع الى مرحلة حرجة تنبىء عن تحول في مجرى التاريخ الانساني ، ولكن هذا النوع من الفن لا يبقى خالدا في تراث الانسانية ، ولا يلبث ان تلتهمه افواه النسيان ، وتبتلعه مقابر الاحلام

الكريهة . فعلى انقاض المسرحية ذات القاع المليء بالسواد والقسوة والانتقام والشهوة والجريمة في العصر الاليزابيتي ، التي تبدو وكأنها كتبت على اسس انه كلما كانت المسرحية شديدة العنف ، وكلما ازداد عدد الجرائم فيها ، كان هذا ادعى الى احداث اثر اعمق في المتفرجين ، على هذه الانقاض نهض فن شكسبير برقته وانسانيته ، بقممه العالية التي لا يجود الزمان بمثلها الا مرات قليلة في التاريخ . فعلى مدى قرون ثلاثة وهاملت يبهر نفوس النظارة بالحيرة والتردد وتأنيب الضمير خلال اربعة فصول في المسرحية قبل ان يحمل نفسه في الفصل الخامس على الانتقام لنفسه من الرجل الذي قتل اباه .

ورغم ان شكسبير لم يفلت تماما من طابع عصره ، فهاملت وماكبث وعطيل وروميو وابطال آخرون تنضح نفوسهم بالرقة والانسانية قد فرض المؤلف الجريمة عليهم، الا انهم يعيشون في عالم تشرق عليه الوداعة والرقة والمرح والاحساسات النبيلة . وبلغ فن شكسبير القمة في ميدان تحليل العواطف الانسانية بما فيها من نبل وخسة ، ورقة وقسوة ، في تلك النماذج الانسانية من امثال الملك لير وشيلوك . وهكذا اندثر فن اولئك الكتاب الذين لم يروا في عصرهم الا كل ما هو لا انساني ، وعاش شكسبير على مدى القرون نموذجا حيا للادب الانساني .

وعندما ظهر ابسن في القرن التاسع عشر ، كان الفن الدرامي قد تقلص حتى اصبح قاصرا على خلق المواقف فحسب ، واصبحت عقيدة مؤلفي الدراما انه كلما كان الموقف غريبا كانت المسرحية افضل . وكان ابسن يرى عكس ذلك ، انه كلما كان الموقف مألوفا ، ادى ذلك الى ان تكون المسرحية اكثر اثارة للاهتمام . فكان مسرح ابسن مجرد غرفة عادية يزيل احد جدرانها فيشاهد المتفرجون امامهم اناسا عاديين يتبادلون الحديث ، ويرون ماذا يفعلون في اللحظات الحرجة من حياتهم . وكانت الموضوعات التي يعالجها ابسن هي نفسها تلك المآسي والادوار الاجتماعية التي شملت حياة الشعب في القرن التاسع عشر ، بعد ان جرت عليها يد الفنان وعمق نظرته ودليله للعواطف والشخصيات . واستمر فن ابسن صورة صادقة حية انسانية للدرك الذي خلقت فيه الراسمالية الناهضة الشعب العامل الذي امتصت منه دماؤه واشراق روحه ، في حين اندثرت تلك المسرحيات التي لم تكن تحتوي الا على خطب رنانة يلقيها البطل والبطلة ، او حوار تافه ، او التي تستوحي الخيال البعيد عن الواقع لرسم ارض الاحلام .

وقد نشأت كرد فعل للدراما التي تستمد موضوعاتها من الواقع ، مدارس كثيرة تهتم بالشكل والاطار الخارجي للعمل الفني ، كالرمزية والسريالية ، وفي باريس ظهرت مدرسة اسمها « البوليفاردية » لم تكن تهتم الا بالعلاقات الجنسية بين الرجال والنساء دون ان توجه اية عناية للواقع ، بل كانت تحرص على اثارة غرائز المتفرجين الذين يؤمون مسارح البوليفارد . وازدهرت هذه المدرسة منذ اوائل القرن الحالي حتى الحرب العالمية الاولى ، ولو ان آثارا منها لا تزال باقية حتى الآن في المسرح الفرنسي .

ولم يكن ظهور هذه المدارس المختلفة التي تتجاهل الواقع وتبني قواعدها على اساس تجسيم الاحداث التافهة التي تكتنف الحياة الانسانية ، ولا يكون اي تأثير على مجرى التطور ، او التي تستمد موضوعاتها من التحليق في اجواء الاحلام المريضة والغيبيات ، قاصرا على عصر دون آخر ، ولو ان التاريخ لم يخلو لنا من تاريخ الفنون ، الا تلك التي تعكس حياة الناس الحقيقية ، وتكون مرآة صادقة للعصر الذي تعيش فيه . فمنذ ان ظهر الانسان على الارض ، وبدأ يعي وجوده ، وهو يعكس هذا الوجود في العمل الفني . ولكن الحياة ليست جامدة ثابتة ، بل هي متغيرة ابدا ، وفي حركة دائمة ، حركة نمو وتقدم وتطور يندفع الى الامام ، ويندفع من الاشكال الدنيا الى العليا : وهو تطور ينتج عن المتناقضات التي تصطرع في داخل هذا الوجود ، وفي المجتمعات الانسانية التي تعيش فيه : والتي اثبتتها الكشوف العلمية الحديثة ، وينتج عنها زوال احد هذه المتناقضات وظهور الاخرى التي تمثل التقدم والرقي ، والتي تحمل في احشائها بذور تناقض جديد يشتد في بطء شديد مستتر ، حتى يلد وضعا جديدا تتولى فيه حركات الحياة الصاعدة ؛ وليست الحياة في اي وضع من اوضاعها بالغة حالة الكمال ، اي الرقي الذي ليس بعده رقي ، والالم يعد للوجود ولا لاحداث للتاريخ معنى . وفي هذا الصراع الدائم ، والتناقض المستمر بين القديم الذي ينتمي الى الماضي ، والجديد الذي يولد من القديم ، يعيش الفنان الذي يرى هذه الصورة المتجددة للحياة ، فيعكسها في عمله الفني من خلال شخوصه وابطاله ، ممثلة في عواطفهم المتنازعة ، وافكارهم وآرائهم المتصارعة ، كما يعيش الفنان الذي يحيا في الماضي ، ويرى القيم التي اعتنقها عن الحياة تضمحل وتذوى ، ولا ينفذ فكرة الى القيم الجديدة التي تنمو في اصرار وعناد ، بطيئة ولكنها حقيقة ، فيبدو له الكون بلا معنى ، وليس الا صورة للحمق، وابخرة لن تلبث ان تتبدد ، او ينطوي على ذاته فينتزعها من الحياة ، ويحاول ان يعتصر ما فيها من عواطف ، كما تعتصر الورقة التي انتزعت من التربة الخصبة ، فاصبحت جافة يابسة .

الظهران **محمد محمود الاهواني**

شكوى قلبي

الكون أخلد مستكينا في المساء الى المنام
والريح أمسكتِ اللسان عن الكلام من السقام
ملّت من الشكوى وعافت نفسها بثَّ الهيام
فاستعصمت بسكونها مللا وضنّت بالكلام
والماء أمسك في الغدير عن المسير الى الامام
كالفحل قصَّر خطوَه وأعاقه قيد الخطام
فمضى يعض لجامه من لاعج الداء الدفين

★★★

سعدت عيون القوم ناعمة بطيب رقادها
لكن عيني لم تزل مكحولة بسهادها
تأبى الهجوع ولا تطيق النوم عن احقادها
وباضلعي كبد ترف مهيضة بضمادها
شقيت بدنياها التي غنى الورى بودادها
والمرء يشقى حين تعظم نفسه بمرادها
ويضيق ذرعا بالحياة لما يعاني من شجون

★★★

أنّى يطيب لي الرقاد ومهجتي تتوجع
وهواجس ليل بمِسوَدّ الملاءة مفزع
ورغائبي من جامح الاهواء يمّ مترع
حُفت غواربه بكل عظيمة لا تدفع
أأنام والاسقام ما فتئت بصدري تقرع
هيهات ينعم بالمنام من الشقاوة موجع
أو تستطيب العين طعم النوم من فرط الحنين

★★★

مالي اخادع جاهدا نفسي بمعسول الاماني
وأهيج بالامل الكذوب لواعجا ملء الجنان
هل نشوة الاحلام تغني النفس عن بنت الدنان
هيهات يقنع بالمنى قلب يتوق الى العنان
أو كان يغني خافقي أمل يردده لساني
ما أظلم الدنيا على المفجوع من صرف الزمان
ورأيت أقبح ما رأيت العيش في كنف الخؤون

★★★

أقبلتُ بالقلب المحطم شاكيا لك صرف دهري
أدعوك من برح الجوى بمدامعي لتشد ازري
أقضيت لي انلا اعيش العمر في خفض ويسر
وخصصت أهل الجهل بالانعام والعيش المسر
ما كان ذنب الحر حين قضيت ان يحيا بفقر
لله من ألم بمخلب جارح يفري بصدري
ولواعج عصفت من الاحقاد في قلبي الحزين

دمشق — **عدنان مردم بك**

بقلم : أ . ستين

مونتسكيو في ذكراه المائتين

ترجمة غائب طعمة فرمان

من رابطة الكتاب العرب في العراق

يحتفل العالم – اليوم – بذكرى مرور مائتي عام على وفاة الفيلسوف الشهير والعالم الكاتب مونتسكيو .

وقد دخل مونتسكيو عالم الادب وفرنسا يسيطر عليها النظام الاقطاعي القديم بيد ان القوى كانت تتجمع للقضاء عليه ، كان القرن السابع عشر – كما يقول الكسندر هيرزن – « يقرب من نهايته » ، وخلال ظلال مسائه القاتمة كان يشرق قرن جديد رائع ، هو القرن الثامن عشر . وقد شرع الناس حينذاك في ان يعوا انفسهم ، ومونتسكيو ابتدأ يكتب ، والجو مفعم بنذير عاصفة .. وشيكة الوقوع » . وكانت « رسائله الفارسية » المتألقة المازحة ومؤلفه السياسي الشهير « روح القوانين » اول الضربات الموجهة ضد النظام الاقطاعي الجائر ، ومن ثم تبعه آخرون : فولتير في كفاحه الباسل ضد قوى الماضي ، وديدرو في عمله الجبار لتأليف الانسكلوبيديا ، وروسو في تعاليمه الديموقراطية الملهمة التي بسطت للناس الاساس الايديولوجي لثورة ١٧٨٩ اذ تحررت فرنسا من قيود الاقطاع القديم .

وحياة مونتسكيو لم تكن صاخبة جدا كحياة معاصره الشاب فولتير غير انه لم يكن ابدا عالما يرتمي على كرس وثير .. لقد كان لما وصفه هيرزن « رجل حياة » .

وينتمي جارلس دي سكوندا بارون مقاطعتي بريد ومونتسكيو الى عائلة اقطاعية قديمة انخرطت في الطائفة التي كانت تسمى – اذ ذاك « الارستوقراطية ذات الرداء الطويل » وهي الطائفة القضائية التي كان افرادها معروفين بموقفهم الحر ؛ ذلك الموقف الذي قد يندفع فيصبح في الغالب ضد الاستبداد .

وقد تلقى مونتسكيو ثقافة واسعة بالنسبة لعصره ؛ فكانت له معرفة فذة في اللغات القديمة ، وفي الادب اليوناني والروماني . وخلال دراسته القانونية حصل على معرفة عميقة في القانون متوغلا خلال القوانين المعقدة للنظام الشبيه بنظام القرون الوسطى ، مجتهدا في اكتشاف معانيها والمبادىء الاساسية التي بنيت عليها . وعندما توفي عمه ورث ارضا واسعة ولقب بارون ومنصب رياسة برلمان بوردو . وكان مونتسكيو في بعض الاحيان يثابر في اداء مهام وظيفته ؛ الا انه سرعان ما ادرك ان من المتعذر عليه القيام بشيء حقيقي للدفاع عن الحق . فاندفع من ثمة لتوسيع حقل دراساته للعلم الى جانب دراسته القانونية والتاريخية ، وكرس نفسه بحماس الى الطب وعلم الاحياء والنبات والفيزياء . وساهم في « اكاديمية بوردو » حيث شرع في كتابة يوميات اعتبرت آخر الامر اساسا لكتابه المشهور « رسائل فارسية » (عام ١٧٢١) الذي انتقد فيه اخلاق المجتمع الفرنسي في عصره ، والذي اصدر في الاصل غفلا من اسم مؤلفه ، ثم اضيف له الاسم واصبح ذائع الصيت .

ولمؤلفات مونتسكيو في التاريخ والسياسة اهمية كبيرة بالنسبة للعصر الذي عاش فيه . وفي مؤلفه الرئيسي « انطباعات عن عظمة الرومان وسقوطهم » – عام ١٧١٤ – اجتهد لشرح التطور السياسي للامبراطورية الرومانية ؛ فجاء كتابه دفاعا عن روما الجمهورية ، وقد اقام الحجة على ان الجمهوريين الرومانيين لم يكونوا المدافعين عن الحرية المدنية فحسب ، بل كانوا على استعداد لبذل تضحيات جسيمة في سبيل مجد دولتهم وعظمتها . وانتقد بشدة استبداد الاباطرة المتعطشين للفتوح الحربية ، والذين لعبوا دورا مشئوما في تقرير مصير المدينة العظيمة . فالاستبداد هو الذي دمر روما .

وقد وضع عمله هذا الاسس لعبادة الفضائل الرومانية المدنية بالمشاركة مع فولتير والكاتب المسرحي ماري جوزيف شيني والفنان لويس دافيد وعدد من « الكونفسيين » . وكل هؤلاء كان حب الرومان للحرية ملهما لهم في نضالهم .

وفي عام ١٧٤٨ اخرج مونتسكيو كتابه « روح القوانين » وهو عمل يضارع في اهميته « العقد الاجتماعي » لجان جاك روسو . وقد نقد مونتسكيو في كتابه هذا النظام الاقطاعي القديم بقوة شاهرا ضده مبادئه في الحرية السياسية وقد هدف من كل ذلك الى كشف النقاب عن اسلوب الحكم القديم الذي لا يستند الا على تخويف الناس من الطغيان وقد تلقت العناصر التقدمية في المجتمع الفرنسي هذا الكتاب بحماس قوي فطبع خلال سنتين (١٧٤٨ – ١٧٥٠) عشرين طبعة ، وهب العالم القديم ضده . وما تزال كتابات مونتسكيو السياسية محتفظة بمغزاها الحيوي لتشبعها بفكرة الحرية . واكثر ما يلذ القارىء

الحديث من اعمال مدنتسكيو هو « رسائل فارسية » جوهرة النثر القصصي الفرنسي في القرن الثامن عشر .

ومؤلف « رسائل فارسية » فنان من طراز خاص من اولئك الذين قال عنهم بلنسكي « ان اعمالهم تؤلف ذلك الجو الفني الخاص حيث يعطي الخيال المكان الاول للعقل » ففي « رسائل فارسية » عنصر بهي يصلح فقط لارهاصات افكار المؤلف التاريخية والفلسفية . فالتخيل لا يهدف الا لتيسير الفهم . والكتاب مكتوب على شكل رسائل شائق . وبطلاه فارسيان « يوزبك » و « ريكا » يجولان فرنسا . وهناك فارسي آخر هو « ريدي » يقتدي بهما ويسافر الى البندقية . والمسافرون يتبادلون الرسائل فيما بينهم ، ويكتبون كذلك الى ابناء وطنهم . فالكتاب — اذن — مجموعة من الرسائل . وبطلاه الفارسيان يختلفان خلقا ، يوزبك يملك عقلا فلسفيا تامليا ، وريكا ذلقة اللسان ساخرة . . . والرسائل مليئة بالصور والدقائق عن الحياة الفارسية استقاها مونتسكيو من كتابات مختلفة . وليس ابطال الكتاب غير وسائط .. صور متخيلة اراد المؤلف ان ترسل آراءه ولتنتقد الحكم الاقطاعي المطلق في فرنسا وتقارنه بالطغيان الاسيوي .. وفي كل تمحيصاتهما الفلسفية نظر فارسيا « مونتسكيو » الى فرنسا بعين غريرة تدهش بسذاجة لسخافة العلاقات الاجتماعية التي ظهرت لهما . وقد حصلت رحلاتهما في عهد « لويس الرابع » أكبر ممثل نموذجي للحكم المطلق ، فهزأ مونتسكيو به وضحك من الرياء .. الاساس الاخلاقي الارستقراطية ، وينبوع عجرفتها ، وسخر من التعصب الديني لهذه الطبقة ، ومن اضطهادها للذين تظن انهم يختلفون عنها . وعرض للاتاوة التي يدفعها الفلاحون ليشتروا منزلة في المجتمع ، وفضح المكائد المالية للتجار الكبار ، ولم يسلم من سخريته الشعراء الذين يكتبون المدائح السيالة والقصائد السقيمة ، كما استهزأ بمدرسية اعضاء الاكاديمية الذين يحاولون اعتصار الفنى غير المتناهي والحياة المتعددة الاصناف . ودافع مونتسكيو بثبات — متحديا الهوس الديني — عن الحرية السياسية وكرامة الانسان ، ودافع عن حقه في امتاع نفسه ورغباته الجسدية . وفي الوقت نفسه اظهر ان الرغبات الفردية ينبغي ان ترتبط رغبات الانسان برغبات رفقائه الاخرين برغبات المجتمع .

وفي قصته المشهورة عن سكان الكهوف « رسائل ١١ — ١٤ » عالج مونتسكيو الموضوع نفسه فابرز تصوره الطوبائي للعدالة وللنظام الاجتماعي المنصف . والقصة المذكورة تتحدث عن دمار لحق قبيلة اسطورية من سكان الكهوف الذين اصبحوا فريسة لانانيتهم ، فهم لا يعنون الا بانفسهم ويتجاهلون حاجات رفقائهم . ومن بين القبيلة كلها تعيش عائلتان لانهما تعشقتا الفضيلة وعرفتا معنى الحق . وبالعمل الشاق ، وبالمساعدة المتبادلة استطاعتا صيانة كيانهما من ضراوة الطبيعة ومن جيرانهما المفترسين .

لقد لاحظ فارسيو مونتسكيو المتفلسفين التناقضات في التطور الاجتماعية للاقطار الاوربية ، وشرحوا ذلك في رسائلهم . وقد كتب ريدي من البندقية ان اختراعات العلماء الاوربيين واكتشافهم ابعد من ان تعضد سعادة الشعوب ، فقد استخدمت من قبل الحكام لتسبيب عذاب جديد . ومضى يقول « انني ان كنت لم امض وقتا طويلا في اوربا فقد سمعت العقلاء من الناس يتحدثون عن اضرار الكيمياء . انها لتبدو كارثة رابعة تدمر الناس واحدا بعد الاخر وبصورة مستمرة ، بينا تخربهم الحرب والوباء والمجاعة بصورة اجماعية ... ولكن على فترات » .

ويهجس ريدي مرة اخرى « انني لاخشى دائما من ان يكتشفوا اخر الامر سرا ما يزودهم بطريقة قصيرة لابادة الناس واستئصال شأفتهم جملة واحدة بقبائلهم واممهم ...» . لقد خشي ريدي الرعديد من هذا المستقبل فصمم على رفض انجازات العلم ، والرجوع الى الحياة البدائية . الا ان يوزيك الراشد لا يتفق معه . وقد شرح لصديقه فوائد العلم معبرا عن راي مونتسكيو واعلن ان الانسان يتطور نحو الاحسن . وكتب اليه يقول : « انك تخاف — كما تقول — من ان طريقة اكثر رعبا مما يستعمل الان ستخترع ... لا ... فان هذا السلاح المشئوم اذا ما اخترع فانه سرعان ما تحرمه قوانين الامم ، ويقمع باتفاق اجماعي » ..

لقد كان مونتيسكيو عميق الايمان بعقل الانسان .

ان «الرسائل الفارسية» خلقت اسلوبا جديدا للادب .. اسلوب الرواية الفلسفية الهجائية . وقد استخدم فولتير هذا الاسلوب في « كانديد » وديدرو في « ابن اخ رامو » . فكلا الكتابين مكتوب باسلوب مماثل لاسلوب الرسائل الفارسية .

ان المثقفين الفرنسيين في القرن الثامن عشر وحدوا الناس على اختلاف آرائهم السياسية والفلسفية ، مندفعين معا في حقدهم على افكار الاقطاع الاستبدادية وعلى القوانين التي كانت تلحق الضرر بمصالح الامة الفرنسية . وهيئات فعاليات الناس هذه الاساس الايديولوجي للثورة الفرنسية . وقد كتب جيرنيشفسكي يقول : « في عام ١٧٨٩ كان تلاميذ مونتسكيو يصافحون تلاميذ روسو ويصفقون لعامة الشعب الذين عصفوا بالباستيل » .

لقد اصبحت مؤلفات مونتسكيو الفيلسوف والفنان جزءا متمما للثقافة الفرنسية ، وبلزاك وستندال على اختلافهما بافكارهما عن علم الجمال يعتبران « رسائل فارسية » كمثال رائع للاسلوب الوطني الفرنسي ، حيث تتشابك الفكر الفلسفية الجريئة بالتحليل الذي لا يرحم في شكل ممتع اصيل ، وحيث يتبع النقد الحازم التوريات المازحة والهجمات .. انه الاسلوب الذي ورثه كتاب مختلفون .. موليير وفرانس ورولان ... لقد كان مونتسكيو ينبوعا حيا للافكار النبيلة ، ومدافعا عن حقوق الانسان وحريته .

غائب طعمة فرمان

هذا الانسان...

بقلم سليم ابو جمرة

✳

الانسـان
ذلك المخلوق الغامض
لا يعرف من اين اتى ،
ولا الى اين يسير ،
ينسى ماضيه ويتنكر لحاضره ،
ويجهل مستقبله
وهـو
خالق ـ مخلوق
خالد ـ زائل
عالم ـ جاهل
عاقل ـ مجنون
في آن واحـد
تطاول الى السماء ، فاخترق حجبها
واحصى نجومها وعرف ابعادها ،
وغاص في البحر ،
فاكتشف اسراره ، وما فيه من غرائب
واخترق الارض ،
فدرس ما في جوفها من طبقات ومعادن ،
ونيران ملتهبة .
ومع قوته هذه
هبة من الرياح تسقطه ـ فتميته
وقطرة من ماء البحر ـ تغرقه
وذرة من عفار الارض ـ تعميه
وحفنة من التراب ـ تغطيه
الى الابـد

وله قال فيلسوف المعرة
اقلقتم في البحر حيتانـه
ورعتم في الجو ذات الجناح
هذا وانتم عرضة للفنـا
فكيف لو خلدتم يا وقـاح

***

هذا هو الانسـان ـ ذلك المخلوق الغامض
اكتشف السم ـ ليشربه
واذاب الرصاص ـ ليلهب به دماغه
واخترع المدفع ـ ليدمر به بيته
وشحذ الخنجر ـ ليخترق به قلبه
وحاك النسيج ـ ليعرى بارتدائه
واوجد المقياس ـ ليقيس به قبره
يشقيه علمه ويسعده
ويسعده جهله ويشقيه
يسعده ماله ، ويشقيه فقره
مثلما يسعده فقره ، ويشقيه ماله
يسعده عقله ، ويشقيه جنونه
مثلما يسعده جنونه ، ويشقيه عقله
تائه في صحراء الكون
يركض ... ويركض ... وسرابها يسبقه
يقبض على السعادة لينعم بها ،
ولكنها لا تسعده
يهرب من الشقاء ، ليرضى بما هو فيه ،
ولكنه لا يحظى بما يريد ،
يأكل ليشبع ـ فيجوع
ويشرب ليرتوي ـ فيظمأ
ويصوم ليشفى ـ فيموت
فالتخمة تقتله ـ والجوع يميته
يسعى ليخلد ـ فيفنى
هذا هو الانسان
ذلك المخلوق الغامض
لا يعرف من اين اتى ،
ولا الى اين يسير ،
ينسى ماضيه ، ويتنكر لحاضره ،
ويجهل مستقبله .
فمن هو ؟
ومن اين هو ؟
واين هو ؟
والى اين هو ؟
فهو في دياره ـ بعيد
وبين رفاقه ـ غريب
فأين الطريق
لذلك المخلوق الغامض ؟

قصة فلسطينية

خلي السيف يقول

بقلم عيسى الناعوري

*

لو استطاع مصطفى ان يتناول السماء بيده ليضرب بها الارض فيمحوها مرة واحدة في تلك الساعة ، لما توانى لحظة واحدة عن ان يفعل ذلك ليتخلص من عار الموقف الذي يقفه والذي تقفه امته معه . لقد كانت النقمة والمذلة تتصارعان في نفسه ، وكانت كبرياء الرجولة وفورة الدم تهيبان به ان يعمل شيئا ، وان يموت ليستريح من العار . ولكن زوجته واطفاله يتصايحون بجانبه من الذعر وهم يجرون هنا وهناك ، داخل البيت وخارجه ، يجمعون من المتاع ما خف حمله ولم يكن عنه غنى ، للهرب من المدينة بعد انكادت تفشل كل وسائل الدفاع عن احيائها الجديدة المترامية خارج الاسوار لان قد اشتدت فيها هجمات اليهود على جميع تلك الاحياء العربية اشتدادا لا تصمد امامه اسلحة المناضلين الخفيفة ، والرصاصات القليلة التي كانوا في الغالب يشترونها باموالهم الخاصة ليدافعوا بها عن انفسهم دفاعا محدود المدى .

أمثل مصطفى يهرب ، وقد ولد في ميدان النضال وفي قلب المعارك ؟ أمثله يهجر الوطن ويخلفه للغرباء المعتدين ؟ وهل يليق مثل ذلك برجولة مجاهد ممتلىء الاهاب شبابا وعزما وحبا للوطن ؟!

وتذكر مصطفى بنات جاره اليهودي القديم (ناحوم) ، الذي اقصته عن جيرته الحوادث الرهيبة الدامية ، فنزح منذ نحو شهرين مع بناته الثلاث الى حي ميكور حاييم اليهودي . تذكر آخر موقف لهن قبل مغادرتهن الحي العربي الى الحي اليهودي ، وكان المذياع في بيت مصطفى وفي جميع بيوت الجيران والمقاهي العربية يصرخ باعلى مدى صوته وحماسه : « خلي السيف يقول ... خلي السيف يقول ! ... » ولكن غولدا وراحيل وماريكا كن يضحكن بملء أشداقهن هزءا وسخرية ، وينظرن من شرفة بيتهن الى شقة مصطفى بتحد ساخر ، وهن يغنين مع المذياع، ويتخلجن بمجون عابث : « خلي السيف يقول.. خلي السيف يقول » .

ونظر مصطفى اليهن بحدة من يهم بان يفتك بهن ، لولا ان قتل النساء عار وقلة رجولة . وحين ادار وجهه عنهن ليفثأ حدة غضبه قليلا ، سمع صوت ماريكا تقول له وهي تقهقه عابثة بكرامته : « خواجه مصطفى ! لماذا لا تغني مع الراديو ؟! خلي السيف يشن ويرن ... هه هه هه !..» فتتردد مع قهقهتها قهقهة عالية اخرى من اختيها . ويعود مصطفى فيلتفت اليهن والغضب يعصف به عصفا ... أتسخر منه هؤلاء الفتيات ؟ والى متى ؟! ليتهن كن رجالا ليعرف كيف يتصرف اذ ذاك !...

واستدارت الفتيات الثلاث ليدخلن الى البيت وهن يلوحن بايديهن في الفضاء ويهززن أصابعهن اشارة التوديع، ويقلن ساخرات : « باي باي خواجه مصطفى ! » ثم تمد له راحيل لسانها مع قهقهة داعرة لئيمة وتقول : « بكره نشوف ، خواجه مصطفى ... خلي السيف يقول !»

وبعد يومين فقط كانت الاسرة اليهودية تغادر الحي العربي الى حي ميكور حاييم . ووقف مصطفى امام باب بيته يشيعها بنظره وهو يتساءل بغيظ وثورة : « الى متى تحمل ارضنا هذه ثقل هذه الاجسام النجسة والنفوس اللئيمة ؟! ... بكره نشوف ، خواجه مصطفى .. بلى سنرى غدا كيف نتخلص من شر هذه النجاسة ، ونطهر الارض من الوباء اليهودي الكريه ! »

وأخرج من جيبه علبة السجائر ، وتناول سيجارة منها وراح ينفث دخانها في الفضاء ، واذا ثلاثة ايد ترتفع امامه ملوحة باشارة التوديع ، واصوات غولدا وراحيل وماريكا تقول له ساخرة : « باي باي خواجه مصطفى ... خلي السيف يقول ! » ثم تندلع له السنتهن بسخرية تعقبها قهقهة طويلة ..

فيضحك مصطفى ضحكة ليس فيها من الضحك غير انفراج الشفتين ، ولكن فيها كل معاني تكشيرة النمر في سورة الغضب العاصف ، ويتبع الجيران الراحلين بنظرة طويلة ملؤها الكراهية والنقمة ، ثم يستدير على عقبيه ليدخل الى بيته ، ودخان السيجارة يعقد خيوطا وحلقات فوق راسه .

تذكر مصطفى ذلك الموقف وهو يرى زوجته وابناءه الصغار يحزمون ما خف من المتاع الضروري بسرعة شديدة، ورشاشات الاحياء اليهودية تقصف المدينة بازيز متلاحق

مرعب ، وقذائف الهاون تتساقط في كل مكان من الاحياء العربية ، وتحمل معها الرعب والهلاك . فثارت العزة في نفسه ، وهاجت فيها كبرياء الرجولة والوطنية ، بينما راح يدوي في فضاء نفسه صوت ماريكا مصحوبا بقهقهة ساخرة مثيرة منها ومن اختيها : « بكره نشوف ... خلي السيف يقول ! » .

ماذا أيترك مدينته بهذا الشكل الذليل ، وينجو بنفسه عنها ؟ أيليق بمثله هذا الهروب الجبان ؟ وكيف يسيغ له ضميره ان ينجو بنفسه وله في هذه الارض جذور عميقة تمتد الى اجيال بعيدة ، وله فيها تاريخ ، وذكريات ، وآثار ، وروابط روحية ، وبيت ثابت يأبى ان يرحل معه ... بينما يستميت فتيان اليهود الغرباء وفتياتهم في سبيلها ، وقد تقطعت بينهم وبينها الجذور والفروع منذ اجيال عديدة ، وليس لهم فيها غير مطامع الفتح والاغتصاب ؟!

ولكن أيترك اطفاله الابرياء تحت رحمة النيران المنصبة عليهم في الليل والنهار ؟! ان ابقاءهم في هذا الحي هو حكم اعدام محتوم يصدره عليهم بدون ذنب . فليبعدهم اذن عن المدينة ليطمئن الى حياتهم ، وليفرغ بعد ذلك الى النضال بدون خشية عليهم .

والى اين يذهب بهم تحت النيران المنصبة كالمطر على كل مكان في الحي ، وفي المدينة كلها ؟ واين يمكنه ان يجد لهم الامن والحياة ، ويضمن لهم الاكتفاء من العوز والفاقة والحرمان ؟

ولكن الحي يكاد يفرغ من سكانه . ان اكثر العائلات العربية قد نزحت عن بيوتها الى الاردن ، وقد ترك نزوحها لزوجته واطفاله الذعر المريع ، فليس في وسعهم ان يعيشوا كالصيصان المروعة في حي يكاد يخلو من سكانه .

« باي باي خواجه مصطفى ... بكره نشوف ... خلي السيف يقول ! »

كذلك عاد يرن صوت الفتيات اليهوديات الثلاث مدويا في فضاء نفسه كصوت الاف المذياعات المنطلقة على اعلى مداها ... فكاد يمسك بزوجته واطفاله ويدخلهم الى البيت ويقول لهم : « سنموت هنا ، ولن نترك هذا المكان ، مهما يكن من امر » . ولكن اصوات اطفاله المذعورة سقطت على حماسه كما تنصب المياه على النار الملتهبة ، وسمع احدهم يناديه قائلا : « هيا يا بابا قبل ان يصيبنا الرصاص » وآخر ينادي امه قائلا : « ماما ! اسرعي يا ماما قبل ان نموت ! » .

« خواجه مصطفى ! بكره نشوف ... هه هه هه ! »

« ماما ! اسرعي يا ماما قبل ان نموت ! ... »

« هيا يا بابا قبل ان يصيبنا الرصاص ! ... »

واختلطت الاصوات في راسه : صوت القهقهة العابثة بكرامته وكرامة امته ، واصوات الاستنجاد البريئة من اطفاله المروعين الذين لا يعرفون الوطن والوطنية ، ولا يفهمون الكرامة والمذلة ولا يهمهم الا ان ينجوا مع والديهم من الموت بالرصاص او شظايا القنابل .

اختلطت هذه الاصوات معا ... يرتفع صدى احدها في نفسه فيعلو معه الثاني ويزاحمهما الثالث على العلو ، حتى احس مصطفى بان في راسه دوامة هائلة . فوضع يديه على اذنيه يغطيهما لعل الاصوات المتزاحمة المتصايحة تخفت او تتوقف فيهما ، ولكنها لا تخفت ولا تتوقف . ثم يرفع يديه ويمضي يعصر بهما صدغيه وجبينه عصرا عنيفا ليخف ما في راسه من صداع ، ولكنه لا يخف ، ثم يخفض يديه على جانبيه وينفض رأسه بتعب واجهاد ، ويطلق في الهواء نفسا طويلا ، كمن يخرج من تحت الماء بعد غطسة طويلة كاد يختنق بها ...

« هيا يا بابا قبل ان يصيبنا الرصاص ! ... »

« خواجه مصطفى ! لماذا لا تغني مع الراديو : خلي السيف يشن ويرن ؟ هه هه هه ! .. »

« ماما ! اسرعي يا ماما قبل ان نموت ! ... »

ويئز الرصاص من حولهم ، فتتناثر شظاياه على جدران البيت ، وتتناثر معها شظايا من حجارته ، فيزداد رعب الاطفال وهلع امهم . وينظر اليهم مصطفى بحنان الاب الشفيق ، ولكن خوفه على حياتهم يهيج معه الخوف على حياة الوطن ، فيزداد الصراع في نفسه هولا واحتداما . أسرته ومدينته ... كلاهما عزيز عليه ، ولا يهون عليه ان يفرط بأي منهما .

ويستمر الرصاص في ألازيز ... وززز .. وززز وتستمر قذائف المدافع اليهودية تتفجر في ازقة الحي العربي وبين بيوته ، فتنشر الرعب والهول حيثما تساقطت.

يجب ان ينجو الصغار الابرياء ، اما مصطفى فسيعود الى المدينة بعد ان يطمئن الى بعدهم عن الخطر . انه سيعود مع الجيوش التي ستجيء لانقاذ فلسطين من شر اليهود خلال الايام القليلة القادمة .

وعندئذ احس مصطفى بمثل كوب الماء المثلج يطفيء حرارة ظمئه اللاهب . فانفرجت شفتاه عن ابتسامة راضية عريضة ، كانما شاء ان يرد بها على تحدي جاراته اليهوديات الساخرات . واذا به يرفع قبضته في الهواء مهددا ، ويهتف بملء الحماس والغضب : « سنلتقي غدا ايتها الفاجرات اللعينات ، وسنرى كيف تكون نهاية شعبكن الغادر الحقير ! » .

وحمل مصطفى بندقيته بيمناه ، وباليسرى حمل ابنه الاصغر ذا السنوات الاربع ، ومضى يحث السير بجانب زوجته واطفاله الثلاثة الباقين الى مواقف السيارات المختبئة عن مساقط القنابل والرصاص .

وبينما كان رصاص الاحياء اليهودية يلعلع ويزمجر

في كل جهة من المدينة ، كانت سيارة صغيرة ذات ستة مقاعد تسرع في طريقها الى عمان لتتجاوز منطقة الخطر ، وفي داخلها مصطفى واسرته . وبعد ان اجتازت قرية العيزرية وراحت تنحدر في منعرجات طريق وادي الحوض ، ادار السائق مفتاح الراديو الصغير امامه ، فاذا صوت زكريا احمد ينبعث من داخله ويتردد في التلال المترامية على جانبي الطريق ، باغنيته « خلي السيف يقول ... » فيرددها معه الاطفال الاربعة بحماس وسرور. اما مصطفى فقد راح يسبق الايام بخياله ، متوثبا الى العودة الى الميدان مع الجيوش العربية المنقذة ، ليرى كيف تنهار احلام اسرائيل في اقل من اسبوع واحد . وشعر في داخله بصوت ملوءه التحدي والغضب يهتف قائلا : « سنلتقي غدا ... »

وبينما كانت السيارة منطلقة تتدحرج عجلاتها بسرعة فوق طريق الاسفلت الناعمة الملساء كان نظر مصطفى شاردا في المناظر الخضراء المترامية امامه على التلال والاودية . وراحت ذاكرته تستعيد ايام النضال الطويلة الماضية ، وتستعرضها متتابعة كانها شريط سينمائي ملون يمر امام عينيه ... ثم اغمض عينيه واستسلم الى نوم عميق لم يستيقظ منه الا عند مدخل عمان ...

***

لم يمكث مصطفى في عمان اكثر من اربعة ايام ، وضع اسرته في خلالها لدى اسرة اخرى لاجئة من ابناء القدس ، وترك لدى زوجته بعض الجنيهات لتستعين بها على ايام التشرد السوداء ريثما يعود بها الى بيتها في القدس في الايام القريبة المقبلة . ثم ودعهم ليعود الى القدس فيواصل النضال مع رفاقه ريثما تصل الجيوش العربية المنقذة . وحينما تعلق به الاولاد وهو يهم بمغادرتهم ، جعل يقبلهم بحرارة وهو يقول : « قبل اقل من اسبوعين سنعود الى بيتنا ، ولن يضايقنا اليهود بعد ذلك الى الابد . ان لدى الجيوش العربية القادمة من السلاح الفتاك ما يكفي لابادة اليهود بأسرهم لو تجمعوا في ميادين فلسطين ... »

ومضى مصطفى عائدا الى القدس ليأخذ مكانه بين الذين يدافعون عنها من اخوانه الفلسطينيين والعرب المتطوعين من مختلف الاقطار الشقيقة .

ويوم خرج البريطانيون من القدس وسلموا الى اليهود جميع معسكراتهم ومراكزهم وقلاعهم الحصينة العالية ، بكل ما فيها من اسلحة وذخائر ، دارت معارك عنيفة رهيبة ، ولم يفقد العرب شيئا من حماسهم ولا من املهم ، فقد كان كل يقينهم ان الامر بينهم وبين اليهود لن يطول أكثر من أسبوع واحد ، أو أسبوعين على أبعد ما تحتمله المبالغة في التقدير ... ولذلك لم يبالوا كثيرا بتسلم اليهود للمعسكرات والمراكز البريطانية خارج اسوار المدينة . وحين راوا أن الاسلحة الخفيفة القليلة التي لديهم لا تكفي وحدها لحماية جميع احياء القدس داخل السور وخارجه تجمعت قوات المناضلين كلها داخل السور لمشاغلة اليهود ريثما يصل الجيش العربي الى المدينة ، ثم تنطلق القوات كلها بمؤازرة مدفعيته القوية لتطهير احياء القدس الجديدة من رجس العصابات اليهودية المغرورة .

وكان مكان مصطفى على السور عند الباب الجديد . لقد اغلق هو ورفاقه البوابة الحديدية الضخمة ، ووضعوا خلفها البراميل الملأى بالتراب والحجارة ، واكواما هائلة من الحجارة والاسلاك الشائكة لئلا يتمكن اليهود من فتحه اثناء هجماتهم الانتحارية العنيفة ، وتحصنوا في اعلى السور وراء الابراج الحجرية الضخمة .

وحينما اراد اليهود اكتساب الوقت لاحتلال قلب المدينة قبل وصول الجيش العربي اليها ، وقذفوا بقواتهم ومدرعاتهم في موجات متلاحقة عنيفة على ابواب السور السبعة ، وحولوا المدينة الى جحيم من القذائف والنيران ، لم تلن الابواب ولا وهن حماتها امام اندفاعهم ونيرانهم ، وراح شبانهم وفتيانهم يتساقطون مئات تلو مئات امام الابواب والاسوار بفعل الرصاص والقنابل اليدوية التي يمطرهم بها حماة السور الجبار .

ولم تنم داخل سور المدينة عين ولا هدأ صدر عن الخفقان ، ليالي متلاحقة جرب فيها اليهود عبثا جميع وسائلهم ، وكل اساليب وحشيتهم ، وقذفوا الى اتون المعارك الدموية بخيرة شبانهم وفتياتهم المدربين . وظلت اجهزة الراديو داخل السور تغني بملء الحماس والحيوية : « خلي السيف يقول ... خلي السيف يقول ... » فتبعث هذه الاغنية النشوة في النفوس الخائفة ، والحماس في الصدور الواجفة ، وكان الجميع — صغارا وكبارا — يستغرقون في النشوة أثناء اذاعتها ، ويكادون ينسون كل معنى للخوف ، وكل أثر لاحساس الرهبة من القتال ومن الجحيم المتسعرة التي تحولت اليها المدينة .

ويوم دخلت طلائع الجيش العربي الى القدس ، ومضت تطهر في طريقها حي الشيخ جراح من شراذم العصابات اليهودية المرابطة فيه ، فتبعثر فلولها كالارانب المذعورة امام نيران الصيادين المهرة ، كانت نشوة الحماس وفرحة الانتصار قد طغتا على كل شعور آخر داخل اسوار المدينة ، وكانت لعلعة المذياع تغمر كل بيت بمنتهى الغبطة ، وباعذب احلام الخلاص القريب العاجل .

وتسلم الجنود ابواب المدينة واعالي السور ، ونصبوا المدافع الرشاشة عند الشرفات العالية ، وطوقوا بمدافعهم الثقيلة احياء المدينة البعيدة من الشرق والشمال والجنوب، ومضت القذائف تهدر فوق الاحياء اليهودية هديرا مرعبا ، والنيران تنصب بغير حساب على مراكز العصابات المجرمة المعتدية ، وحينذاك شعر كل من كان داخل السور من العرب بان « السيف سيقول كلمته » خلال ايام قلائل جدا، وستضع هذه الكلمة حدا نهائيا لاحلام الغرور الاحمق في رؤوس اليهود .

وبلغ حماس المناضلين ابعد مداه استعجالا ليوم الحرية وعودة السلام الى مدينة السلام . انهم يريدون ان تعود الاسر المشردة الى بيوتها واراضيها ، لتنعم بحريتها في وطنها تحت الراية العربية الحرة التي حرمت من خفقها مدى ثلاثين عاما .

***

ولكن الايام لم تبق على صفائها . بل مضت تتباطأ وتتكاسل ، واصبحت احلام الخلاص تتثاءب بارتخاء بليد مقيت ، فتحمل معها بوادر اليأس والخيبة الى الصدور التي كانت مستبشرة سعيدة باحلامها الحلوة .

وجاءت الهدنة الاولى لتضع حدا للاستبشار والامل في نفوس العرب المسجونين داخل السور ، ولتفتح ابوابا مشرعة واسعة من الامل والاستبشار في نفوس اليهود الذين كاد يقتلهم الذعر ، وتذهب الحرب من نفوسهم بكل أمل .. وخرست اجهزة الراديو العربية عن ترديد الاغنية الحلوة المنعشة « خلي السيف يقول » ، ولكن الاحياء اليهودية هي وحدها التي اخذت تلعلع بها نهارا وليلا . وصوب صبيان اليهود وفتياتهم المرابطون في عمارة النوتردام — التي لا يفصلها عن السور عند الباب الجديد غير الشارع العام وحده — مكبرا للصوت وجهوه الى السور والى المدينة المسجونة في داخله ، ومضوا يطلقون المذياع المتصل به على آخر مداه ، ليتحدى العرب باغنيتهم المحبوبة نفسها التي كانت تبث في نفوسهم العزم والحماس والنشوة ..

وحينما سمع مصطفى صوت المذياع المكبر ينطلق من النوتردام لاول مرة بعد الهدنة ملعلعا : « خلي السيف يقول ... خلي السيف يقول ! » انتفض من مكانه كمن لدغته أفعى هائلة ، وقفزت الى خياله بسرعة صورة الفتيات الثلاث وهن يهززن له ايديهن في الهواء ، ويقلن له مقهقهات بسخرية لئيمة : « خواجه مصطفى ! بكره نشوف ... خلي السيف يقول ! » فعصفت الثورة في نفسه ، ونهض من مكانه بسورة من الغضب المجنون الذي لم يستطع مقاومته . فلما أطل برأسه من خلف حجارة السور ، راى خلف المذياع المكبر شعرا نسائيا اشقر يعبث به الهواء . فتفرس فيه مليا حتى استدار اليه وجه صاحبته فاذا هي ماريكا نفسها التي تقف خلف الجهاز ، وبيدها بندقية (ستن) ، وبجانبها فتى يهودي يضاحكها . فلما وقعت عيناها على مصطفى وراء السور عاودتها لذة التحدي الساخر ، وقد اجتمع اليها التشفي كذلك ، فاطلقت ضحكة مجلجلة لم يصل صوتها الى مصطفى لان صوت المذياع الهائل قد طغى عليها ، غير ان مصطفى احس بها وكأنها تجلجل في اذنيه كجلجلة عشرات الاجراس . وجعلت ماريكا تهز يدها في الفضاء كما فعلت في السابق ، واحس مصطفى بانها تعيد له ما قالته من قبل وهي على الشرفة المجاورة لبيته القديم : « خواجه مصطفى ! لماذا لا تغني مع الراديو : خلي السيف يشن ويرن ؟ هه هه هه ! ... » فلم يطق هذا التشفي ، وراى الحياة احقر من حياة ذبابة ، امام سخرية فتاة محاربة من شعب اعتاد الهوان الاف السنين .

فانحنى على احد رفاقه وتناول منه بندقيته «الستن» ليفرغ طلقاتها جميعا دفعة واحدة في فم الفتاة الضاحكة منه بسخرية ، وفي حلق المذياع الذي يتحداه ويتحدى زملاءه المحاربين . ثم صوب البندقية السريعة الطلقات الى النافذة المقابلة وضغط الزناد ، فاستقرت رصاصاتها في رأس الفتاة الشقراء وفي حلق الجهاز المغني ولكن قبل ان تنتهي البندقية السريعة من قذف رصاصاتها كلها ، كان الرصاص قد اخذ يتدفق من وراء اكياس الرمل المتراصة في نوافذ النوتردام ، من افواه البنادق والرشاشات العديدة . واستقرت رصاصة في صدر مصطفى واخرى في جبينه ، وثالثة في كتفه الايمن ، فسقط يتخبط في دمائه خلف البوابة الحديدية .

وفي سكرات الموت ، التي لم تمهله اكثر من ثوان معدودة ، لم يكن يرن في اذنيه غير صدى صوت المذياع اليهودي الذي أخرسته رصاصاته ، وهو يغني بملء قوته : « خلي السيف يقول ... » ولم يتردد في خياله غير صورة اليهودية الشقراء التي كانت تتحداه في النافذة بضحكتها المجلجلة واهتزاز يدها في الفضاء ... ولكن لم يعد يرى ذلك تحديا له وحده ، ولا تشفيا منه وحده ، بل احس بانهما موجهان الى امته كلها التي استنامت الى عار الهدنة وتحدي الجبناء .

اما هو فقد غسل عاره عن نفسه ، ولكن ضميره وهو يجود بانفاسه الاخيرة ظل مثقلا بسؤال رهيب : « اترى ستغسل امته عن نفسها العار كذلك في يوم قريب ؟! .. »

عمان — عيسى الناعوري

الى صديقة

✳

لماذا نقبر الذكرى ونخفي سرّ ماضينا
هما عامان يا أختي سعدنا فيهما حينا
تعالي نرجع الأمس الذي ما زال يدعونا
الى أرض مباركة بها اخضرت أمانينا
هناك ، هناك في أقصى الصعيد بذيل وادينا

★

تعالي نبسط الاجنحة اللهفى على الكون
ونمضي حيث يدفعنا نداء القلب والعين
وحول سنا طفولتنا نرفرف كالفراشين
ونرنو في مسالكنا بعيدا نحو ظلين
هما انت ، انا ، نجري ونمرح في ربى (النّقش ١)

★

هنالك في الحقول كم جعنا ولم نشبع
أكلنا الفجل والجرجير (والجعضيض ٢) والنعنع
وتحت الغصن هوّمنا لنسرق طيره الرضّع
هنالك على ضفاف (السرب ٣) كم سرنا على أربع
لنملأ جوف علبتنا بألوان من الضفدع

★

هنالك خلف دار أبي وخلف عيون (ميمونه ٤)
لكي نبني مواقدنا عجنّا الجير و (المونه ٥)
ورحنا نخرط البرسيم نطبخه على الهينه
وفوق (زكائب ٦) القطن التي ترتص في الشبونه
قفزنا ، يا لها اقدامنا بالقفز مجنونه

★

هنالك كم تأهبنا ليوم الجمعة العطله
فغادرنا منازلنا على حذر وفي غفله
نلمّ (الرّامخ ٧) المنثور ، نقذف بالحصى النخله
نشاغب فتية الحارة ، نخطف منهم (النحله ٨)
ونلعب لعبة (الطّبّه ٩) ونّط الحبل (والحجله ١٠)

★

وعند العصر أبصرنا وفي أعماقنا فرحه
نمرّ بضفة (الترعة ١١) في الجيئة والروحه
انا بالشبشب العالي وبالفستان والطرحه
أتيه عليك في زهو واخطف تارة لمحه
لطيف باسم يهفو هناك بجانب الدوحه

★★★

ترى هل تذكرين اليوم مدرسة بها كنّا
وكانت في خيالينا وجودا آخرا ، كونا
عرفنا الحب قد يفني وحبّ الذات لا يفنى
فكم فيها تشاحنا ، تخاصمنا ، وكم غرنا
اذا أرقامنا اختلفت وجاد الشيخ او ضنّا

★

وذاك الشيخ (شيخ مرسي) يعاقبنا بلا ذنب
يدرّس مادة الدين ويدرّس مادة الحب
وكيف رأيته يوما أنيقا كالفتى الصبّ
عمامته مكوّرة (مقلوظة ١٢) على الجنب
وصورة (فتنة ١٣) الحسناء قد ظهرت من الجيب

★

لماذا نقبر الذكرى ونخفي سرّ ماضينا
هما عامان يا أختي سعدنا فيهما حينا
هما عمر لنا ولّى ، به ولّت أمانينا

القاهرة — جليلة رضا

---

١) بلدة في الصعيد ٢) نبات يؤكل في الريف ٣) مجرى صغير ٤) خادمة سودانية ٥) مادة للبناء ٦) جوالق ٧) البلح الاخضر الذي لم ينضج بعد ٨) لعبة تدار على الارض ٩و١٠) العاب ريفية، ١١) نهر صغير ١٢) معوجة ١٣) تلميذة .

الطفل الموهوب

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني



هذه قصة طفلة موهوبة أعرضها لتكون مثلا علميا وعبرة عملية . وابدأ اولا بذكر ما قاله ابوهـا : « ابنتي الصغيرة خارقة الذكاء وعمرها عشر سنوات ، وهي موسيقية كجدها لوالدتها ، تعزف البيانو بشكل مدهش وتميل للرسم ، وعلى الرغم من الذكاء الخارق فانها متأخرة جدا في دروسها ، وعيبها انها لا تستطيع ان تحصر نفسها في الدرس ، وهي كثيرة الحركة نشيطة واسعة الخيال ، تدعى معرفة كل شيء وتوفق بذكائها في الخروج فائزة اذا احرجت ، شخصيتها قوية تحفظ الدرس بسرعة ثم تنساه بسرعة ، سقطت في الامتحان ثم أعادته فسقطت ثانية . وهي ترى ان في الساعة ١٠٠ دقيقة ، واعطيت مسألة حسابية بسيطة فكانت خاطئة ، واعطيت قسمة بسيطة فكانت مغلوطة ، وكذلك قل في الاملاء وفي تصريف الافعال مع انها كانت تعرف كل هذا عندماكانت امها تقوم بتعليمها في الصيف . لفظها بالعربية وبالفرنسية في غاية الروعة ، واذا تحدثت باللغتين يكون الحديث صحيحا وتستعمل كلمات وجملا قوية رائعة . وقد طلبت من المدرسة ان تنقلها على الرغم من سقوطها على ان اختار لها معلمة تساعدها على تحصيل دروسها . انها مرحة صاحبة نكتة ، وتدهش وتستغرب لقلقنا عليها ، فهي لا تقدر معنى السقوط او النجاح في المدرسة . ما هي الطريقة لجعلها تواظب على الدرس مع الفهم والحفظ ؟ واقصد ان يبقى المحفوظ راسخا في ذهنها فلا تنساه وان تركز بانتباه وان تتحسن وان تتقدم . »

اذا حللنا هذه الحالة بناء على المعلومات التي وصلتنا فاننا نقف باهتمام عند جملة الاب « انها كانت تعرف كل هذا عندما كانت امها تقوم بتعليمها في الصيف » ، ومن ناحية اخرى فاننا نلاحظ ان هذه الطفلة تنجح في الميدان الفني القائم على المواهب كما انه في استطاعتها ان تنجح في الميدان المدرسي . والدليل على ذلك تقدمها على يد والدتها . ولا شك ان هذه الطفلة تمتعت بدلال زائد جعلها تعول على الاخرين وهي تعتبر العلم كغذاء تقبله من امها . وتحتاج حالتها هذه في وقتها الراهن الى دراسة لتوضيح المراحل التي يمكن للطفل ان يجتازها لكي لا يتعرض الى فقد التكيف والوقوع في الاضطرابات . فيجب اولا ان نعرف جيدا ان الامتحان المدرسي ليس مقياسا للذكاء ولا يجوز لنا باي حال ان نعول عليه لنحكم على طفل ولنبني عليه معاملتنا له وتوجيهنا المدرسي ، بل بالعكس فان الكثير من الامتحانات المدرسية تكون سببا في تأخير بعض الاطفال لانها توحي لهم بالنقص . واذا رجعنا الى حالة هذه الطفلة فاننا نرى فيها طفلة موهوبة يمكن ان نصل بتوجيهها توجيها علميا الى خلق شخصية نادرة في الانتاج الفني .

ان التعليم المدرسي يهتم بكمية المعلومات ولا يهتم بطريقة التفكير واستثمار المواهب فيجب ان نعتني بالطفل الموهوب عناية خاصة تنمي مواهبه بالتمرين بدلا من ان نقتلها بكثرة التلقين . ويمكننا على اساس تقوية المواهب تزويد الطفل الموهوب بالمعلومات الضرورية دون ان نحرص الحرص الشديد على اخضاعه للقواعد العديدة الموضوعة لكل الاطفال دون تمييز بين استعداداتهم . ولا ننسى اننا اضطررنا اضطرار لجمع الاطفال في فصول جمعا لا يهتم بالفوارق الشخصية . وهذا الاضطرار راجع الى فقرنا في ميدان التعليم لان الميزانيات في الدول كلها تعطي اهمية كبرى للدفاع وغير ذلك من الموضوعات التي تبعد عن ميدان الانشاء في اصلاح الانسان .

ان الطفلة الموهوبة التي أشرنا اليها مالت الى الناحية الفنية لتلاؤمها مع الحرية التي تبعد عن القواعد وقيودها ، ولنا مثل في قولها : « ان الساعة تحتوي على مائة دقيقة. » فانها بهذا القول ارادت ان تثور على تقسيم معين فاستعملت حريتها واستلهمت ميلها الفني واختارت المائة لانها عدد كامل وهو شبيه بالشكل الجيد الذي يبحث عنه الفنان .

ونعلم ان مثل هؤلاء الاطفال لا يليق ان نعلمهم الحساب بطريقة مجردة جافة ، فانك ان طلبت من شخص كبير ان يقوم بحركات رياضية لا تعتبر افعالا ذات نتيجة خارجية فانه لا يلبث ان يصاب بالملل ويتخلى عن رياضته ، واما الرياضة التطبيقية التي تظهر في صورة افعال مثل التجديف ولعب الكرة والسباق وغير ذلك فانها تكون رياضة محببة لانها تثير الاهتمام والحماس . فاذا كان هذا هو الامر مع الكبار فما بالك مع الاطفال الذين نطلب منهم ان يقوموا بالعمليات الحسابية المكونة من ارقام لا تعني اي شيء بالنسبة للطفل عموما وللطفل المعين خصوصا . ويقتضي الامر على اساس علم النفس ان نمزج العمليات الحسابية بموضوعات تهم الطفل وتثير اهتمام الطفل الذي نعلمه بالذات . فاذا تأملنا حالة الطفلة التي اعطيت مسألة حسابية بسيطة فكانت خاطئة نجدها حالة غير معتمدة في نظر العلم والعقل السليم . فلو ان المسألة الحسابية قدمت للطفلة الموهوبة بطريقة معينة تثير اهتمامها فانها بالتأكيد لن تكون خاطئة . كما ان تصريف الافعال يقدم عادة بطريقة

جافة تعول على الحفظ وحده فانها لن تأتي بفائدة . اننا نعلم تصريف الافعال عادة لنعلم اللغة ، وقد جاء في تعبير ابي الطفلة الموهوبة : « لفظها بالعربية وبالفرنسية في غاية الروعة ، واذا تحدثت باللغتين يكون الحديث صحيحا وتستعمل كلمات وجملا قوية رائعة . أي ان الافعال في سياق الكلام تكون خاضعة للقواعد اللغوية وذلك لانها مقرونة بفائدة التطبيق . واتساءل لماذا نلح الحاحا شديدا لنرهق طفلة أتقنت الكلام والتعبير بحملها على اتقان الاجزاء التعبيرية لا لشيء الا لكي تخضع للقانون التعليمي وفي استطاعتنا ان ننتظر سنا معينة لنعلمها تصريف الافعال وغير ذلك من القواعد .

فلا بد من ان نعتني بالاطفال الموهوبين فنعاملهم معاملة خاصة ولا نزج بهم وسط المجموعات المتعددة ، لا بد ان ناخذ بيدهم برفق لنرشدهم الى ما يهمهم وما ينفعهم . وكثيرا ما يضرب الطفل الموهوب عن الدرس لانه بسيط بالنسبة اليه ، وبذلك فانه يتعود الفرار بفكره باحثا عما هو ملائم لقدرته ، ولكن الاهمال يجعله يتعود التواكل وعدم التركيز ويضيع نشاطه هباء ولا يعرف كيف يسترجع قدرته على التركيز في وقت الحاجة . وهكذا نخسر باسرافنا في التعليم الجمعي عناصر ممتازة تفشل في التعليم وتتجه بذكائها القوي الى ميادين لتظهر فيها قوتها في صورة نضال وكفاح . وكثيرا ما نجد هذه العناصر الطيبة تنقلب الى جرائم فاسدة تضر بالمجتمع وتكون طبقة المجرمين المتفوقين في استعمال الحيلة والمكر والقوة .

ان المدارس النموذجية لفتح جديد في هذا العصر ولكنها لا تكفي وحدها لتوجيه الطفل الموهوب الوجهة المضمونة ، وارى ان العبء كله يقع على الام واتمسك بحرفية الجملة التي جاءت في عرض ابي الطفلة الموهوبة : « كانت تعرف كل هذا عندما كانت امها تقوم بتعليمها في الصيف » ويا حبذا لو كانت الامهات يعرفن قيمة مراقبة تعليم اطفالهن ، فان هذه المراقبة القائمة على فهم نفسية الطفل والمستندة الى عاطفة تسامح وتلاطف وتستغل الميول لاثارة الاهتمام ، تستطيع ان تخلق من كل طفل عادي طفلا موهوبا .

ايتها الامهات أن كنتن تردن ان يقال عن اطفالكن انهم موهوبون فلا يكون ذلك بالاطراء الكاذب والتمنيات الخيالية بل يكون بالعمل المتواصل والصبر الدائم والعناية المستمرة .

ايتها الامهات : أنتن المسئولات عن التعليم قبل المدرسة . في استطاعتكن ان تثرن الاهتمام ليستغل الطفل المعلومات التي يقدمها له المدرس . ونجاح الطفل في المدرسة وفي الحياة متوقف على نجاح الام في خلق المواهب وتنميتها .

القاهرة — **ابو مدين الشافعي**

الاديب

*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ المنزل ٢٥١٣٩ — Tél. Direc : 23819 Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

سكرتير التحرير : **الدكتور محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

الاتجاه التصويري في شعر تومسن

بقلم ضياء الشماع

✳

كتبت مجلة الـ Spectator تقول: « حين ظهر في نهاية عام ١٨٩٣ المجلد الصغير لقصائد فرنسيس تومسن اصابت ادباء العالم الانكليزي صدمة ذهول، كما لو قذف صاروخ في ليلة مظلمة. فقصائده جميعا تتمتع بالاحتفاء والاسراف بالتصور والخيال، الذي تصبو اليه عرائس شعر جريس » وقال جيمس دوجلاس: « ان شعر تومسن هو المشروب المسكر للصور الدينية المتهتكة، انه شاعر الشاعر مثل شيللي وبليك. ولكي تحاول متابعته وهو يتنقل من صورة ورمز الى صورة، ينبغي لك ان تتسلح باجنحة نادرة من الخيال ... وهو يمزج استعاراته بحكمة الى درجة ان كل واحدة تضيء الطريق الى غيرها بضياء غريب مثل تشعشع الامواج الفوسفورية. ان شعره يذهلك بصوره المباغتة التي تسطع القا في الديجور. »

وفرنسيس تومسن يقول عن نفسه في احدى قصائده « شبابي المهرى يخر صريعاتحت الاكداس، بعد ان لهثت ايامي وتصاعدت انفاسها في الدخان ثم تفرقعت وانفجرت مثل الشمس حين تجفل في ماء الساقية. » وقال ايضا في ديوانه (كلب السماء): غضارتي بددت فورة رشاشها المتخطرة في التراب، واليوم يبدو قلبي كنافورة محطمة تركد فيها قطرات دموعي، حيث تدلق دوما من الافكار الندية المرتعشة فوق غصون ذهني الاسيفة. هكذا كان اللباب مرا فكيف يصبح طعم القشرة؟ وفي كل وقت حين يختلط الزمن بالضباب يتعالى صوت النفير من معاقل الابدية الخفية، وذلك الضباب المضطرب من بعيد، لا يفتأ يفتسل ويتلاشى تدريجيا حول الابراج المتالقة. »

فهو يعد اكبر شاعر صوفي في الادب الانكليزي، يتمتع بنفسية بسيطة وبروح صافية وبشرود ذهني. ولم تكن له رسالة خاصة، ولكنه كان يلقي هنا وهناك اقواله في الطريق؛ هاتفا من الفرح، مدفوعا بالرحمة، داعيا لحب الاطفال، عابدا العذراء والقديسين. كانت نبرات صوته تاتي كالموسيقى. ولقد توج راسه بتلك الصور المسرفة بالانجذابات الروحية من قصيدته « اغنية الى الشمس الغاربة » حيث يقول فيها:

« مع نفحات الريح الذاهبة، تغادرنا تلك الحلاوة الاليمة، حتى تنضح النفس الجريحة بالحزن. والشمس الحمراء فقاعة من النار تنزلق بتوءدة نحو التلال، لتهتف للطير الحزين بان النهار قد ولى. فيا ايتها الشمس الغاربة الفارقة في موسيقاك، وانت في رقادك الناعم الهنيء مثل عز ايامك وصولتك، لم يبق بمقدورك ان ترتلي في موسم الحصاد ولو ان الحاصدين يجنون الغلال لانك الان عزلاء من تاج الخضوع، ولو تكللت هامتك بتاج الاشعة.

ولاجلك توقفت الموسيقى عن الصدوح يا مخيبة الآمال! فلو ارهفت السمع لذلك الايقاع المدوي لعلمت بان هناك طيفا عابدا ورعا وصدى اطراء لك ياتي ناعما رخيا. »

فاحلامه المنمقة البهية ليست سوى هروب من مرارة الحياة، وشعر كهذا يعد فرارا لكلا الشاعر والقارىء. ولقد وجد سلوته في التصوف الديني في ديوانه « كلب السماء ». وله ديوان « حب في حضن ديان ». ومجموعة « اغاني الاخت » التي طبعت عام ١٨٩٥، تلك المجموعة التي قال عنها آرجر: « لو قراها شيللي لعبدها » انها قصائد تقرأ بصوت مرتفع لموسيقاها ومعناها، على رغم ما وصمها بعضهم بالغموض. فهؤلاء الذين لا يعرفون عن ايامه ولياليه وتشرده في شوارع لندن، يستطيعون لو تملوا هذه المجموعة الواحدة ان يجدوا كل شيء واضحا، فهو يقول عن نفسه فيها « هذه الزهرة الساقطة من تاج برعم الربيع، الذاوية بهبوب الريح عبر شوارع المدينة » ولكن الحقيقة خلاف ما يقول، فهذه الزهرة لم تذو ولم تمت بل امتدت جذورها ورسخت وانتعشت ولو من اوحال لندن الداكنة، وتفتحت اكمامها ثانية معطرة بالاريج.

ولتومسن اغان كثيرة عن الاطفال نشم من بين ابياتها عبير الرحمة والحنان. وكان يدعو طفل القرية بزهرة الاقحوان في معظم اشعاره. فلنسمعه في قصيدة له بعنوان « زهرة الاقحوا ن» حيث يقول:

« هنالك حيث العوسج الحامل تاج الارجوان فوق ستة اقدام من ذلك المرج. ونبات الجرسة الجاثي فوق التل يلوح منشرحا لنسمة امواج الشاطىء البعيدة. ومن خلف التلال المشرفة على الجنوب واحلام الجنوب، اقبلت هي والبراءة يدا بيد مع نسائم البحر الدفيئة. وفي غمرة حشائش الرتم والعليق ضللت الطريق فصادفت الطفلتين، فتحدثنا عن اشياء معقولة وامور تافهة صبيانية. فكانت تصغي لكلامي وهي فاغرة فمها من فرط الدهشة وكان صدرها غارقا في لجة من الازهار والاغصان، وجلدها كالعنب الاحمر، ولكن العروق تسيل بالثلج بدل الشراب. ولم تكن تعلم عن قيمة كلامها العذب ولا تدري طريقها الجميل. ولم يغرد طير مثل تلك الاغنية الساحرة التي احتشدت في حنجرتها في ذلك اليوم. اجل! لقد ازدحمت قرية ستورنكتن بالازاهير في المروج وعلى افنان الاشجار. ولكن اجمل زهرة على تلال تلك القرية في ذلك النهار كانت زهرة الاقحوان. »

ويقول ايضا: « مضت في طريقها المشمس بعد ان سكبت عيون البحر فوقها الطل وتساقطت الاوراق من النهار. مضت في طريقها المنسي وتركت فيَّ كرب الفراق

ولوعة الرحيل الذاهب . »

ولقد تأثر بالطبيعة وبصورها الغريبة فكشفت له الروح الخلاقة عن الكمال حيث « قوافي الكون ترن في اذنه » وهو جالس جلسته الهادئة فوق « السدود الابدية حيث تندفع تيارات الليل الطاغية وزرقة السماء تتموج في نجوم زاهرة » ويقول عن نفسه وهو في جو الطبيعة الاخاذ « انني أجلس وحيدا مع الكآبة ، تلك الكآبة التي تجثم فوقنا جميعا ، حينما تترك مياه المعرفة الحزينة مصبها الذي لا يندثر في النفس . وانا اكتب ، تغوص امسية باهتة اللون في سمائها ، وعلى مسافة ليست بعيدة يشهق جدار من خشب الشربين المظلم ، وفي القرب ترتفع مجموعة اشجار اللاريس وهي أشبه بمأتم حزين فتواجه صفحة السماء الداكنة . ان هؤلاء وحدهم على وفاق معي . فكل منهم يحدثني عن عالم جميل هادىء ، ذلك المحروم منه . واذا ما صعدت الى ذلك التل وتأملت تحتي المدرج الفسيح المطوق بالتلول المزدانة بالغابات والمروج واذا ما القيت النظر فوقي حيث السرادق الاكبر للمرسح الروماني ، فسوف أحس بان آلامي الانسانية هي اوسع واعمق وارفع شيء في الوجود . »

ويقول آرثر سيمونز « لقد كان تومسن يحرق بخورا نادرة في مجمرة من ذهب بداخل قبو معبد معلقة على سقفه ذبائح منذورة . وعندما كان يرتل في معبد احلامه كانت نغماته نفس الانغام التي تعلمها من كراشو وباتمور بعد ان دبت الحياة اليها ثانية . وجعل لنفسه موسيقى غريبة تارة واخرى خاصة به مدهشة . فطورا يعزف على مزمار وطورا تصدح موسيقى جوقة في كل مكان . وانصت الناس الى موسيقاه فاذهلت عقولهم بهذا السحر الجديد . ان عبقرية فرانسيس تومسن شرقية متألقة اللون ومتشحة باثواب حريرية عتيقة عمرت طوال سلالات عديدة وقد نسج فوقها نماذج مزوقة . كان منظره اخاذا كالسحر وعاش مثل متشرد متوحش العقل يعشى ابصارنا . »

وكان متأثرا بمناظر الطبيعة الى ابعد الحدود ، حتى انه كان يسهر ليله ليراقب « أسراب الغيوم وهي متعلقة فوق ضياء القمر القاحل » ولنستمع اليه في قصيدة له من ديوانه « حب في حضن ديان » كيف ان الرؤى تتحفز على الظهور باثواب غريبة مجسدة امام مخيلته : « والان على صوت تلك الموسيقى وذلك المرح ارتفعت امامي اقنعة من داخل الارض ، فشاهدت مندهلا كيف كانت تقف كل من البرعمة والزهرة والجرس والجنية الواحدة جنب الاخرى ، وفي كنف ذلك الهواء المشع بالنور كان الحشد الجميل يتمايل مترنحا من الطرب على شكل قوس قزح . فمنهم من اعتصرت صدرها الحفافي المتمعة وامتلأت بالشمس وسبحت اطرافها في ذلك السائل الذهبي ... »

ان انسجام سطوره المتينة ورؤاه الحبيبة الثرية والمعنى الجوهري وعظمة الفاظه بوأته المكانة الممتازة بين شعراء العهد الفكتوري . فهو كوكب سيار جديد سابح في المدى المترامي امام راصدي سماوات الشعر . ولم يظهر تومسن اكثر اصالة كشاعر مثلما ظهر في حقيقة احساسه للجمال فانه جزء من ديانته بينما احساس شيللي للجمال يعتبر كل ديانته . ولقد عاش في جو من الحساسية التي قل ان علقت بها كلف ارضية . وعندما نظم شيللي قصيدته الفخمة Epipsychadion نظم المستر تومسن شبيهتها في (صورتها) وهي اعظم واطول قصيدة في دواوينه . ولقد انجز الشيء الرفيع من شعره الفلسفي الذي كان يحلم به كل من كراشو ودون . وصوفيته اكثر عمقا واهمية منهما . كما وان تصوره اكثر حرارة وتحفزا وجمالا لانه كان يسبح في ممالك من الذهب .

بغداد — **ضياء الشماع**

بائع اليانصيب

لسومرست موم — **ترجمة عبد المنعم شاكر العالم**

✳

لفت انتباهي لاول وهلة الجرح القديم الملتحم في وجهه على شكل هلال يمتد من حاجبه الى ذقنه ولعله كان نتيجة جرح خطير وقلت عساه تسبب من ضربة سيف او قذيفة مدفع فهو يبرز فجأة في وجهه السمين بدون سابق انذار وهو بقامته الطويلة وجسمه البدين يلازم دائما قميصه الخاكي وقبعته المتكسرة ولا يمت الى النظافة في شيء وكان يتردد يوميا على « فندق القصر » بمدينة جواتيمالا وخاصة عندما يحين موعد حفلات الشرب حيث يقوم بجولاته المعروفة حول الشاربين يعرض عليهم تذاكر اليانصيب ولو كان هذا مورد الرزق الوحيد له لما تمكن من الحياة لانني لم اشاهد احدا يشتري منه ولو تذكرة واحدة ولكنه كان يتمتع بما يعرض عليه الشاربون من كؤوس الخمر التي لم يرفضها قط وكان يشق طريقه بين الموائد بخطوات لولبية وكانه من اولئك الذين اعتادوا قطع المسافات البعيدة على الاقدام وكان وهو يهرول بين الموائد يقف عند كل مائدة بابتسامته المعهودة ويذكر الارقام الموجودة لديه للبيع وثمة لا يجد ادنى اهتمام فيمضي الى مائدة اخرى ، وكنت في احد الايام في المشرب واقفا ورجلي مستندة على احدى الوصلات الحديدية فهم يقدمون « مارتيني » جيد في مشرب الفندق ، وفجأة برز امامي الرجل المطعون في وجهه يعرض علي اوراق اليانصيب فهززت راسي علامة على الرفض وربما كانت هذه المرة العشرون التي ارفض فيها اوراقه الخالدة ولكن صديقي استجاب له وحياه قائلا :

ـ كيف انت والحياة ايها الجنرال ؟

فرد عليه بائع اليانصيب : ما زالت مقبولة ولكنها قد تنتقل من سيء الى اسوأ

ـ ماذا تحب ان تشرب ؟ ـ واحد براندي .

وكرع بائع اليانصيب كأس البراندي في جرعة واحدة وردها الى مكانها على حافة المشرب واشار بالتحية وانصرف يعرض اوراقه على من يجاورنا من الناس وثمة قلت لصاحبي من يكون صديقك هذا صاحب الجرح المخيف المندمل في وجهه ؟

فقال صاحبي : على كل حال لن يزيده اندمال الجرح جمالا ، انه من المنفيين من نيكاراجوا .

وقد يكون من الاوباش وقاطعي الطرق ولكنه ليس ذليلا وقد تعودت الاغداق عليه بدراهم معدودة بين الفينة والاخرى فقد كان هذا الرجل في يوم من الايام الراس المدبر لانقلاب عسكري في نيكاراجوا ولو لم تنفذ الذخيرة من جنوده انذاك لاستطاع قلب الحكومة واصبح وزيرا للحربية بدلا من تسكعه في جواتيمالا لبيع تذاكر اليانصيب فقد قبضوا عليه مع اركان حربه وحاكموه أمام محكمة عسكرية فحكموا عليه بالاعدام عند مطلع الفجر واظن انه قد عرف مصيره المحتوم منذ قبض عليه فأمضى ليلة صاخبة مع زملائه الخمسة في لعب « البوكر » بعيدان الكبريت حيث كان سوء الحظ يلازمه طول تلك الليلة ولما طلع النهار جاءهم نفر من الجنود لاخذهم الى مكان الاعدام وفي ساحة السجن أسندهم الجنود على جدار متين أمام الفرقة التي ستطلق النار على المتآمرين الخمسة لكي يسقطوا على الارض في وقت واحد ثم خيم الصمت على صحن القلعة الرهيب فسألهم صاحبنا لماذا ينتظرون ، فأجابه الضابط المسؤول عن الاعدام بأن القائد العام لجيش الحكومة يريد حضور تنفيذ الاعدام وانهم في انتظاره .

ـ اذا يمكنني تدخين سيكارة اخرى ؟

ولم يكد صاحبنا يشعل السيكارة حتى دخل القائد العام مسرعا يتبعه ياوره الخاص وقبل اتمام جميع ترتيبات الموت سألهم القائد العام هل لديكم رغبات تودونها قبل الموت ؟؟

فاجاب الاربعة منهم بالنفي ولكن صاحبنا قال : نعم اريد توديع زوجتي

ـ حسنا ، لا مانع ، اين زوجتك ؟ ـ انها تنتظر على باب السجن .

ـ لن تتاخر اكثر من خمس دقائق ! ـ وحتى اقل من ذلك يا حضرة القائد

ـ اذا خذوه ليودع زوجته

وتقدم جنديان وسار صاحبنا معهما وبايماءة من القائد لضابط الاعدام اطلقت فرقة الاعدام النار على الرجال الاربعة الباقين فسقطوا كأوراق الخريف الواحد تلو الاخر وتقدم الضابط من احدهم وافرغ في رأسه عدة رصاصات اخرى ليتأكد من موته .

واستمر صاحبي يحدثني ... ومن بوابة السجن اندفعت امراة تصرخ بأعلى صوتها وتمد ذراعيها والقت بنفسها بين ذراعي زوجها الثائر وراحا في عناق محموم ولا يدري الجنود الذين معه كيف تمكن في لمح البصر من استلال خنجر صغير من ثنايا قميصه الممزق ولا كيف طعن زوجته في عنقها طعنة نجلاء لطخت قميصه بدمها ... ثم قبلها مرة اخرى .

حدث كل هذا في غمضة عين فانقض الجنود بعدها عليه واوثقوه وكادت الفتاة الزوجة تقع على الارض لو لم يتداركها ياور القائد العام . ووقف الجميع في ذهول حائر من هذا الجنون الغادر وبعد هنيهة نهض الياور من جانب الفتاة المسجاة على الارض قائلا : ماتت .

وتسمر صاحبنا القاتل في مكانه فخاطبه القائد العام : ما هذه الفعلة الشنعاء ؟

ـ لانني أحبها . وسرت بين الرجال الواقفين زفرات وتنهدات ونظروا الى القاتل نظرات غريبة وحملق القائد العام في وجهه بعض الوقت ثم قال : لقد كانت حادثة فريدة حقا ولن نعدم هذا الرجل ، خذوا سيارتي واقذفوه على الحدود ليبقى هذا المسكين في صراع مستمر مع ضميره ومع الحياة ، وسرت بين الجموع الواقفة غمغمات وهمسات وياور القائد العام يتقدم اليه ويقوده الى السيارة الواقفة .

وعندما سألت صديقي عن سبب الجرح العميق المندمل في وجه بائع اليانصيب قال : لم يكن سوى نتيجة انفجار زجاجة نبيذ كنت احاول فتحها .

طرابلس الغرب **عبد المنعم شاكر العالم**

باقة شعر

صوت الربيــع

●

الربيع الوريق
يحلم في صمت بأغنيتي ..
ربيعي الوريق !
كل ليــل
له ورائي من العطر نــداء حان
وهمس رفيق
مثلما نادت النواتيُ في البحر العذارى
وشدوهن العميق
كل ليل
في وحدتي
صوته يطرق قلبي :
« انا الربيع الطليق !
ظلنـــا لم يزل على الارض ممتدا
ولم ينس عابريه الطريق ! »
كل ليــل
في وحدتي
يومض الشوق بعيني
وحيرتي تستفيق :
الربيع الوريق جوي الاريجي
ولكن اين الجناح الرقيق ؟!

الاسرار العزيزة

●

مرح الضياء
اذ يلثم الفجر الجديد ليستفيق
وصفاء أحلام الظلال
وهناك شيء رائع .. شيء عميق
عبثا تفتش عنه الفاظي ، وتبحث عن مداه
فاعزُ ما تهب الحياه
اسرارهن اللائي يزيّن الطريق
ويهبن للقوم الظماء
في أكؤس سحرية تدعى الجمال
خمرا معتقة من الدن العريق
تدعى الرجاء !

مرحبــا

●

من مرحبــا
في ثغرك الوردي يلثمها الصباح
تسري صبــا
وتدور راح
ويعود من خضر الربى
خفق الجناح
ويرف في قلبي فاهتف : « مرحبا ! »
يا « مرحبــا »
انسيتني الماء المرفرف في العيون
وتموج الانسام في غزل الزهر
انسيتني حتى فؤادي المتعبا !
واذا انا
ما شاء وجدي ان اكون :
حلم على جفن السنا
وشذى على ثغر القمر
وهوى ينام ويستفيق على غنا
باسم الحبيب المنتظر !

ربيعـــان

●

لهم كل عام ربيع
سريع الملل
يفر ، وما زال فوق الشفاه
بقايا قبــل
واصداء آه !
لهم كل عام ربيع
اذا ما رحل
أغار الخريف الكئيب
على كل غصن رطيب
ونامت مقل
ولكنني من هبات الحياه
ملكت جناحا على جدول
وزهوا كزهو الهوى الاول
ربيعان لي !
ربيعهم ، والمحيا الوديع !

رزوق فرج رزوق
الجامعة الاميركية ـ بيروت

بقلم هنري ودانا توماس

شعراء خالدون : روبرت برنز

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

جاء روبرت برنز [١٧٥٩ — ١٧٩٦] الى العالم في فصل الزمهرير — في يوم عاصف من ايام كانون الثاني ، اقتلعت العاصفة سقف الكوخ الطيني الذي بناه ابوه. ومما قاله برنز بعد عدة سنين،وهويتلظى اسى«ربما نظر القاصي الى ذلك المشهد برضى، ولكن الامر لم يكن كذلك بالنسبة الي . » هبط على اب كان ينتزع العيش بعسر من مزرعته الصخرية الصغيرة ، ومع هذا كله ، كان « الايمان العميق » يملأ قلبه ويعمر روحه . اما امه فكانت اجمل الفتيات في (ايرشاير) برمتها ، بعينين متفتحتين لاستقبال الجمال ، وقلب مفعم بالاغاني .

ان الجوع والكدح والتعاسة ، هي المصائر الثلاثة التي نسجت حياة الفلاحين الاسكوج في القرن الثامن عشر . وحين بلغ روبي السابعة ، اضطر والده الى ترك مزرعته في (ايرشاير) وقبل ان يشتغل فلاحا في (وتينتايد) . اخذ روبي موضعه بالقرب من المحراث ، وعمل الساعات الطوال في الحقول . استنزف هذا العمل عصارة حياته ، وأحنى كتفيه ، وحطم صحته . ولما كان على مشارف الخامسة عشرة ظهرت عليه علائم الروماتزم في القلب . وقبل ان يبدأ حياته الحقيقية ، حضرت له قوى السماء الساخرة انذارا لموته المبكر . ومع هذا ، فانه كان في شبابه نابض الحركة ؛ وكانت مشاعره واحاسيسه قوية متحفزة . اشتغل بآلاته بيد وكتابه بيد اخرى .

وكانت الاغاني موضع سروره الرئيسي . نظر مليا الى الاغاني السكوجية القديمة ، حين كان يجر عربته او يمشي الى الحقول ، ولم ينس ان يأمل في نظم مثل هذه القصائد في يوم من ايام المستقبل !. جاء اليوم الذي نظم فيه كلماته الخجولة اسرع مما توقعه . كانت عادة البلاد ان يعمل الصبيان والصبايا معا وقت الحصاد في الحقول . ومن حظ روبي ، انه قدمت اليه هدية : فتاة حلوة رائعة جميلة » لم تتعد الربيع الرابع عشر من عمرها ، من اجل مساعدته في عمله . وتحت شمس الخريف الدافئة ، التقط الشاب الصغير الاشواك من يدي شريكته الصغيرة ، وما كادت اليدان تتماسان حتى ولد شعور جديد . غنت الفتاة اغنية شعبية ، فاهتزت اوتار قلبه بتأثير هذه « العاطفة الحلوة » ان عليه اذن ان يفكر بكلمات ملائمة لهذه الموسيقى العذبة . لم يكن احمق الى حد الاعتقاد بان في وسعه ، كتابة ما يوازي تلك القصائد المطبوعة الرائعة التي نظمها رجال يجيدون اليونانية واللاتينية . الا ان فتاته غنت لحنا ، كان قد نظمه شاب ريفي مثله من امد بعيد لفتاة اخرى في حقول الحصاد . ومن اجل ذلك لم ير بدا من تجربة حظه لنظم بعض القوافي اليسيرة المأخذ . وهكذا يبدأ شعره — وحبه .

***

انتقلت الاسرة الى مزرعة جديدة على الضفة الشمالية من نهر (آير) . تردد (روبي) الى مدرسة للرقص في قرية مجاورة ليضفي على عاداته الريفية شيئا من «الرقة» . كان الان في الثامنة عشرة اسمر لونه بتأثير حرارة الشمس والريح لعدة سنوات ، ومع هذا فقد شغل نفسه بالغناء والحراثة والاحلام . قام بمحاولة ضعيفة لتعلم درس او درسين من اللاتينية ، ولكن كل ما تمكن من البراعة فيه ، هو الشعار المعروف « الحب يقهر كل شيء » وقد اشار الى ذلك بعدئذ هازلا .

اصر خياله الخصب على انتصارات عصرية ، اكثرمن اصراره على السيطرة على لغة ميتة . اكتشفت الطبيعة فيه ضعفا مميتا ، عطش لا يروى حيال « الجنس المعبود . » . ذهب الى مدرس ليتعلم الرياضيات ، الا ان « ساحرة » كانت تجاور بيت المدرس ، قلبت عليه كتاب « المثلثات » راسا على عقب . ومن ذلك الحين تورط في نصف الغراميات التي انتشرت في منطقته . مواعيد في منتصف الليل ، دقات واجفة متلصصة على النوافذ ، مشيات خلال حقول الشعير تحت ضوء القمر الدافيء ، دموع ، ايضاحات ، ابتسامات « جزء من الفردوس » — ثم عودة الى الكدح والاحلام .

ان شدة خياله وعنف تصوره ، بزا ما كانت تعرفه خليلاته . وحين انتقى حبيبته ، افاض عليها من برود السحر ، ما كان في وسع عبقريته الشاعرية ان تفيضه .

كان في قدرته ، ان يحول فتاة ريفية فظة الى الهة ، بعبارة ساحرة بسيطة . ومما اعترف به قوله : « ان عواطفي اذا ما التهبت ، تاججت كانها عدة شياطين ، ولن تجد لها منفذا ومنفسا الا في الشعر . »

ثم حاول ان يجد فرجا في الزواج . اما «السيدة التي اختارها» فكانت خادمة في « سيسنوك وتر » . تقرب برنز اليها بابيات بليغة ـ كان يؤمن باخلاصها يومئذ :

« آه يا ماري ، هل لك ان تعكري صفو سلامه
لم لا ؟ انه يموت من اجلك بكل سرور .
ثم لا تحطمي ذلك القلب الذي
بات مدنفا في حبك ؟ »

والظاهر ان السيدة الصغيرة لم تشعر بتبكيت الضمير حين «تحطيم قلبه» فذهنها الذي اعتاد جو المطبخ ، كان عمليا بحيث لم يستسلم الى شاعر لا يحسن عملا . فبعد خيبته في الحب ، قبل برنز بانتهاز احدى الفرص للعمل في صناعة الكتان مع احد اقاربه في مدينة «ارڤن» . اما وجهه فقد تبدلت ملامحه حتى اصبح في بعض الاحيان اقرب الى الحزن . كان هادئا متحفظا بين زملائه من الرجال ، الى حد انه قال « لم اخلق لضجة الاشغال ، ولا لرفقة الزاهين اللامعين . » . ولكنه تحلل من جميع اثقاله في رفقة « الحبيبات الجميلات . » انه عاش حرا واحب من غير تحفظ . وارتدى ملابس انيقة ، وظهر بمظهر الشباب المتفننين في المقاطعة ، والحق انه اصبح واحدا من الشبان المعجبين بانفسهم . ومع هذا ، فقد انضم الى جماعة من المغامرين الذين كانوا يهربون الشراب بمحاذاة الساحل . ومن الطريف انه صادق احد الملاحين المتحللين . ومما ذكره بهذا الشان « ان هذا الشاب كان اكثر جنونا مني بخصوص النساء . » الا انه خاب في صناعة الكتان اذ سرقه شريكه . ثم اشتعل حانوته في حفلة السنة الجديدة . ولذا عاد الى بيته خالي الوفاض .

وحال اوبته وجد والده على فراش الموت . وقد اسرع اليه موته بسبب الارهاق الذي كابده في شغله . فقال له ابوه وهو يحاوره « يا روبي ، انا اخشى على مستقبلك . عدني باصلاح حالك . » مسك روبي بيد ابيه ووعده بتحقيق سؤله . ولم يمض طويل وقت على ذلك ، حتى اتوا باحدى النساء الى الكنيسة ، لانها ولدت بنتا غير شرعية . وحين اعلن الامر في الكنيسة تقدم الشاعر الى الامام واعترف بانه هو والد تلك الطفلة .

***

وبذهول رفيق ، كتب قصيدة للترحيب بالصغيرة . « ابنة الحب » .

« لعل الله يتفضل فيورثك ، نظرات امك وجمالها الاخاذ ومحاسنها الخلقية ، وروح ابيك المسكين التافه ، بغير ان يصيبك بمعايبه وهناته . »

اخذ الطفلة معه الى مزرعته ووضعها في رعاية امه واخيه الاكبر . وبالاتفاق مع اخيه استاجر ارضا زراعية في « موسغيل » على مقربة من مقاطعة « لوجلي » . ولمدة شعر بثقل واجبه الجديد ، فقال بصدد ذلك : « انا اقرا كتب الزراعة ، واحضر الاسواق ، وبالايجاز ، علي ان اكون رجلا حكيما بالرغم من الشيطان والعالم والجسد . » الا ان سوء الحظ تعقبه . كانت الامطار غير كافية ، وكانت محاصيله ضئيلة ومن اجل ذلك فقد حاسته في الزراعة في وقت قصير . كان يخشى من الرجات العنيفة في دخيلة جسده . فصمامات قلبه كانت تدفعه الى الموسيقى والجنون . شعر بارواح شعراء (المرتفعات) القدامى ، وهي ترتفع من قبورها تدعوه لينضم اليها في جولاتها . فحياة الفلاح لم تكن لائقة به ذلك بان افق عبقريته كان اوسع من الارض . يقول في هذا الصدد « ان روحي قلقة في اقتصارها على المحراث . » عليه ان يغني ، يا للشيطان ينبغي ان يغني !

ومن اجل ذلك عاد الى غنائه . وبجسارة الشباب واستفزاز الشراب ، اصلى « اذكياء البلد » برشاش ناره ، موجها همه بالدرجة الاولى الى قواد منطقته وساستها المتلونين الشريرين بما فيهم رجال الدين .

اصبح منبوذا بالنسبة الى المجتمع باستثناء «الملاحدة والفاجرات . » وسمعته الانحلالية صدت في وجهه الابواب ، وهذا وحده كان لان يجعل رفات ابيه لا تستقر في قبرها .

الا ان روبي لم يعر ذلك كله باي التفات « فماذا اذا دعوه ابنا خاطئا من ابناء الشيطان لانه ناجز الكهنوت العداء ؟ » سر بسمعته الشريرة . وهذا ما جعل جميع البنات على نطاق خمسين ميلا من مركزه ، يسمعن به ويصلين راجيات بانتهاز الفرصة للقياه .

وذات مرة كان يمشي ومعه كلبه . فراى فتاة بدينة تغسل ثيابها قد كان لقيها من قبل في حفلة رقص من حفلات القرية ، وقد تعلق به كلبه حينئذ . تحدث الى هذه الفتاة الشابة المتوردة الخدين ، قائلا « ارجو ان تحبني فتاة كما يحبني كلبي . » وبعد ان اجتازها في سيره ، استدعته الفتاة قائلة « او لم تجد تلك الفتاة ؟ » ومن يومئذ تعرف بها خير معرفة ، فكتب الى احد اصدقائه قائلا : « عندك ميغ ، وعندي عزيزتي جين . » ومر ااخرى اثيرت فضيحة في القرية ، لان جين ولدت توامين . تقدم برنز بعرض للزواج بالبنت ، ثم كتب وثيقة ليبرهن اخلاصه للمجتمعين في الكنيسة ، الا ان والد البنت ابى ذلك بعنف قائلا « خير لي ان يكون احفادي انغالا ،من ان يكون نسيبي مجرما . » .

وبينا كانت كنيسة القرية ، تدرس مسالة معاقبته، بسبب اعتدائه على عفاف جين ، سار بمحاذاة ساحل (آير)، الموحش، ترافقه حبيبة من (هايلند) الجديدة . وفي احدى الامسيات العذاب ، وقف روبرت برنز وماري كامبيل ، على طرفي ساقية ، وكل منهما يحمل الكتاب المقدس ، ثم اقسما باغلظ الايمان على ان يكون حبهما خالدا . وبعدئذ افترقا ولم يلتقيا مرة اخرى . رجعت ماري كامبيل الى بلدتها ، وهناك مرضت وتوفيت متأثرة من الحمى . ثم عاد برنز ليواجه غضب الكنيسة من اجل مغازلة جين ارمور.

صمم والدها على القاء الشاعر الشاب في غياهب السجن ، يئس برنز ، واستمات في الدفاع عن نفسه . ان عليه الان ان يهرب من المقاطعة . ولكن الى اين ؟ حزم لوازمه على ضوء النجوم في غرفته الصغيرة ، ربما كان في وسعه الاقلاع الى (جامايكا) على متن احدى السفن ، ليحصل على عمل ، كبيع الكتب ، في مزارع الجزيرة . ولكن من اين ياتي بالمال ليسدد نفقات السفر . لقد تحطمت مزرعته ، وتبذر ماله . فعليه ان يستعطي ، يستدين ، او يسرق !

فاقترح عليه احد اصدقائه بحل قائلا « روبي ، عندك كمية كبيرة من الاشعار ، فلم لا تجرب بيعها ؟ » ضحك برنز بمرارة وقال « يا ولد ، هذا ليس وقت الهزل . على ان ابيع شيئا له قيمة مالية . » . ومع ذلك فان الاشعار جمعت ونشرت ، وظل برنز في اسكوتلنده ، حتى توسعت شهرته ، واصبح علما على راسه نار .

***

اما اغاني « فضائحه واحزانه » التي كتبها على مزق من الاوراق ، على عجل ، فقد انتشرت في طول البلاد وعرضها ، كانها نار برية هائلة ، « ومن اجل ذلك فان الامراء والفلاحين ، والكبار والصغار ، والاغنياء والفقراء ، وذوي الرزانة والخفة ، سروا بها جميعا ، وانشرحوا وسحروا . حك روبي برنز راسه بحيرة . لقد حاول الهروب من السجن ، واذا به يجد نفسه منطلقا بين ايدي الشهرة . والحق ان وسائل البشر تتجاوز معرفته . دعاه قادة المجتمع في ادنبره لزيارة العاصمة . ذلك بانهم كانوا في احر الشوق لملاقاة « الفلاح الآير شيري ، الذي كتب مثل هذه الاشعار المدهشة . » . ولما لم تكن عنده وسيلة للسفر ، اعاره اصدقاؤه حصانا ليقطع به الطريق . امتطى صهوة جواده وانحدر الى المدينة وهو في ذهول ودهشة . وحين كان يجتاز المقاطعات الواحدة بعد الاخر ، اصطف « اصدقاؤه الفلاحون » بمحاذاة الطريق ، لتحيته والترحيب به والتسليم عليه . الامر الذي جعله « ينبهر اشد الانبهار ، فترتجف اعصابه برمتها . »

ولما وصل العاصمة ، فتحت صالونات العظماء في وجهه ، وبسبب ضعفه حيال هذه الدهشة ، كتب الى اسرته متحدثا عن استقباله : « الى من يهمه الامر ، انني رايمر روبن ، الملقب برنز اعلن بان الثالث والعشرين من تشرين الاول ، يوم لن ينسى ابد الدهر ، لقد وصلت الى الذروة ، وتناولت الطعام مع احد اللوردات ! » .

وكأنه لم يصدق نفسه ، اعاد قوله « نعم اتصلت بلورد ، بعين من الاعيان ، بابن احد النبلاء . »

وايا كان الامر ، فانه اصبح في شك من الضجة التي افتعلها النبلاء من اجل استقباله ، بعد وقت قصير من الزمن . شعر باصله شعورا دقيقا ، فاستحى من تربيته السيئة المنحطة . ثم احس بان هؤلاء الارستقراطيين الذين نعموا بالثقافة الجيدة ، نظروا اليه من علياء مجدهم . انه لم يكن بالنسبة اليهم سوى اعجوبة دامت اسبوعا ، ومثارا للاستطلاع يحلو التمعن فيه . فابناء السلطة والغنى السعداء هؤلاء ، احبوه بغير ان يحترموه . انهم مندهشون من هذا الفلاح الفظ ، الذي وهب هذه العبقرية الرائعة . عدوه فلتة من الطبيعة ، بل مخلوقا جاء الوجود لامتاعهم ، كانه ساحر او مهرج .

مما جعله يضمر لهم نفورا شديدا، ومع انه نزع ملابسه الريفية ، فهو لم يتمكن من الخلاص من عادات الريف . ومن اجل ذلك سخروا منه في غيبته ، وهذا ما دعاه الى مقابلتهم بالمثل ، تبا لهذه الجثث المزينة « بالنبل » التي تتطلع من جوها « الرفيع » على عبقرية من اصل ساذج. وهذا كله دفعه الى حانات ادنبرة المبللة بالخمور حيث لقي « اخوانه الرجال » مرة ثانية . فهنا ـ على المائدة ـ استعاد عرشه وصولجانه ، فكان في وسعه التحدث بحرية الى مجمع السكارى ، ونقل الكأس الفوارة من شفة الى اخرى ، والتندر على نكتة بديعة ، يفهمها الندامى ، الذين شغفوا به حبا . ومن اجل هذا ، دعهم يقولون ما يشاءون عن اللياقة والادب . دع اولئك الذين « يخشون ضياع شخصيتهم » وشانهم .

وفي الوقت الذي اشتد فيه ملل برنز من النبلاء ، حدث ما يضارع ذلك لدى النبلاء انفسهم ، فقد سئموا من حديثه عن الراعيات العذارى، وزنابق الجبال، ولطف الريف ومرحه ، ذلك بان « الموضة » الاركادية انقضى اجلها سريعا ، كما اقبلت سريعا . فاوصدت الابواب الواحدة تلو الاخرى في وجه برنز . ثم ترك وحيدا ليلازمه ديوان اشعاره ، واحلامه المرة . وقد كتب الى الدكتور بلير ، وهو احد الارستقراطيين الحادبين عليه ، الرفيقين به ، ممن أثاروا تلك الضجة الكبيرة بشانه ، كتب اليه قائلا : « شعرت دائما بحيرة وارتباك في شان مركزي الفريد . ومهما يكن من امر الجدة السريعة ، لمظهري في العالم ، وما اجتذبه ذلك من حسن التفات ، فقد خيل الي بكل جلاء ، بانحسار الشعبية سيتركني وحيداوبمضيفي سبيله . » فرد عليه الدكتور بلير « كان يجب عليك ان تصمد لاختبار

عسير ، واناسعيد ، بانك صبرت على ذلك صبر الكرام . »
ثم لمح الدكتور الى اشياء ارادها فقال « في رايي انه خير لك الان ان تعتزل عملك ، وتخلد الى حياة اكثر هدوء وبعدا عن المجتمع .. واملي الا تنبذ ... اعلاء شانك بتثقيف عبقريتك .. وفي الوقت نفسه لا تكن مسراعا في تقدمك او ارتقائك .. » .

قفل راجعا من ادنبره حكيما حزينا . فاجتاز عدة اميال بين الريف الوحشي ، والجبال السمر ، تعلوها الثلوج الخالدة ، والوديان المظلمة الموحشة . » وبعد ذلك كله ، بدت له سكرة المجد ، وكانها ليست حافزا مثيرا الى ذلك الحد . والشيء الوحيد الذي كان على ثقة منه هو :

« ليست الكنوز ولا المسرات يسعها ان تجعلنا سعداء لمدة طويلة وانما القلب هو الذي يمكننا من عرفان الحق او الباطل » .

***

عاد الى قريته الاصلية ، وقرر اصلاح الخطأ الذي اقترفه بحق جين ارمور . والان وقد نال نصيبا من النجاح ، لم يعد امامه ما يعيقه عن مراده وبخاصة اذا عرفنا ان والد جين لم يعترض هذه المرة على الزواج . اصبحت جين « امراة شريفة » فحاول الشاعر ان يستقر في ضيعته ، ويعود الى الزراعة « التي هي شغل الرجال الشرفاء . » . تمكن من استئجار قطعة ارض ، بتدخل احد اصدقائه ، وبواسطة هذا الصديق حصل على عمل بسيط كموظف في دائرة المكوس . اما المزرعة التي استاجرها ، والتي عرفت بمزرعة « السلاند » فكانت مشهورة بجمالها على حساب خصوبتها . ومما اشار اليه احد الاصدقاء من جيرانه ، قوله « مستر برنز ان اختيارك شاعري اكثر مما هو زراعي مثمر .» ولما اصبحت المزرعة صالحة للسكنى دعا برنز اسرته . وحالما وصلت الاسرة ، امر الخادم لوضع الكتاب المقدس على اناء من الملح والطواف به في البيت . ثم انه تبع الخادم برفقة زوجته ، واستلم ملكية البيت بصورة رسمية . وبعدها اقام حفلة دعا اليها الجيران ، فاجتمع هؤلاء من مشارف القرية ، وشربوا ما وسعهم الشرب ومما قاله في افتتاح الحفلة « لنشرب على نخب آل برنز . »

اهتم اهتماما متقطعا بمزرعته ، ولكنه رمى نفسه بكل قلبه في مغامرات دائرة المكوس . تتجلى هذه المغامرات ، في بحثه ، وهو على صهوة جواده ، عن المهربين الذين يقومون باعمالهم قبالة الساحل . كان يركب حصانه عدة اميال يوميا للتنقيب عن براميل المشروبات المخبئة في المخازن السرية . ومن غرابة القدر وسخريته ، ان انسانا مثله ، في ظما دائم الى المشروبات ، يستدعى ليحدد مثل هذه التجارة !

وايا ما كان الامر ، فانه لم يكن دقيقا في تنفيذ القانون ضد السكان . وذات يوم جاء الى بيت امراةعجوز فقيرة ، فعلم انها تشتغل في التجارة المحرمة . وضع سبابته على شفتيه ، وقال « كيت انت مجنونة ؟ الاتعرفين باني والمفتش سنكون هنا في اربعين دقيقة » فقابله السكان خير مقابلة على حسن تفكيره ولطف معاملته ، وفتحوا له كل برميل في زياراته ليغترف منه ما يشاء بغير تحرز . وهذا ما جعل بلاغته تنصع في سموها ، وتجري كلماته كانها السلسبيل العذب ، كما يسري النبيذ في حريته . حاك الخيال المعجب بعد الخيال في نسيج فريد ، ومما قاله : « بعض الحكايات اكاذيب من بدايتها الى خاتمتها، اما اعظم هذه الاكاذيب فلم تكتب بعد . تمايل من الخدر وحدثهم عن ولي الذي « ازدرد كاسا من الشراب » وكيف ان شانتر اضاع موضع ذنب فرسه ، وكيف « ان الكلاب فرحت لانها ليست من جنس البشر » وكيف انه « ترنح على الجبال يوما » حين واجه الموت نفسه « ومعه منجله المرعب على كتفيه » اصر برنز على ان هذه القصة « واقعية حقيقية حقيقة وجود الشيطان في الجحيم ، ووجود مدينة دبلن » تعيش اذن الخمرة وتحيا الضريبة !

هكذا اذن آنس سكان الريف في الليالي ، ثم امتطى جواده في الفجر ، ليخترق الحقول الهادئة ، وفي تلك الاثناء يصحو من سكرته ، فيتحقق عن السبب الذي يجعل مزرعته ضعيفة لا تؤتي اكلا ، ذلك السبب الذي لا يبدو في شيء كما يبدو في اهماله . الا يمكن اذن ان يتخلص من هذه المزرعة كما فعل بغيرها ، وهذه الفكرة كانت تهزه هزا عنيفا في البرد الشديد . ولكنه سيجد نفسه مرة اخرى

وحيدا لا عون له تبهضه زوجة واولاد ؛ واذن لن يجد اولاده ما يعينهم ، ولن يكون ما يحصده في شيخوخته . انهم جميعا سيضطرون الى السفر الى المدينة وليس لهم غير راتب تافه ، هو راتب موظف في المكوس ، لا غناء فيه ولا شبع ، وهذه النذر المشئومة كانها غمائم في ذهنه ، ولم يكن ليعتبرها غير شعاع اغانيه . مرت ثلاث سنين وحقوله فقيرة في حصادها كل سنة ، في حين كان ذهنه مفعما بالخير الوفير . وكلما اقترب فصل الحصاد ، تجول برنز على سواحل (نيث) والاسى يشد عليه بقبضته ، « وفي احيان كثيرة كان يحجب نفسه بجانب كومة من الذرة ، ليبعد عن نفسه رياح الليل القارسة ، ويظل كذلك حتى مطلع الفجر ، بعد ان يكون راقب النجوم واحدا واحد قبل ان تغيب . » وفي الوقت نفسه لم تعمل الفتيات شيئا غير « اعداد الخبز » في حين يجلس الفتيان على مقربة من النار ليلتهموا « الرغفان الطازجة » . وهذا كله مما جعل « ايسلاند » تخيب تحت رعاية الشاعر .

اقبلت النهاية مسرعة ، وجاء اليوم الذي اصبح فيه برنز عاجزا عن توفية ديونه المتراكمة . فقال يخاطب زوجته « جيني ، علينا ان نقلع الاوتاد ، ونمضي في تجوالنا » وهكذا ، باعا الاثاث ، وحطما البيت ، وجمعا بعض اللوازم ، ثم شرعا في التجوال — مهزومين فقيرين ممقوتين ! حسنا وكيف لا تكون النهاية كذلك بالنسبة الى شغل انسان عاطل لا يعرف شيئا غير احتساء كؤوس الشراب ، ونسج القوافي ، بينا يقوم غيره من الناس بالعمل في الحقل ؟ شاعر محترف ؟ حتى هذا الامر لم يكن صحيحا ، كما لحظ ذلك الناس المجدون حين هزوا رؤوسهم بحزن قائلين « ان روبي برنز ليس غير معتوه محترف ! »

ارسل زوجته واطفاله الى « مفرز شاير » ليجنبهم مرأى الخراب الذي حل ببيتهم . اما هو فقد ظل ليرى الاثاث ، وهي تباع بالمزاد قطعة قطعة . يبدو السمسار وبيده سجل بالمواد التي ستباع ، وبيده الاخرى قنينة من الشراب للاحتفال بعمله . اما القرويون ، فهم بدورهم يشربون حين يعلنون عن عطاءاتهم . ثم تتم عملية المزاد . فتسرع الزبائن الى المزرعة والدار ، في تظاهرة من الدعارة المخمورة . نكات مقزعة ، رقص عاصف ، بصاق على ارضية الدار ، اوحال متطايرة في عرض العتبة ، تلك العتبة التي اجتازها الخادم يوما حاملا الكتاب المقدس ، بينا كان الشاعر الشاب ، وزوجته المتكئة على ذراعه ، يتبعانه ليدخلا بيتهما العزيز . والان ذهبت آلهة البيت ، فحلت الفوضى محلهم . « لكي تصنع دارا سعيدة عليك بالاطفال وبالزوجة » وهذه هي الامور المثيرة « في سمو الحياة واحزانها » . ثم ينظر برنز ، متجمد العين ، على ما حل به ، فيهز راسه في حيرة مرعبة .

* * *

وبعد حين ، انضم الى اطفاله وزوجته في « دمفريز شاير » وهناك استاجر كوخا بسيطا ، واستمر في اداء وظيفته . سبقته « سمعته الشريرة » ومن اجل ذلك ، ابى الرجال المحترمون ، في المدينة ، الاتصال به الا في نطاق العمل . اما هو نفسه فلم يفهم لم كان مسرعا في طريق الهاوية . على حين كان عنده كل شيء للعيش من اجله — امراة مخلصة له ، اطفال لطاف ، وموهبة ذهبية في الغناء ، وذهن واف لينعمه بالرغد اذا كانت عنده ارادة . جلس وبيده كاس الشراب وتعجب . . . حسنا لم يربك راسه بكل هذه الافكار ؟ « فتصاميم الجرذان والرجال تذهب عبثا سواء بسواء . . » ولما كان يتذوق الشراب يغدو كل شيء واضحا جليا امام ناظريه . ان اللوردات والسيدات الذين يمشون مرحا على الارض ، ويبغون فيها الفساد والشراهة ، هم الذين يضطرون الشباب ، من امثاله ، الى حياة التعاسة والشقاء . اذن هذه هي المسألة . فحين كانوا يشربون ويمرحون ويتراشقون بالكلمات ، كان يقسر هو لان يعيش كما يعيش الاذلاء التابعون . انهم هم الذين يعذبونه ويطاردونه في الطريق الى الجحيم . « فما هو فضلهم ليأتوا الى العالم وبيدهم الصولجان ؟ وما ذنبي ان اتيت الى العالم تدفعني صفعة لتستقبلني اخرى ؟ »

عزاما اصابه الى القدر ، واستمر في الشرب . ومما قاله « أواه لو كنت وحشا لا تخطر في كبريائه واستقلاله! » والحق ، انه لم يكن غير عبد متمدن — عبد لفقره ، محروم الامل ، تتقاذفه مشاعره الحادة . ثم خطرت بباله فكرة هي ان امة — في عرض — تتالف من امثاله من البائسين ، قامت قومة رجل واحد لتري العالم قوتها « اللهم احب شعب فرنسا ! » ذلك بان الملوك والفلاحين لن يجدوا لهم محلا في هذا العالم . اما من سيبقى فهم الشعراء ، من اضرابه ، الذين سيرتلون نشيد الاخوة والحرية . وعندئذ لن يخجل من خيبته في حصاد مزرعته ولن يكون حائرا ابدا .

* * *

كان التهريب على اشده في ساحل اسكوتلنده . وفي ذات يوم رست حاذى الشراعية الغريبة المنظر بالقرب من « سولوي » بدت السفينة وكانها من سفن القراصنة . فاعطي برنز اوامر ليلحظ حركات هذه السفينة عن كثب . ولما اقتربت من المياه الضحلة ، جرد الشاعر سيفه وقاد جماعة من الجنود ، فتوجهوا جميعا الى سطح السفينة حيث وجدوا زمرة من القراصنة ، مما حدا بالشاعر ان يأمرهم بالاستسلام ، وهكذا فعلوا .

وفي اليوم الذي تلا ذلك اليوم ، عرضت اسلحة القراصنة في السوق . فاشترى برنز منها اربعة مدافع . ارسل بها جميعا الى الحكومة الثورية في فرنسا مع رسالة يعبر فيها عن تأييده لقضية الحرية . الا ان المدافع حجزت في كمرك (دوفر) قبل اجتياز القنال . ذلك بان الحكام

البريطانيين كانوا يمقتون « سيطرة الرعاع الدموية » القائمة في باريس اشد المقت ، لانها دفعت بالعائلة الحاكمة الى السجن ، ولانها اقتلعت اسس المجتمع المنظم . ومن اجل ذلك قررت حكومة صاحب الجلالة اجراء التحقيق للكشف عن الثائر المستخفي في البلاد ، هذا الثائر الذي تجاسر ان يرسل اسلحة الى « الارهابيين الفرنسيين » . ومن اجل ذلك تقرر تعيين احد الجواسيس لمراقبة تصرفات برنز .

كان نصف مجنون ــ هذا ما اعلنه سكان «مفرزشاير» وذلك بان الشاعر اصر على تحريك لسانه الطليق مظهرا اعجابه بالثوار في كل حانة . وحري برجل يحصل لقمته من وظيفة حكومية ، الا يتباهى بطعن رئيس الوزراء . ولا شك في الشراب الناري هو الذي كان يفعل ذلك . اليس من انسان يهدىء روعه ؟ ما اشد خطر هذه الكلمات الحمقى التي تنبعث من بين شفتيه ! « ان اليوم الذي سيكون فيه الانسان اخا للانسان قريب آت . وان غدا لناظره قريب» .

يا الهي ، هذه المشاعر نفسها التي تدفع بمجانين باريس لكي يريقوا دماء النبلاء على « الجيلاتين » المنحوسة . اسكت مالك ولهذا الهذر !

ولكنه في اغلب الاحيان يعود اليه هدؤه ، ويصبح اكثر صحوا ، وبخاصة حين يجلس بالقرب من الموقد صباحا ، فيتأرجح في كرسيه منشدا اغاني اسكوتلنده في جبالها ووديانها . وفي هذه الحال يحل سلام الله على جميع من يصغي العيش اليه ــ الا منشد الاغنية . ومن اجل ذلك تراه اكثر سكونا واشد حزنا . لان السؤال الملح لا يزال يرتسم على شفتيه ، ولا تزال الحيرة في عينيه ، والثورة في روحه .

« وانت ايتها السواحل والجبال الجميلة ، كيف تغمرك البهجة والجمال والسرور !

وانت ايتها الطيور الصغيرة كيف يسعك الغناء ، وانا تعب من همومي وشجوني كل هذا التعب ؟ »

اشتدت عليه العزلة اكثر من قبل ، الى حد ان نساء « مفريز » انفسهن نبذنه . تركته النساء المطرودات ، الواحدة اثر الاخرى . غير ان زوجته المحبة ، المضحية ، الغفورة ، ظلت بجانبه الى النهاية . ومع هذا ، فهذه المراة واحدة حسب ، في حين ان قلبه نحلة جوالة ، تحتاج لارتشاف كل زهرة برية . « ذلك بان روبن شاب متنقل لا يستقر امره على حاله » وهذا ما جعل هذا الشاب مهيض الجناح حزين النفس .

وحين لم يكن في الحانة ، يسعك العثور عليه في البيت ، وهو يشرح لاكبر ابنائه فصلا من الشعر لاعاظم الشعراء الانكليز ، ومما كان يحادث ابنه فيه ، هو قوله « يا بني ليس من قصة ، بين جميع القصص التي دبجها القلم ، ما يثير النفس ويحرك الاحزان مثل قصة حياة شاعر . حياة خاضعة للاغراء المستمر ، والوحشية ، والسخرية . يا ولدي انظر الى والدك ــ فهو مغني اجمل الالحان في اللسان الانكليزي . تمعن في ناظريه جيدا ــ فهو سكير ، لا يحسن عملا ، وهو انسان متشرد شقي ، سافل الخلق ، يبعث على الاشمئزاز ! »

ثم بدا يشعر باقتراب الاجل ، ومع انه كان في السابعة والثلاثين فحسب ، الا انه احس « كانه في عمر ميتو شالح وضعف دمعة نسوية . » . كان قلبه يكاد يكون وحيدا . فاعد نفسه للنهاية ، وقدم الى اصدقائه عددا من المسدسات التي استعملها في ادارة الكمارك ، وذلك على سبيل الذكرى . فقال بهذا الشأن وهو يخاطبهم « خذوها فهي مثار شرف لصانعها ، وهذا اكثر مما يقال بالنسبة لمن استخدمها . »

وفي ذات ليلة من ليالي الشتاء ، جلس كما كان معتادا ان يفعل ، في الحانة يحف به زملاؤه . فقال « يا اصدقائي ، انا على وشك الموت . » مما حمل العواد ان ينتزع نفسه من نعاسه ليحملق فيه . كما ان جنديا كان منطرحا على كرسيه غدا كله عيونا . اما المغنية المتورمة الاوداج ، فقد اوقفت لحنها الخفي الشيطان في عيني الشاعر وقال « يا اخواني الشباب والشابات ، لقد وجدت هدفي في الحياة . فانا اعرف الان اين اتجه . ومن اجل ذلك تسلمت رسالة من الموت . » وضع يده على قلبه ثم استطرد قائلا « ماذا تقولين يا ماري اندرو وانت يا بوزي نانسي ؟ لا ينبغي ان تهتما ، فالذي صنع قلبي ، سيحتملني وسيحاكمني محاكمة عادلة امام عرش الديمونة . » ثم انه اعلن عن سفره بابتسامة حزينة قائلا « وداعا ، يا اعضاء القافلة المزقين ، ايتها الاحمال الثقال ، يا من تهتم في دروب الحياة ، وداعا . »

عاد ادراجه الى البيت ، وراسه غاف ، تمتزج الالحان والابخرة في ذهنه . ثم قال « خذ كاسا من الرحمة . . » صفعت الريح وجهه بالثلج . وامتلأ الهواء برقصة الارواح اللعوبة . ثقلت عيناه تدريجا ، وهبط خدر عذب على ذراعيه وساقيه . والان انصت الى الموسيقى الرائعة ! ملايين الاصوات في العالم كله ، اصوات مفعمة بالعواطف والذكريات ، كل هذه انسجمت في جوقة عظيمة ، لتغني نشيد الثلوج المتلاعبة .

انهار الى الارض ملتفا برداء احلامه . « والان هذه هي اليد ، يدي القوية ، وهي تقدم لي كاسا من الرحمة . . » هذا ما نطق به في حلمه . ولما استيقظ كان النهار ، وكل شيء هادىء ، والبرد لا يزال شديدا ، سحب نفسه الى قدميه ومشى . ولكن خطاه لم تسعفه كثيرا في سيره . ذلك بانه تقبل دعوة الموت قبولا حسنا .

العراق ــ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

سلمى ...
صديقتنا
اليتيمة

✻

لحسن البياتي

●

بغداد

✻

اختاه هلاّ تذكرين
تلك التي ازدهرت بحارتنا القديمه ؟
سلمى .. صديقتنا اليتيمه ..
اختاه هلا تدركين ؟ :
كنا صغارا كالعصافير البريئه ..
نلهو ونلعب ليس ندرك ما الخطيئه ..
ما قولهم : « شلت يد الجاني الاثيمه ،
تبا لها اقترفت جريمه !! »
اختاه كنا كالمصابيح المنيره ..
في ليل حارتنا الصغيره
كالورد طهرا ، كالفراشات الجميله
لم ندر ما معنى الرذيله
ضحكاتنا الجذلى كانغام مرنّحة طروبه ...
اصداؤها كانت ترن بأفق حارتنا الحبيبه

***

اختاه هلا تدركين ؟ :
عام مضى .. وتلته اعوام قصيره
ثم ارتحلنا تاركين
سلمى .. صديقتنا الفقيره ..
في حضن حارتنا الصغيره .

***

اختاه هلا تذكرين ..
تلك التي ازدهرت بحارتنا البريئه ؟
اختاه أمس رأيتها تستاف من خمر الخطيئه
في حارة أخرى .. ملوثة .. دنيئة ..
ويدي الاثيمه ..
ـ شلت يدي ـ كانت تشاركها الجريمه !!

***

اختاه هلا تسمعين ؟
بالامس قد أدركتُ ما معنى الخطيئة
حين اجتنت يديَ الدنيئه ..
ثمر الجريمة ..
من غصن جارتنا اليتيمه ،
سلمى .. رفيقتنا الجميله ..
وعرفت ، يا أختاه ، ما معنى الرذيله ،
ما قولهم : « شلت يد الجاني الاثيمه
تبا لها اقترفت جريمه !! »

للكاتب الصيني لين يوتانغ

الالهة المرمرية

ترجمة سليم حنا صويص

كانت(١) الرحلة الى (يانجتر) شاقة مملة ولكنني وصلت اخيرا الى بيت الحاكم السابق الكائن في احدى ضواحي المدينة قرب (يانجتو)وكان هذا الحاكم مشهورا بحبه للتحف الفنية حتى انه كان يستعمل نفوذه السياسي ليحصل على هذه التحف ولكنه لم يعمد مطلقا الى اقتناء اية عائلة ترفض بيعه قطعة فنية . وقد استطاع ان يجمع في بيته بهذه الطريقة قطعا فنية نادرة .

استقبلني الحاكم باحتفاء وكان معظم الحديث يدور حول الفن وقد اعجبني كثيرا مظهر الوداعة والتواضع الذي يتسم به . فقد شعرت انه يعاملني معاملته لصديق جاء يسامره فحرت هل اخبر صديقي بغرض الزيارة ام ان السنين علمته كيف يسلك مع الناس ؟

وفي اثناء الحديث ذكرت تحفه الفنية فاجاب بابتسامة وديعة علت ثغره « ان هذه التحف تخصني الان ولكن بعد مائة سنة ستصبح ملكا لغيري . ان العائلة لا تستطيع ان تحتفظ بكنز فني أكثر من مائة سنة. ان لهذه التحف حياة خاصة بها . انها تنظر الينا وتسخر منا » قال هذا باجهاد ثم اشعل غليونه .

ــ هل تؤمن بذلك ؟

ــ طبعا

ــ ما تعني ؟؟

ــ كل شيء قديم يكون ذا هيبة واجلال ويكون له تاثير عظيم على الناس .

ــ هل تعني انها تصبح روحا .

ــ ما هي الروح ؟ انها هي التي تكون الحياة . خذ قطعة فنية . ان الفنان يسكب تفكيره ودم حياته كما تسكب الام حياتها في طفلها . فلم تتعجب اذن اذا قلت ان لها حياة خاصة بها عندما تدخلها حياة فنان ؟ ولكي يمنح الفنان قطعته الفنية روحه يميت نفسه كلما حدت لتمثال آلهة الرحمة المرمري » .

لقد رميت من وراء هذا الحديث ان ارى بعض تحفه الفنية . ولم اكن قد سمعت شيئا عن تمثال آلهة الرحمة . ولكن سؤالي الغير المقصود ساق قصة من اغرب القصص التي سمعتها . لم افهم ما عناه عندما راح يتكلم عن الظروف الشاذة التي خلقت آلهة الرحمة وعندما رحنا نتفحص التماثيل حاولت ان اعود به الى اول الحديث فقلت مشيرا الى تحفة قديمة ــ « حقا ان الفنان يسكب روحه في القطعة الفنية التي يصنعها» .

ــ « نعم كل ما هو خير وجميل يعيش الى الابد . انها تبقى كما كانت مصدر خلود الفنان » .

ــ سيما عندما يميت الفنان نفسه في خلق تحفته كما فعل خالق آلهة الرحمة المرمرية .

ــ هذه حالة شاذة لانه لم يمت نفسه من اجلها انك ترى ان جميع مراحل حياة الفنان تظهر لتصرح بان هذا الفنان لم يولد الا لكي يخلق هذه التحفة الفنية وليضحي بنفسه في سبيلها. والا لما كان بامكانه ان يخلقها.

ــ لا بد وان تكون قطعة فنية نادرة . فهل استطيع ان اراها .

فكر الحاكم مليا واخيرا وافق على طلبي وادخلني غرفة ملأى بالتحف الفنية وكانت قطع فنية نادرة ملقاة على الارض في شبه اهمال . اما تمثال آلهة الرحمة المرمري فقد وضعه في صندوق من الزجاج واحيط بحديد ثقيل يستحيل تحريكه (او زحزحته) .

قال الحاكم « ان الذي ابدع هذه القطعة الفنية فنان مجهول يسمى « (تشانج بو) تعرفت الى حياته عن طريق راهبة عجوز في دير . لقد اعتدت ان اقدم قطعة كبيرة من املاكي الى الرهبنة . وكان هذا يحدث قبل ان تموت الراهبة صاحبة هذا التمثال . انظر اليها من جميع الجهات وسترى انها تنظر اليك دائما .

لقد حرت بالطريقة التي حفظ بها تحفته كانها حية . والواقع انني شعرت بشعور عميق غامض عندما رأيتها تتبعني بنظراتها حيثما توجهت .

كانت الالهة تحاول ان تنفلت ولكن قوة رهيبة تمنعها من الانطلاق فرفعت يدها اليمنى الى اعلى والقت براسها الى الوراء ومدت يدها اليسرى الى امام . لقد كان مظهرها يشبه مظهر فتاة فصلت قهرا عن شاب احبته . انها تشبه آلهة الرحمة وهي صاعدة الى السماء مادة يدها لتبارك الجنس البشري . والواقع ان

---

(١) هذه القصة الصينية الرائعة لكاتب صيني قديم يسمى :
Chingpen T'ungshu - Shiaoshus
وقد اعمل فيها لين يوتانغ يد التبديل والتحريف فجاءت على الشكل الذي نرويه هنا . وقد اعتبرها الفيلسوف الصيني المعاصر يوتانغ اروع القصص الصينية على الاطلاق .

كل من رآها لا يقنع بهذا الوصف المبتذل . انك لا تستطيع ان تتصور كيف استطاع هذا الفنان ان يخلق مخلوقا حيا من حجر لا يزيد علوه عن (١٨) بوصة .

ـ كيف استطاعت هذه الراهبة ان تملكها ؟ سألت الحاكم .

ـ انظر الى وضع التمثال بتأمل. تمعن في محاولتها الانطلاق وفي تعابير الخوف والحب والالم العميق في عينيها ، سوف اخبرك القصة بكاملها .

ان الراهبة التي روت هذه القصة قبل وفاتها تدعى (ميلان) انالراهبة لم ترو القصة كما يجب ولكنها بالغت قليلا لتجعل القصة اكثر جاذبية . لقد كانت الراهبة شديدة التكتم حتى انها في نزاعها الاخير لم تخبر احدا عن نفسها .

كان ذلك قبل مائة عام . وكانت ميلان اذ ذاك فتاة مرحة تعيش في بيت موسر في (كيفنج) كانتوحيدة لوالديها . وكان ابوها يشغل مركزا ملحوظا في المدينة الا وهو منصب وال وقد اشتهر ابوها بتعسفه الشديد مع الشعب وان كان شديد الحدب على طفلته الوحيدة التي سكب عليها عطفه وحنانه . وقد رحل الى (كيفنج) عدد كبير من اقاربه فمنح المثقفين وظائف في الحكومة والجهلاء ابقاهم خدما في البيت .

وجاء يوما غلام ذكي لم يتخط السادسة عشرة من عمره يسمى (متشانج بو) وكان مملوءا حيوية ونشاطا . وكان ظريفا ومرحا ففرض شخصيته على الجميع فانابوه عنهم في استقبال الضيوف .

كان يكبر ميلان بسنة واحدة ولما كانا لا يزالان صغيرين فقد كانا يجتمعان ويتحادثان ويتضاحكان . وكان بو يروي لميلان قصصا عنبلاده وكانت تستمع اليه بشغف .

لم يرتح بو لهذا العمل فكان شديد الاهمال لواجبه مما احفظ عليه العائلة . لقد كان عنيدا وكان يرفض بشدة اي انتقاد لاخطائه . ولهذا طلبت اليه العائلة ان يترك وظيفته ويتحول الى بستاني . وقد شعر بو بالسعادة .

لقد كان بو احد اولئك الذين ولدوا ليخلقوا لا ليتعلموا ما يعلمه المجتمع . لقد كان سعيدا عندما ينفرد بين الازهار والاشجار وعندما كان يترك وحيدا كان يعمل تماثيلمختلفة تثير الضحك . لقد علم نفسه الفن بدون معلم .

وما كاد (بو) يبلغ الثامنة عشرة من عمره كان مثال الرجل الذي لا يستفاد منه . ذلك لانه كان يكره العمل . ومع ذلك لم تكن تعرف ميلان ما هو الشيء الذي يجذبها اليه .

وفي احد الايام جاء الى ربة العائلة وقال لها انه سيفتش عن عمل . لقد وجد دكانا لصنع التماثيل فقدم نفسه كمعاون له . ومع ذلك فقد كان يحضر يوميا الى البيت ليتحدث مع ميلان .

وقالت الام يوما لميلان « لقد كبرت الآن . ومع ان (بو) ابن عمك الا انه يجب ان تبتعدي عن رؤيته والتحدث اليه » . اثارت هذه الكلمات تفكير الفتاة وجعلتها تعرف ، لاول مرة ، انها تحب (بو) وانها لا تستطيع ان تنفصل عنه . فلما اجتمعا في الليل اخبرته ما دار بينها وبين امها في الصباح . فاجاب : « نعم » يجب ان نفترق . فطأطأت الفتاة راسها خجلا وحياء وقالت « ماذا تعني ؟ » فطوق بو خصرها وقال « هذا يعني ان فيك شيئا يجذبني اليك كل يوم ، يملأني رغبة لكي اراك ، شيئا يجعلني اشعر بالسعادة عندما اكون قربك وبالوحشة والحزن عندما اكون بعيدا عنك . » فتنهدت الفتاة وقالت « هل انت سعيد الان ؟ فقال وقد كادت نفسه تتلف ، « نعم » وكل شيء يتغير . ميلان كل منا ملك للاخر .

ـ انت تعلم انني لا استطيع ان اتزوجك وان اهلي يعارضون في ذلك

ـ يجب ان لا تقولي ذلك .

ـ يجب ان تفهم .

ـ انا لا افهم الا هذا ، واحتضن الفتاة بذراعيه ، منذ ان خلقت السماء والارض خلقت لي وخلقت لك ولن اتركك . كما انه ليس خطأ ان احبك. ولكن ميلان افلتت من قبضته وعادت الى البيت مسرعة .

ان ايقاظ هذا الحب الفتي كان مزعجا للغاية . فكلما عرفا الفوارق التي تحول بين قلبيهما ازدادا شغفا وهياما . لم تنم ميلان ليلتها وظلت تفكر وتقارن بين مقالة والدتها ومقالة (بو) . ومنذ ذلك اليوم تغير كل شيء . فكلما حاولا ايقاف هذا الحب الناهض شعرا بقوته تسيطر عليهما . جربا ان ينفصلا . ولكن لم تمض ثلاثة ايام حتى جاءت اليه الفتاة وكان الشوق قد استبد بها . لقد كانت هذه ايام الحب العنيف والفرقة المحرقة والوعود المتجددة . وكانا يشعران انهما بقبضة شيء اقوى منهما .

وبالنسبة لعادات ذلك الزمان كان الشباب يتوافدون على والديها طالبين يدها وكان والداها يعدانهم خيرا . اما هي فقد رفضتهم جميعا بحجة انها لا تريد ان تتزوج الان . ولم يضغط عليها والداها لانها كانت وحيدة ولا تزال صغيرة .

استمر (بو) في صنع التماثيل وهنا تجلت هوايته وميله الطبيعي فاستطاع ان يخلق من نفسه فنانا في فترة قصيرة . لقد احب هذه المهنة الجديدة فلم يعرف التعب والملل مهما طالت ساعات عمله . وقد اعجب به سيده .

صمم والد ميلان ان يهدي الامبراطورة شيئا في عيد ميلادها فرغب في ان يهديها قطعة فنية نادرة . فاقترحت الام ان يذهب الى (بو) ويطلب منه ذلك . وقد احضر حجرا مرمريا لذلك وقال له « يا بني اريد ان اهدي هذا التمثال الذي ستصنعه الى الامبراطورة . فاذا اتقنت ذلك كفلت مستقبلك » .

فحص (بو) الحجر المرمري وراح

ينحته بلطف وأناة وفرح . لقد صمم ان يصنع تمثالا لـ (كوآن لاي) الهة الرحمة يكون اجمل شيء وقعت عليه عين انسان .

وقد استغرق صنعه عدة شهور وكان التمثال آية في الجمال والابداع لقد صنع (بو) ما لم يستطع صنعه أي فنان قبله . لقد نحت زوجين من الاقراط المستديرة وكانت « الاذن مفتوحة بشكل يرغمك على الاعجاب بمبدعها » لقد كانت الالهة تشبه معبودته ميلان . وعندما رآها الاب سر كثيرا لانه ايقن ان هذه القطعة الفنية لا مثيل لها في القصر كله ثم قال بسذاجة : ان وجهها يشبه وجه ابنتي ميلان . والتفت الى (بو) وقال بصلف : منذ الان تحقق لك النجاح يجب ان تذكر صنيعي نحوك لانني سبب شهرتك قال هذا ودفع بسخاء لبو .

اشتهر (بو) كفنان موهوب ومع ذلك فان امنيته لم تتحقق . انه يشعر ان نجاحه ليس شيئا بدون ميلان لقد شعر ان امنيته العظيمة ما تزال بعيدة المنال ففقد رغبته في العمل ورفض ان يقبل الهبات الخيالية التي كانت تدفع له بالرغم من رجاء سيده الحار وحزنه . كانت ميلان تطل على الحادية والعشرين من عمرها ولم تخطب بعد . وكان ابواها يهيئان خطبتها لعائلة ذات نفوذ .

وفي غمرة اليأس والفشل قرر الشابان الهرب ليلا . واخذت ميلان بعض حليها لتنفقها في الرحلة المجهولة . وقررا ان يهربا ليلا من باب الحديقة الخلفي . وما كادا يفعلان ذلك حتى رآهما الحارس فحاول منع الفتاة من الخروج خوفا من الفضيحة والعار فما كان من بو الا أن ضربه بقبضة يده فسقط على صخرة ناتئة شجت راسه فمات . وعند الصباح اكتشفت العائلة هرب الشابين ومقتل الخادم ولما فشلت في العثور عليهما اقسم الوالي في غمرة من الغضب العنيف الذي استولى عليه نتيجة اخفاق مساعيه في العثور عليهما اقسم الوالي ان يبث عيونه في الارض كلها ويحضرهما الى محكمة العدالة .

بعد سفر طويل تجنب الحبيبان فيه المرور في المدن الكبيرة حطا رحالهما في الصين الجنوبية .

قال بو لميلان :

ــ اظن ان المرمر الممتاز متوفر في



كيانجز .

— هل تظن انه لا بد لك من ان تشتغل في صنع التماثيل المرمرية ثانية ؟ . ان هوايتك ستدل اعداءك عليك وتخونك .

— اظن ان هذا ما اتفقنا عليه .

— كان هذا قبل ان يموت (تاي) الخادم . انهم يظنون اننا قتلناه . ألا تستطيع ان تغير تجارتك ، اصنع نواقيس ومفاتيح كما اعتدت ان تفعل من قبل .

— لماذا ؟ لقد اشتهر اسمي بصناعة التماثيل .

— اشتهرت ؟ هذه هي المصيبة الكبرى .

— لا داعي للانزعاج ان كيانجز تبعد (١٠٠٠) ميل عن العاصمة . لا احد يعرفنا .

— اذن غير اسلوبك لا تصنع تماثيل فنية حية . بل اصنع تماثيل عادية تكسب بها لقمة خبزك . زم بو شفتيه ولم يجب . هل يكتفي بصنع ما يصنعه الاف غيره فيبقى مجهولا ؟ . هل يجني على فنه ام يسمع لفنه ان يبيده ؟ لم يفكر في هذا من قبل .

لقد كانت زوجته مصيبة في رايها . انها خشية ان يكون العمل التجاري الرخيص ضد طبيعة زوجها. ولاحظت ان قوة غريبة تدفع زوجها الى صناعة التماثيل الفنية ، وان هذه القوة هي التي قادته الى كيانجز . وهي التي قادته الى كنتون الى السهول الجنوبية الخصبة . انهم لم يجرؤا على الوقوف في نانتشانج . العاصمة الرئيسية فذهبوا الى كيان . ان كيانجز تنتج اجود انواع الكاولين والخزف الصيني وسيجد زوجي في ذلك ما يشبع نهمه الفني . ولكن زوجها لم يصغ اليها بل اجاب (وحتى لو فعلت ما اشرت به علي فان هذه الصناعة ستدل علي) نحن في أمان لنصنع تماثيل مرمرية .

— اذن يا حبيبي ارجوك من اجلي ان لا تضع عليها اسمك نحن في خطر . واذا فعلت فستفنى لا محالة.

قالت هذا لانها مقتنعة بان زوجها يسكب روحه في تماثيله فيخرجها في منتهى الدقة والفن . يجب على زوجي الا يهرب من رجال الامن ولكن من نفسه من احساسه الرقيق بالجمال وحبه العميق للكمال واعتزازه بعمله وعطفه على هوايته .

استطاع بو ان يفتح محلا من جواهر امراته فأحضر حجارا من المرمر وراح يخلق منها مخلوقات حية شيقة سكب فيها روحه فجنى ارباحا هائلة فقلقت زوجته كثيرا وتوسلت اليه قائلة (ان اسمك بدأ يلمع في هذه الاقطار النائية ، وانا اتوقع ان اضع طفلا فاحذر .... ارجوك) .

مضت سنة ولكنها حملت معها الشهرة لبو حتى أصبح كل غاد ورائح الى المدينة يقف عند دكانه ليشتري قطعه الفنية .

وجاءه يوما رجل غريب فسأله (الست تشانج بو قريب الوالي في كيفنج) فأنكر بو ذلك وقال انه لم يزر كيفنج مطلقا . ولكن الرجل نظر اليه ساخرا (ولكنك تتكلم لهجة الشماليين بطلاقة . ألم تتزوج ؟)

— ليس هذا من شأنك .

وكانت ميلان تسترق السمع فعرفت الرجل واخبرت زوجها انه احد عيون والدها .

وفي اليوم التالي جاء هذا الرجل وقال لبو سأخبرك من هو بو . انه شاب مطلوب للقتل لخطفه ابنة الوالي وسرقته جواهره وقتله خادمه . فاذا أردت اقناعي بانك لست بو فدع زوجتك تحضر لي فنجانا من الشاي. فقال (انني ادير دكانا واذا كنت تريد خلق مشاكل فأرجو ان تغادر حالا . فغادر الرجل الدكان بعد ان شيع بو بابتسامة ساخرة .

حالا جمع بو وزوجته أثمن ما في دكانهما من قطع فنية واستأجرا زورقا وسافرا ليلا . وكان طفلهما ابن ثلاثة اشهر فقط .

لعل العناية الالهية او القدر هو الذي رتب كل ذلك . فعندما وصلا كاتشين — اضطرا الى الوقوف لان الطفل كان مريضا فاضطر بو ان يبيع اثمن قطعة فنية الى تاجر يسمى (وانغ) ليعالج طفله .

فقال التاجر ان هذا من صنع بو . ولا يستطيع احد ان يجاريه او يقلده في هذا المضمار . فسر بو كثيرا وقال انه اشتراها منه .

أعجب بو بسماء كاتشين الصافية وهوائها المنعش فصمما على المكوث فيها واضطر بو الى بيع بعض تماثيله ليفتح دكانا . فقالت له زوجته يجب ان تفتح دكانا عاديا أن مهنتك هي التي دلت اعداءك عليك . فاترك هوايتك العلها اعز عليك من زوجتك وطفلك . لعل الامور تصفو ثانية فتعود الى هوايتك مطمئنا .

افتتح بو الدكان رغما عن ارادته. ولكنه لم يستطع ان يستمر في ذلك طويلا فأغلقها وعاد الى هوايته رغما عن زوجته التي كانت ترتجف هلعا من الغد المؤلم الرهيب .

طلب وانغ من بو ان يزوره . وفي اثناء الحديث ذكر التاجر القطعة الفنية التي باعه اياها وسأله اذا كان لديه قطعا اخرى ليشتريها . فباعه بو بعض ما عنده . وعندما سافر هذا التاجر الى المدينة لبيع هذه التماثيل حدث اصدقاءه عن تاجر

مجهول يحوي دكانه مجموعة من اجمل قطع بو الفنية .

بعد ستة اشهر داهم بيت بو ثلاثة جنود ليأخذوه وزوجته الى العاصمة ليقدموهما للمحاكمة فطلب منهم بو أن يسمحوا له بأخذ بعض الاشياء وبعض الملابس للطفل فوافقوا على ذلك لان الوالي امرهم ان يعاملوه بلطف .

التقى بو بزوجته ليودعها الوداع الاخير فقبلها وقبل الطفل وهرب من النافذة بينما تظاهرت الزوجة بالانهماك في الشغل وقالت له سأحبك الى الابد لا تقرب هوايتك بعد ، ولم يفطن الحراس الى فرار بو الا بعد فوات الوقت . فعادت ميلان الى بيت ابيها فوجدت امها قد توفيت ووالدها قد هرم . فلما حيته لم يأبه لها وانما القى نظرة على الطفل . انه مصمم على الا يغفر للشاب الذي دمر حياة ابنته وجلب الشقاء للعائلة بكاملها .

مرت السنون ولم يأت اي خبر عن بو . وجاء يوما الحاكم يانغ من كنتون الى العاصمة فأولم له الحاكم وليمة على شرفه . واثناء الغداء قال الحاكم انه احضر تمثالا يضارع تمثال آلهة الرحمة الذي اهداه الحاكم الى الامبراطورة وهو يشبهه في طريقة صنعه وابداعه . وكان على وشك اهدائه للامبراطورة ليكون صنوا لتمثال آلهة الرحمة .

ولكن الضيوف اعلنوا انه من المستحيل خلق تمثال يضارعه . فقال الحاكم بزهو : انتظروا حتى اريه لكم فلما رفع الغداء احضر الحاكم الزائر صندوقا خشبيا لامعا وعندما وضع التمثال على الطاولة استولى على الجميع ذهول عجيب . لقد كانت تشبه بل تفوق تمثال آلهة الرحمة .

اسرعت الخادم لتخبر ميلان بما سمعت فنظرت ميلان من وراء ستار ورات التمثال المرمري موضوعا على الطاولة فصرخت (أنه هو الذي صنعها ... انا اعرف انه هو)

واندفعت نحوهم لتسأل ما اذا كان بو ما يزال حيا .

فسأل ضيف (من الفنان ؟) فقال الحاكم هذه هي النقطة الحساسة في القصة انه ليس مثالا عاديا لقد تعرفت اليه بواسطة ابنة اخت زوجتي لقد ارادت ان تذهب الى خطبة فاستعارت اقراط زوجتي الفريدة لتلبسها في هذه المناسبة . فكسرت ابنة اختي أحد القرطين وذعرت كثيرا . لقد كان حادثا مؤسفا حقا لان من الصعب صياغة مثيل لها . فذهبت الى كثير من الصياغ ولكنهم أظهروا اسفهم لعدم امكانهم صياغة شبيه له . ويوما ما وعلى حين غرة دخل شاب زري الهيئة وقال ان بامكانه ان يصوغ قرطا نظير الذي فقد . هكذا تعرفت اليه .

ولما علمت ان الامبراطورة ترغب في أن يكون لديها تمثال يكون صنوا لتمثال آلهة الرحمة فكرت بهذا الرجل وأمرت باحضار احسن قطعة مرمرية في كنتون ولما حضر كان مذعورا كأنما قبض عليه كلص . فاحتجت الى وقت طويل لاقناعه بغرضي . ثم تقدم الى الحجر ببطء وفحصه بامعان فسألته اذا كان الحجر لا يصلح لهذا الغرض . فقال : انها تستحق التجربة . لقد وددت طيلة حياتي ان يكون لدي هذا النوع من المرمر . وسأصنعه لك شرط ان لا تدفع لي ثمنا وتعطيني الحرية الكاملة لاصنع ما يدور بخاطري .

فافردت له غرفة متواضعة وأحضرت له جميع اللوازم . لقد كان غريب الاطوار لم يكلم احدا ولكنه كان فظا مع الخادم الذي انيط به احضار كل ما يطلبه . لقد كان ينحت كأنما ينحت من قلبه ولم يسمح لي برؤية التمثال الا بعد ثمانية اشهر فاعتراني ذهول عجيب لدى رؤيته ولما نظر الى تمثاله الذي ابدعه ارتسم على وجهه تعبير غامض وقال « بودي لو اشكرك ايها الحاكم ان هذا التمثال يمثل تاريخ حياتي كلها » ثم انصرف قبل أن اجيبه فلحقته ولكنني لم ادركه .

سمع الضيوف صرخة امرأة قوية اهتز لها الجميع وجمدوا في اماكنهم فخرج الوالي الى الغرفة التي انبعثت منها الصرخة فوجد ميلان ممددة على الارض .

همس احد الضيوف المقربين الى الوالي بأذن الحاكم الضيف وقال له : « هذه ابنة الوالي انها الالهة . انا لا اشك في ان الفنان زوجها » .

عندما استفاقت ميلان تقدمت من الطاولة التي وضع عليها التمثال ورفعت يديها ببطء وتسمرت امامه وكانت تشعر كأنها بلمسها التمثال تلمس زوجها ولاحظ الجميع ان ميلان والتمثال كانا شيئا واحدا .

قال الحاكم : « احتفظي بالتمثال يا عزيزتي بامكاني ان اجد هدية ثانية للامبراطورة . آمل ان يكون بعض العزاء لك انها ملكك حتى تجتمعي بزوجك ثانية » .

منذ ذلك اليوم اخذت ميلان تضعف كأنما دب في جسمها داء عضال . واصبح الوالي على استعداد ليغفر كل شيء لصهره (بو) وفي العام التالي جاء نبأ من كنتون يقول : بان المساعي التي بذلت للعثور على بو باءت بالفشل .

بعد سنتين مات ابن تشانغ بو بمرض معد اجتاح المدينة فحلقت ميلان شعرها ودخلت احد الاديرة ومعها التمثال المرمري وعاشت في عزلة تامة ولم تسمح لاحد بالدخول عليها . وقد روت رئيسة الدير للوالي أن ميلان كانت تكتب الصلاة تلو الصلاة ثم تحرقها امام التمثال المرمري . ولم تطلع احدا على سرها وان كانت سعيدة ومرحة .

بعد عشرين عاما منذ التحاقها بالدير ماتت ميلان . وهكذا تلاشت آلهة الرحمة وخلدت آلهة الرحمة المرمرية .

عمان **سليم حنا صويص**

غدي

*

لفؤاد رفقه

الجامعة الامريكية بيروت

غـــدا ستهدمنـــي اهوال آلامي وينشر العتم استارا لآثامي
واحجب النور عن عيني بحالكة واغرق الوعي في خمري وفي جامي
واستعيد لذاذاتي وأطعمها لحمي وعظمي واروي قلبي الظـامي
سأشبـع النفس مما تشتهي نهمـا حتى تعجل في موتي واسقامي
حتى تجف دماء الطهر من كبدي وتهرم الروح من اثقـال اعوامي
غدا سأفني بقايا الروح من جسدي وأمسح الليل عن جفني واوهامي
وانطوي في ظنون الغيب يا عدما أطبق رهيبا وحطم صدري الدامي
واسحق ضلوعي وغيبني بغامرة أسلوبها حيرتي أو رجع أحلامي
اسلوبها أمسي المهدوم ما بقيت منه سوى شهقة حرى ... والهامي
أمسي ؟ ويا حسرتي للامس أذكره في كل بارقة تبدو ... واظلام
آه املأي الكأس علّ الخمر تحجبني عن ذكرياتي، ويفنى هول اجرامي
علي أغيب عن الدنيا وشهوتها وتمحي في الهوى آثار ... أقدامي

*

نداء الحب

*

لمحمد الحديدي

القاهرة

لم أعرف الحب .. لم تسعد بلذته من قبل روحي ، ولم تصرخ بشكواه
أحس منها حنينـــا لا يخف له وللـــذي تتمنـاه ... وتهـــواه
مـا أعظم الحب ! ما أحـلاه أمنية لولا الفراق الذي يغشاه ، لولاه
كم عاشق في ظلال الحسن مرقـده وعاشق في جحيم الهجر مثواه
وكم حبيب تمنته النفوس فلم يرجع اليها .. ولم تفرح برؤيـــاه
الحب ! آه .. لقد مرت مواكبه علي من غير أن أحظى بلقيـــاه
ضاعت لياليـه من عمري ! فليس له منها نصيب يوافيني بذكراه
يا ليت شعري لو مدت الي يداه الان : أين مكاني من حنـاياه
لقد أكون صفيا من صحابته وقد أكون شقيـــا من ضحايـاه
لقد رضيت بمـا ألقى .. الي به الحب ! الحب ! أرجوه وأخشاه
لقد دفنت حذارا مـن مهالكه قلبي ، ومـا زال خفاقا بنجـــواه
الحب ! الحب ! ما أشقى الذين مضوا من غير أن يسعد الايام مسراه

بقلم جورج لينوتر

وثائق للخلود

ترجمة محمد العربي الحسن

✳

في السنوات الاولى للعهد الامبراطوري الثاني ، كان ميشيل شال قد بلغ وهو في الثامنة والستين من عمره اعلى ذرى المجد والشهرة . وليس هذا لان الجمهور كان يهتف باسمه في العشي والابكار ، كبونسون دي تيراي او الكسندر ديماس. فان آثاره لم تكن معروفة الا في اوساط المثقفين العليا ، كان ميشيل مدينا بانتشار اسمه من جديد لدراسة هندسية صعبة انتشرت بين علماء الرياضيات ، ثم توالت دراساته الاخرى ومعها الشهرة والمجد .

واستمر العالم « ميشيل شال » في ايامه بانه صاحب العقل الركين والذهن الصافي والخيال المنضبط والحس الناقد الجلي الخطرات ... ولا عجب فهو خريج دار المعلمين العليا منذ العام ١٨١٢ ومراسل « مجلة الرياضيات والفيزياء » الصادرة في بروكسل وعضو الاكاديمية العلمية الملكية البلجيكية واستاذ « الجيوديزيا » في البوليتكنيك ...

وحار العلماء النفسانيون في تحليل هذه الشخصية ولكن الاجماع انعقد اخيرا على ان هذه العظائم مرجعها ممارسة الرياضيات ؛ ولكن عالمنا لم يكن رهين محبسين من علمه وزهده . فان عقله النير المتسع كان يشتمل بنفس القوة على فروع اخرى من المعرفة الانسانية : فقد كان يحب التاريخ ويجمع الوثائق والخطوط التذكارية ويبدع حين يجلو من اعماق الحاضر المتهدم صورة جميلة للغابر البعيد !!

★★★

وفي احد ايام ١٨٦١ استقبل العالم « شال » في مكتبه رجلا فقيرا كان قد طلب مقابلة العالم العظيم لفترة وجيزة ؛ كان الزائر المسكين في حوالي الخامسة والاربعين من العمر ذو عينين براقتين حليق الذقن يلوح على ايماءاته التهذيب الرفيع ممزوجا بالاحترام القريب من التذلل . ولكن هذا الاحترام العميق لم يكن عجيبا في صدوره عن شخص كهذا الفريب . والواقع ان المسيو « شال » كان يعلم كل شيء وهذا الفريب لا يعلم شيئا . فكيف يجد امثال هذا المسكين الوقت للتعلم ؟!

وروى الفريب طرفا من قصة . فهو ابن عامل من ضواحي « شاتودان » ، وقد تعلم مبادىء القراءة الاولية في مدرسة القرية ولا شيء غير هذا . واضطر الى العمل ليعيل نفسه فبدأ خادما عند احد المحلفين في شاتودان ، وادى حرصه على العمل ، واخلاصه فيه ان عهد اليه بنسخ الاحكام في محكمة لبلدة وحفظ تقارير لحجز اما اليوم فصرح للعالم بانه في باريس يعمل منذ ثلاث سنوات من راتب وظيفة صغرى تعينه على البقاء في العاصمة .

وهكذا قص المسكين قصته البسيطة على العالم . وروى له عن هذه الحياة الخالية من البهرج والاحداث . واطلعه على اسمه فاذا هو يدعى « ڤران ليكاس » وهو اسم عجيب ولا شك ، خاصة وهو ينبعث من اعماق الريف الفرنسي .

واخيرا اطلع العالم على سبب زيارته هذه . فڤران ليكاس قد اشترى رزما ضخمة من الاوراق والوثائق القديمة التي كانت تمتلكها اسرة « بواجوردان » العريقة النبيلة . وهذه الوثائق القيمة التي اراد اصحابها في باديء الامر ان يهربوها الى اميركا زمن الثورة الفرنسية ظلت حينا طويلا من الدهر في « بلتيمور » واراد وريث آل « البواجودران » أن يستعيد وثائقه واوراقه من « بالتيمور » ولكن المركب الذي كان يقلها الى فرنسا غرق واصاب البلل اغلب الوثائق فاصبحت لا تقرأ الا بصعوبة. باعها صاحبها الحالي بسعر زهيد واراد ان يظل اسمه مكتوما.

وبالاختصار فان ڤران ليكاس جاء ليستشير اعلم العلماء الفرنسيين واكثرهم صلاحية لمعالجة هذه القضية وقول كلمة الفصل فيها خاصة وهو يريد ان يقرر مصير هذه الاوراق بمعونته . وابرز له بعض « العينات والنماذج مصدقا لما يزعمه بالامثال . وهكذا أخرج ڤران ليكاس ورقة من جيبه طالبا من العالم تحديد قيمتها ، وكان مما اخرج اوراق متآكلة ممزقة مقروضة من حواشيها لفرط ما بقيت في المياه . ووضعها على مكتب مسيو شال منتظرا حكم العالم.

ركز هذا افضل نظاراته على عينيه وراح يتفحص الاوراق ثم ارتعش مسرورا وصاح جذلانا : « رسائل من باسكال العظيم ! يا الله ! رسائل الى الكيماوي الانكليزي الضخم « روب بويل » في مواضيع علمية هامة خالدة . رسائل تثبت اننا ننسب الى نيوتن اليوم اكتشافات يعود الفضل فيها — دون ان نعلم ! — الى عالمنا العظيم باسكال فهذا هو مؤلف « الافكار » Les pensées يتحدث هنا في هذه الوثيقة منذ العام ١٦٤٨ عن مبدأ الجاذبية حديثا لن يخطر في بال نيوتن الا عشرين عاما بعد باسكال وهذا خلاف ما تواضع عليه العلم والتاريخ ...

كان ڤران ليكاس المتواضع يصغي الى حديث العالم كرجل لا يفهم كلمة مما يقال له ولا يدري سببا واضحا لحماسة العالم العظيم !

ولكنه قال : بما ان سيدي يهتم بهذه الورقة . فانا اقدم له امثالها فان في مجموعات « بواجاردان » التي في حوزتي كثيرا من هذا . . .

— انا اشتري كل شيء منك . كل شيء أتفهم . هيا بنا الى منزلك !

ولكن ڤران ليكاس قال انه لا يستطيع ان يقدم هذه الاوراق دفعة واحدة . . . فهناك ما يملأ حمولة ثلاث عربات معا . ونقل هذه الاوراق من شانه ان يثير الاقاويل ويلفت نظر العلماء الاخرين من هواة الوثائق والآثار . . .

وعرض ڤران ليكاس ان يحضر الاوراق على دفعات ، وكيفما اتفق ، لانه اجهل من ان يستطيع تقدير ما له قيمة منها وما هو جدير بالاطراح والرمي وعلى المسيو شـال عندها ان يحكم ويختار .

وهكذا كان الموظف الصغير المسكين يحضر الى العالم عضو الاكاديمية كل يوم وفي يده الوثائق المطلوبة .

وعثر « شال » بهذه الطريقة على وثائق مخطوطة بيد: كازيني وغاليليه وليبنز وغيرهم . وتكدست في دفاتره هذه الوثائق الهامة التي تعالج كل مسائل التاريخ والفلسفة والرياضيات : اكتشافات لم يحلم بهـا احد حول الجبر واللوغاريتم والقطاع الكوني ونظرية الحركة المجردة . . . وهكذا بدا تاريخ بحاجة الى كتابة من جديد .

آه ما كان اجمل تلك الجلسة في الثامن من يوليو ١٨٦٥ في اكاديمية العلوم ، حين نهض شال منتصرا وهو يلوح بيده بوثائق باسكال ويقرا بعضها . وسجل امين المجمع هذه الوثائق في محضر الجلسات وسط دهشة العلماء العميقة ، لقد اضطربت دنيا العلم جميعها ظهرا لبطن وجرى مجد « شال » على كل لسان ، ولم يخطر لاحد من العلماء ان يطالب بالمعادلات الضرورية التي كان على باسكال ان يستعملها ليؤيد نظرياته التي سبقت نظريات نيوتن . ولو خطر للعلماء ان يطالبوا بها لنهض « شال » واجاب ، بأن الوثائق ليست كلها في يديه . وفي اليوم التالي وحسب المناقشات كان ڤران ليكاس يمد العالم بما يريد فينحسم الخلاف وينتهي الامر بالمجد المستديم .

وتتالت الوثائق والاثباتات . وكان « شال » ياتي الى كل جلسة جديدة وفي يده وثائق جديدة ترد كيد الشاكين الى نحورهم . الى ان خضع اهل الشك والافك او صمتوا على الاقل .

وذكرت مرة كلمة « مزور » ولكن الوثائق كانت بـين ايدي العلماء تحمل طابع القدم وطابع اللغة القديمة التي كتبت في ايامها ، وبساطة ڤران ليكاس وجهله بمـا يدور حوله كان يدفع الايمان دفعا في قلب شال وعقله ، ثم من الناحية العلمية النقدية — اصبح الان في متناول يد العالم ما يسحق به الاقاويل سحقا فان اوراق « بواجوردان » لا تنفد ، وفيها كل شيء . . . ها ان ڤران ليكاس بدأ يستحضر منها رسائل من الاسكندر المقدوني الى ارسطو ، ومـن ارخميدس الى نيرون ، ورسالة غرامية من فيتاغورس الى صافو ، ورسالة شكر من لازار الذي بعث حيا الى القديس بطرس :

من يوليوس قيصر الى رئيس الغاليين (1)

دونك احد الخلص من رجالي وكلت اليه اعمالي . خذ برأيه الذي فيه ارادتي يبين لك اسباب سفرتي ؛ وسأملأ أرضك والوهاد ، بالاجناد والقواد . وسيضيع دفاعك عنها أدراج الرياح .

انت شجاع ولا شك ولكنني سأكون قهارا باذن الله جبارا بمعونته . اما السلامة واما الندامة . سلم تسلم ،

يوليوس قيصر

★★★

من شارلمان الى النبيل الكوان ،

عزيزي النبيل الحبيب ،

من اعز دواعي سروري ان اهنأك على تلك الاغنية العظيمة التي نظمتها لتمجيد عظيمنا « رولان » ابن أخي رحمه الله ، ارغب اليك ان تنسخ لي هذه القصيدة لعـدة أصدقاء .

ان ابنتي « تيودراد » واختي ايزبل عزمتا على الكتابة اليك ، وخاصة اختي التي تميل الى الثقافة ميلا عظيما وتريد ان تتلمذ عليك .

هذا وارجو يا معلمي الحبيب ان تكتب الي راجيـا الله ان يغمرك برحمته .

شارلمان

★★★

من شارل مارتيل الى امير المغاربة :

ايها الامير المغربي ،

قرأت رسائلك الملأى بالتهديد والوعيد ولكني لا اخشى عواقبها ، فاجمع ان اردت قوات افريقيا كلها وتعال الى وطني . وستراني اطير الى لقياك ، انا في حاجة الى الفئة القليلة لاغلب الفئة الكثيرة . لن تراني — اذن — اخون اولئك الذين استغاثوا بي ؛ عد الى بلادك والا فاكثر من الصلاة عن روح نفسك وتفضل . . .

شارل مارتيـل

★★★

من صافو الى حبيبها فاون . سلام .

حبيبي العزيز ،

من هذه الشطآن الساحرة حيث تعانق العيـن في انطلاقها مساحة شاسعة ، وحيث يختلط البحر الزاخر بقبة السماء في الابعاد أرى قرب هذا الشاطيء سريرا من الخضرة تظله صفصافة وارفة تسقيها المياه الغزيرة .

هنا ، ان كنت تذكر يا حبيبي الخالد ، اشتعل قلبك بنار الهوى فوضعت على شفتي — قبلتك الاولى وطلبت الي

(1) هذه الرسائل والوثائق كما هي بالفرنسية مكتوبة بلغة فرنسيـة جاهلية احيانا عليها طابع القدم والبداوة واحيانا بلغة لاتينية او يونانية قديمة . تضيف الى روعة المحتوى وغرابته روعة الجو القديم .

ان اردها لشفتيك . هنا — ان كنت تذكر يا حبيبي فاون — اعترفت لك ، محمرة الخدين ، بحبي وضعفي ! فكيف اقاوم نيران اغرائك لساعرة ؟

فعد الي يا حبيبي عد ، واقبل سلامي وشوقي .

صافو

★★★

من جان دارك الى أبويها .

ابي العزيز وامي العزيزة :

اكتب اليكما بعد انقطاع طويل لابلغكما حبي واشواقي . وها نحن نبدأ في السير . والملك قد استدعى النبلاء والقواد ومن كل مكان جاء الشعب ليضع نفسه تحت تصرفه .

أريد ان أصارحكما بان الملك طلب مقابلتي على انفراد . وخاطبني طويلا بشأن فرنسا والحرب شاكرا لي ما سماه امجادي العظمى . ولاحظت انه كان متلجلجا متضايقا . وعرفت سبب تضايقه واضطرابه... ولكنني لم أترك له مجالا ليبديه ... وهكذا اقتصر حديثنا على الطريق التي نتخذها لطرد الانكليز من فرنسا ورويت له حديث حلم عجيب رأيته في الليلة السالفة . وقد سلمني الملك قيادة الجيوش بمساعدة الدوق جان دالنسون وامرنا بطرد الانكليز من ضفاف اللوار وبعد يومين سنبدأ الهجوم .

وهكذا أرجو من الله يا أبوي الكريمين ان يشملكما برعايته ودمتما للمخلصة

جان دارك

★★★

وكان بوسع ڤران ليكاس — طبعا — ان يقدم للعالم الساذج رسالة تهديد من قابيل الى هابيل او دفتر مذكرات نوح في السفينة لان ڤران ليكاس — كما عرف القاريء ولا شك — كان يصنع هذه الوثائق ويختلقها .

اجل ، ان ذلك الرجل الساذج « الجهول المسكين » ظل يسخر بالاكاديمية العلمية مدة طويلة من الزمان ولا شك ان كثيرين يدفعون الاموال الطائلة ليعرفوا شعور هذا الرجل الساخر وانطباعاته ومخاوفه وكبرياءه ومسراته العميقة واحتقاره المترفع لعلماء عصره ، اذن فلقد كان من السهولة بمكان ان يخدع انسان واحد العصر كله ...

وما ان افتضح امر « ڤران ليكاس » وظهر تزويره للعلماء حتى عرت باريس لحظات من الهلع ثم انتابتها نوبة من الضحك المجلجل ، واصبحت قضية « ڤران ليكاس » شغل باريس الشاغل . وانتقلت القضية عام ١٨٧٠ الى الغرفة الجزائية السادسة فكانت من احداث الساعة الهامة التي يتابعها الفرنسيون بالاهتمام اما الجرائد فقد شغلت بها طيلة الاشهر الستة التي بقيت للحكم الامبراطوري .

وجاء ميشيل شال بنفسه ليروي للمحكمة كيف اكتشف التزوير . وكان يروي قصته بصوت حزين . فقد تأخر ڤران ليكاس عن تقديم ثلاثة آلاف وثيقة كان العالم ينتظرها متلهفا . وخاف « شال » ان يصدر صاحب الاوراق وثائقه الى الخارج فتخسر فرنسا هذه الثروات الخالدة ، فوضع عميله تحت المراقبة .

وسرعان ما ظهرت له الحقيقة ، لقد كان ڤران ليكاس يصنع الوثائق يوما فيوما . وكان عليه ان ينشئها وينقلها على اوراق منتزعة من كتب قديمة ثم يحيل لونها الى الصفرة المطلوبة فيبللها او يثنيها او يلطخها تحت التراب ، حسب الظروف .

وبهذه الطريقة قدم خلال ثماني سنوات ، ما يربو على ٢٧٠٠٠ وثيقة وكسب ١٤٠٠٠٠ فرنكا ذهبيا واشاع الاضطراب في رؤوس علماء العالم اجمع ، وكلفه عمله هذا : سنتين في السجن .

اما عذاب ميشال شال فكان أعظم . فقد أفاق ، فجأة ، وبحركة قاسية عنيفة من حلمه الذهبي ، وتلاشت تلك السماء المشرقة بالنجوم . ولم يصفح عن ذلك الساحر الملعون .

وقرأ المدعي العام في المحكمة بعض تلك الوثائق الثمينة وضحك الحضور كثيرا عند قراءة رسائل سقراط وشيشرون وهيرودوت ونفرتيتي ... وكلها مكتوبة بالفرنسية القديمة ومنها هذه الرسالة :

من الاسكندر الاكبر الى عزيزه أرسطو :

عزيزي . لم ارض غاية الرضى عن نشرك كتبك ، فكان عليك ان تبقيها سرا من الاسرار فلا تبتذل . أما طلبك بشأن سفرك الى بلاد الغوليين لتتعلم السحر فلا أجيبك عليه بالايجاب فحسب بل اطلب اليك الذهاب الى هناك تمشيا مع مصلحة شعبي لانك لا تجهل التقدير الذي أكنه لبلاد الغوليين هذه التي أعدها حاملة النور الى العالم ..

الاسكندر

★★★

هذا التقدير المواتي ، السابق لاوانه ، يصدر عن قاهر الفرس بحق ارض فرنسا ، يستحق ولا شك ، من رجل مواطن كميشيل شال بعض الاهتمام وهكذا كان ، ولم يكن ساذجا بحيث كان يعتقد بان لازار وارخميدس وكليوباترا ومريم المجدلية يكتبون جميعا باللغة الفرنسية القديمة ولكن ڤران ليكاس باع العالم وثيقة فيها أن العالم « الكوان » ، ناظم اغنية رولان ، جمع هذه المجموعة من الوثائق والرسائل القديمة واحتفظ بها في دير من اديرة « تور » وبعد سبعة قرون آلت الى « رابليه » فنسخها وترجمها جميعا وهذه الترجمات والنصوص آلت بدورها الى بواجاردان ... ثم الى ڤران ليكاس ... ثم الى عالمنا « شال » الفذ ..

لقد عفى القدم على هذه القصة ... والتهمت السنة النيران عام ١٨٧١ هذه الوثائق .. ولم يبق منها الا رسالة من فرجيل الى اوغست وهي اليوم حقا من الوثائق المحفوظة للخلود .

باريس **محمد العربي الحسن**

ليلاي

✳

زنبقة ليلاي لا بل انضر
وخمرة تسكر من لا يسكر
جبينها يسيل من القمر
وفي الثنايا بارق معطر
ان ضحكت فالشمس فيها تنثر
او غضبت فديمة تنهمر
في حالتيها للرياض مئزر
وفي لهاثي من جناها سكر

★★★

ان برزت للعين : عرس اخضر
او خطرت في البال : حلم اشقر
او عرضت للعود هشَّ الوتر
وان مشت في الارض فاح العنبر

★★★

قالوا اكبرت والهوى مبكر
الم تزل في حسنها تفكر
للحب ايام قصار غرر
وبعدها يمضي الهوى والاثر
وينطفي الحسن الذي ينوِّر
فقلت مهما تتوالى بكر
يظل حبي كاللظى يستعر
في كل يوم يعتلي ويكبر
وان اتى ليلي خريف ازور
ووشح الانوار ظل اسمر
ولم يعد في الغصن منها ثمر
يظل في ليلى ربيع اخضر

حماه **عارف قياسه**

وسافر الى باريس وكان ذلك منذ اربع سنوات.

فرنسا تأمر بطرده

بيد انه لاقى اثر وصوله تلك المصاعب التي شهدها من قبل ، فقد هددت فرنسا منذ ثلاثة اعوام بطرده من اراضيها بوصفه شخصا غير مرغوب فيه ، ووقع وزير الداخلية بنفسه قرارا بهذا ولكن وزارة الشؤون الاقتصادية تدخلت في الموقف فكان ان الغي هذا القرار.

وبعد ذلك بعام عرض احد رجال الصناعة السويسرية ١٠٠ الف جنيه على حاجو لشراء اختراعه ولكنه رفض .

بوادر النجاح

ومنذ بضعة اعوام اذن حاجو لمنتج فرنسي بصناعة ثياب العمل الزرقاء من النسيج المعالج بالسليكا ، فكان النجاح حليفه في هذه الخطوة اذ طلب احد اصحاب المصانع تزويده بكميات كبيرة من هذه الثياب قائلا انها تحتمل البقاء مدة اطول من الثياب العادية .

وقد باع حاجو براءة اختراعه لنحو ٢٠ من منتجي الاقمشة المختلفة التي تدخل ثياب العمل وبلوزات الممرضات والملاءات والمناديل وحقائب البريد ، وكان هؤلاء المنتجون هم الذين اقاموا له المعرض في باريس .

اهتمام الجيوش بالمشروع

وقد طلبت مصلحة البريد في فرنساصناعة ربع مليون حقيبة من النسيج المعالج بالسليكا ، ويجري الجيش الفرنسي اليوم تجاربه على الاردية الرسمية المصنوعة من القماش الجديد والمأمول ان يتحقق بذلك وفر يبلغ ٢٠٠ مليون جنيه في العام .

وعلم ان الجيوش البريطانية والكندية والهندية تهتم اهتماما كبيرا بهذا المشروع وترقب النتائج التي ستسفر عنها تجارب الفرنسيين .

تجارب اجريت على القماش

وقد عرضت دور السينما في بيروت في « نشرة الاخبار المصورة » مشهد تجربة قام بها في باريس المخترع وقد وضع حاجو قطعة من القماش تحت محك كهربائي فتمزقت بعد ٢٢٠٠ حكة ، ثم وضع قطعة اخرى من قماشه تحت المحك فمر عليها ٢٥ الف مرة دون ان يصيبها اي ضرر !

وفي الحفلة التي اقامها في قصر الرياضة في باريس ، قدم اليه احدهم غطاء ابيض للسرير فوضعه في آلة الغسيل فتمزق بعد مئة غسلة . اما غطاء السرير الذي انتجه حاجو ، فقد تحمل ٢٥٠ غسلة وظل جديدا !

ودلت التجارب على ان هذه المادة تزيد في عمر الحرير الاصطناعي خمسة اضعاف والكتان عشرة اضعاف ، والحرير ثمانية اضعاف والكريتون ثلاثين ضعفا .

ازياء النساء

وثمة ميدان واحد ليس من المتوقع ان ينجح فيه حاجو ، وهو ميدان الازياء النسائية ، ذلك ان النساء لا يشترين الثياب لمجرد انها تحتمل البقاء مدة اطول .

اما من ناحية الاطفال فالرجل موقن من ان الآباء سيرحبون بهذا الاختراع الذي يتيح لاولادهم اللهو واللعب كيفما شاءوا دون تمزيق ملابسهم .

ويعتقد حاجو كذلك ان المتسولين سيكونون مدينين له اذ ان تغير الازياء سيحمل الناس على التخلص من ملابسهم القديمة فيعطونها للمتسولين .. ولكن في حالة جيدة !

في كلمات ...

● صرح بات ماك غرادي محرر مجلة الناشيونال سايانس التي تصدرها جمعية السرطان الاميركية بان هناك املا جديدا بالتغلب على السرطان وذلك بعزل المادة الغامضة التي تجعل الخلايا تتجزأ والتي لها أثر كبير في تكوين مختلف انواع السرطان في الجسم وهذه المادة التي تسمى بالكينتين قد عزلها علماء جامعة وسكونسن . ويقول ماك غرادي ان العلماء يأملون الان بتعديل جزئيات الكينتين بطريقة تتيح لنا مادة من شانها التدخل في تجزئة خلية السرطان او نموها .

● تقول جمعية السرطان الاميركية ان العلماء يستخدمون الان اساليب جديدة للقضاء على « خراج » الدماغ بتعريضه للاشعاعات الذرية التي لا تؤثر في الشرايين الدماغية الطبيعية . وقد ابتكر الطريقة الجديدة علماء مستشفى ماساتشوستس العام والمعهد الطبي في جامعة هارفرد .

● اخذت امرأة مشلولة تستعيد قواها وبدأت تحرك اعضاءها بعد ان طعمها الاطباء في تجويفها البطني بغدد طفل ميت . وكانت اعضاء هذه المرأة التي تبلغ عمرها السادسة والثلاثين قد شلت بعد عملية جراحية اجريت لها سنة ١٩٤٨ فلم تستطع الكتابة او تناول الطعام .

وقد اشار الاطباء بوجوب اجراء التطعيم فوافقت ام الطفل الذي توفي نتيجة لنزيف في المخ . وقد استغرقت عملية التطعيم مدة خمس ساعات .

● استعارت فتاة في السابعة من عمرها قلبا ورئتين من رجل في الاربعين من عمره خلال جراحة نادرة .

وتفصيل النبأ ان الدكتور والتون ليليهي وفريقا من الجراحين في جامعة مينيوتا قد طلب اليهم ان يرتقوا ثقبين صغيرين في قلب الفتاة الصغيرة . وقد وجد هذان الثقبان في قلب الفتاة منذ ولادتها وكان الدم يندفع منهما الى مجرى الدم الرئيسي .

وقبيل اجراء الجراحة ، تمدد رجل من اصدقاء العائلة ، على مشرحة بجوار الفتاة ، ثم خدر ، ثم وصل جهاز دورته الدموية بجهاز الفتاة بواسطة انابيب من البلاستيك . ومن ثم رأى الاطباء ان يزحزحوا قلب الفتاة من مكانه ، وان يدعوا دم الرجل الاحمر القاني النقي يتدفق في شرايين الفتاة ، واستعان الجراحون بمضخة لدفع الدم . وفي الوقت نفسه كان دم الفتاة ينقل الى جسم الرجل ليتنقى من رئتيه . واستغرقت الجراحة تسع ساعات ، صرح الجراحون بعدها بان الامور تسير على ما يرام بالنسبة للفتاة والرجل معا .

● اهتم الرأي العام الاميركي اهتماما كبيرا بالنبأ الذي نشرته احدى المجلات الاميركية والذي يقول بان لقاح « سالك » يقي الاطفال من داء شلل الاطفال الذي يتعرضون اليه .

والجدير بالذكر ان الانباء التي وردت من انديانا وواشنطن واورليانس الجديدة تقول بان بعض الاطفال الذين لقحوا بهذا اللقاح قد اصيبوا بهذا المرض على الرغم من ذلك .

ويقول مركز الابحاث العلمية بان الدكتور فرنسيس توماس هو وحده الذي يستطيع ان ينشر نتائج الابحاث الذي سيذكرها في التقرير عن الاعمال التي سبق له ان قام بها عام ١٩٥٤.

ومن المعروف ان الدكتور توماس سينشر تقريره قريبا .

● تمكن جراحان من اساتذة الجراحة في جامعة مينوسوتا من اجراء عمليتين في القلب لمريضين دون الاستعانة بشخص لتقديم كمية من الدم .

واما الاول فكان الطفلكفلين ريتشموند البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما ، والذي اصيببحادث اصطدام ، ببعض الجراح ادت الى نوبات قلبية عنيفة ولهذا اضطر الاطباء الى اجراء عملية جراحية له داخل القلب ، لوضع حد لهذه النوبات التي كانت تسبب له الاما شديدة .

وقد رفض الجراحان التحدث عن الطرق التي يستخدمونها في مثل هذه الحالات ، وخاصة التي تعمل على تنقية الدم اثناء اجراء العملية للقلب .ومن المعروف ان عمليات القلب

كانت تتطلب حتى الان وجود آلة خاصة تقوم بتنقية الدم وتنظيفه . وقد صرحت الدوائر المطلعة في المستشفى المذكور ان حالة المريض مرضية للغاية .

● نجح ثلاثة من جراحي جامعة شيكاغو في فصل التوامين السياميين اللذين ولدا ملتصقين من الصدر حتى المعدة . فقد نجحت عملية فصلهما وتعيش الطفلتان الان بحالة طبيعية .

● اعلن ان خمسة اطباء من جامعة هارفرد بينهم الطبيب اللبناني نجيب ابو حيدر من حمانا نجحوا في استخدام احد الهرمونات التركيبية الحديثة في معالجة ((مرض اديسون)) وهو مرض غددي يفتك بحياة المريض في معظم الاحيان .

وقد كان للدكتور ابو حيدر فضل كبير في اكتشاف هذا العلاج الجديد الذي سيساعد على انقاذ ارواح مئات الاشخاص . فقد تخرج الدكتور ابو حيدر من الجامعة الاميركية في بيروت . ويقوم في ابحاثه وتنقيباته الطبية في جامعة هارفرد منذ ابريل عام ١٩٥٣ .

فقد ساهم الدكتور ابو حيدر في تجارب واختبار علاج مشتق من الهيدروكورتيزون لمعالجة المرض وتمكن من خلال القيام بهذه التجربة من اكتشاف شيء جديد وهو ان الهرمون التركيبي له مفعول آخر كبير الاهمية وهو المساعدة على تحديد مفعول وعمل الغدة الكظرية في الامراض الاخرى .

● تولى البروفسور شاكا ومساعدوه في مستشفى سان جاكومو في روما اجراء عملية جراحية لاستئصال الرئة اليسرى لاحد المرضى . وكان قد انتشر فيها الصديد ، وتعطلت عن العمل ، واصبحت مصدر تسمم خطر للجسم .

وبينما كانت العملية الجراحية الشاقة جارية على ما يرام ، لاحظ الجراح ان النبض اخذ في هبوط شديد ، أعقبه توقف تام في حركة القلب . وفي مثل هذه اللحظة الخطيرة التي يتقرر فيها مصير المريض بين الحياة والموت ، عمد البروفسور شاكا الى تدليك القلب المشلول بيده مدة عشرين دقيقة ، ولكن بلا جدوى .

وهنا خطر له خاطر ، فاستحضر البطارية المولدة للاهتزازات الكهربائية وسلط تياراتها على القلب الخامد عدة مرات ، حتى أخذ يستعيد نبضاته ، وما لبث ان عاد تدريجيا الى حركته الاعتيادية وردت اليه الحياة !

● نجح الاطباء في مستشفى ادارة المحاربين القدماء في بوسطن بامريكا بصنع عين مغناطيسية قادرة على التحرك كالعين الطبيعية تماما .

وقد جرت تجارب ((زرع)) هذه العين الجديدة بنجاح كبير على ١٥٠ جنديا .

● يقول العامة في احاديثهم ان للقطة سبع ارواح ، ولكن العلماء الذين درسوا تطور القطط دراسة وافية يقولون انه اذا جاز ان يكون للكائن الحي ارواح عدة فليس من المغالاة ان نقول ان للقطط سبعين روحا لا سبعة فقط ، وقد وضع بعضهم قطة في فرن بلغت حرارته اكثر من ٩٠٠ درجة ، وبعد ست وثلاثين ساعة، اخرجت القطة وكأنها قطعة فحم ومع ذلك فقد كانت لا تزال تموء ..

وقد حقنها الطبيب بالمسكنات والسوائل الغذائية ثم نظف الحروق وضمدها بالشاش والقطن . وبعد يومين كانت القطة تجري وتلعب كعادتها .

ومن طبائع القطط، انها تحس بالزلازل قبل حدوثها . ولذلك ترى في المناطق التي تكثر فيها الزلازل قبل حدوث الهزات الارضية — مصلقة اذانها برؤوسها وهي ترتعد وتموء مواء يفيض حزنا وهلعا .

ويعلل بعض العلماء هذه الظاهرة بانه لا يبعد ان يكون للكهرباء — التي تنتشر عادة قبل حدوث هذه الهزات — تأثير على اجسامها .

وللقطط قدرة عجيبة على التعرف على طريقها الى موطنها وان نقلت بعيدا عنه مئات الاميال . وقد اخذ بعض العلماء قطيطات صغارا في زورق مكشوف الى وسط البحيرة فظلت القطيطات شاخصة بعيونها دوما نحو المكان الذي توجد فيه أمهاتها وكأن مغناطيسا يجذبها اليه .

وتعد القطط من الحيوانات الذكية . وفي كاليفورنيا عجوز ضريرة تعيش وحدها في منزل صغير معتمدة في تنقلاتها على قط صغير يهرع اليها حالما يراها تمسك بعصاها ايذانا بالخروج فتربطه بشريط تمسكه بيدها . ويظل القط يسير امامها وهو يموء فاذا رأى سيارة تقترب او خطر يهدد سيدته رجع الى الوراء والتصق بساقها .

وتصاب القطط احيانا بشذوذ يجعلها أقرب الى الحيوانات المفترسة وقد شوهدت احداها مصابة بشذوذ تأبى ان تشرب شيئا ، ما لم يكن مضافا اليه قدر من المشروبات الروحية .

● نشرت مجلة شتون الالمانية الاسبوعية صورة رجل يزحف على يديه ورجليه وهو يشم آثار اقدام وراء اكمة تحت اشراف البوليس ويظهر الكلام المنشور الى جانب الصورة ان هذا الرجل هو اكثر فعالية من الكلاب البوليسية في اقتفاء الاثر . ليس في الامر ظاهرة خارقة للطبيعة . وليس هذا الانسان بالرجل — الحيوان ، بل هو انسان عادي ، تحول بلحظة واحدة الى عالم آخر جديد مليء بالروائح بفضل موهبة منحها اياه الدكتور ويترمان العالم البيولوجي بفرانكفورت ..

وقالت المجلة ان العالم تمكن من عزل قدرة الكلاب عن الشم من جسم كلب وهي مادة دعاها — اوروزيت — وهي تسمية المانية معناها — مادة الروائح — وقالت المجلة ان الكلب يفرز كمية لا تزيد على سعة — كشتبان الخياطة من هذه المادة في العام . وبالمستطاع ان يستخدم اي شخص هذه الكمية بواسطة قناع خاص اعده الدكتور ويترمان طيلة ستة اشهر يوضع على الانف فيمكنه اكتساب حاسة الشم الموجودة عند الكلاب ..

● توفي العالم الانكليزي الكبير السير الكسندر فليمنغ مكتشف البنسلين المشهور ، عن عمر ناهز الثالثة والسبعين في منزله في لندن ، وكانت الوفاة بالسكتة القلبية اذ لم يعرف انه مرض في المدة الاخيرة . وقد توصل الى اكتشاف البنسلين سنة ١٩٣٩ ، واهدي اليه لقب الفروسية سنة ١٩٤٤ تقديرا لجهوده الانسانية العظيمة ، ثم نال جائزة نوبل سنة ١٩٤٥ .

والجدير بالذكر انه كان منتظرا حضوره الى بيروت بين ٢٢ و٢٤ ابريل الماضي لحضور المؤتمر الطبي الخامس للشرق الاوسط الذي نظمته الجامعة الاميركية .

● القى البروفسور اوتو هان ، وهو اول من استطاع تأمين تسلسل تحطيم ذرة الاورانيوم، محاضرة في الاذاعة الالمانية عن الاسلحة الذرية [راجع في كلمات... صفحة ٥٥ من العدد الماضي] ، فقال : ((ان عشر قنابل هيدروجينية ملبسة بعنصر الكوبالت ، تكفي للقضاء على البشرية كلها .

والمعروف ان علماء الذرة في اميركا وانكلترا وروسيا يدرسون الان فكرة تغليف القنبلة الهيدروجينية بغلاف من عنصر الكوبالت فعند انفجارها يتفجر عنصر الكوبالت بقوة لا يحدها عقل ، وتستطيع ان تشمل الدنيا باسرها !

وعندما يصدر مثل هذا التحذير عن رجل كالبروفسور هان ، فذلك معناه ان الخطر المشار اليه صحيح ، وليس خرافة صحفية .

وذكر البروفسور ان الاشعاع الذري الناشىء عن تفجير الكوبالت يظل فعالا فوق سطح الارض ١٥ سنة ، فتصبح الارض موبوءة لمدة لا تستطيع الحياة الحيوانية والنباتية ان تتحملها .

ويعود الى البروفسور هان فضل اساسي في اكتشاف الانفجار الذري . ففي مطلع العقد الثالث من هذا القرن ، كان العلامة الايطالي فيرمي قد اكتشف طريقة لتحطيم ذرة الاورانيوم،

وذلك بقذفها بالنيوترون ، فكانت الذرة تنفجر وتتلاشى في لحظة تتراوح بين ١٠ و ٠،٤ ثانية .

وقد تابع البروفسور هان دراسة هذه الطريقة ، فاكتشف ان قصف ذرة الاورانيوم بالنيوترون لم يذهب عبثا ، بل حول معدن الاورانيوم الى معدن باريوم . وما لبث ان اكتشف في ديسمبر ١٩٣٨ القاعدة التي أمكن بواسطتها تفجير كمية من الاورانيوم عن طريق تفجير ذرة واحدة ، فلا تكاد تنفجر الواحدة حتى تفجر هي الى ذرة اخرى ، وقس على ذلك . وكان هذا الاكتشاف الدليل الذي قاد الى صنع القنبلة الذرية .

وحصر البروفسور هان اعماله خلال الحرب الاخيرة في الامور العلمية فقط ولم يهتم بأي أمر اخر حربي او سياسي .

وكانت ممكنات الاستفادة من قوة الذرة في الشؤون الحربية مفقودة في المانيا بسبب انعدام المقومات الفنية ، ومع ذلك القي الانكليز القبض عليه عند انتهاء الحرب ووضعوه في معتقلات الاسر مدة وجيزة . واثناء وجوده هناك وصله نبأ حصوله على جائزة نوبل .

وقل اهتمام البروفسور هان بعد عودته الى الوطن في عام ١٩٤٦ بالبحث الجدي المتعلق بالذرة ، اذ وجه اهتمامه الى تنظيم عمله العلمي في المانيا ، واصبح اليوم رئيسا لجمعية ماكس بلانك للابحاث العلمية التي تدير ٤٠ مؤسسةفي سائر انحاء المانيا الغربية.

ويؤكد البروفسور هان ان الابحاث الذرية الجارية الان في المانيا ترمي الى اغراض سلمية، ويقول انه لو عرف مدى تاثير اكتشافاته السابقة لاحتفظ بها لنفسه لكي يكفي العالم شرها .

اما خطابه الاخير بالراديو فقد كانت الغاية منه تحذير العالم من صنع قنبلة الكوبالت .

● اذاع الدكتور ماساو تسو زوكي ، وهو طبيب ياباني كبير كان قد اشترك في فحص الصياد الياباني ايكيش كوبوياما الذي مات في شهر سبتمبر الماضي والذي كان في مركب الصيد الياباني الذي تعرض للغبار المشبع بالاشعاعات الذرية في الباسيفيك ، بيانا قال فيه : ان تقرير الطبيب الامريكي جون بوجر بان الصياد الياباني لم يمت نتيجة لاصابته بالاشعاع الذري تقرير لا يطابق الحقيقة .

وكان الطبيب الامريكي الخبير في علاج الاشعاعات الذرية ، قد اصدر بيانا قال فيه : ان الصياد الياباني مات من مرض الصفراءوان خلايا جسمه لم تتأثر من الاشعاع الذري الذي تعرض له في مياه الباسيفيك .

وقد اوضح الطبيب الياباني ردا على ذلك ان الاشعاع الذري قد جعل الصياد اليابانيفي حالة من الضعف الشديد الى درجة جعلته يموت من مرض الصفراء نتيجة اختلالوظيفة الكبد .

ويتولى ثلاثة من الاطباء اليابانيين مناقشة نتائج فحصهم لبحارة السفينة اليابانية التى تعرضت للرماد الذري في المحيط ، امام الاكاديمية الطبية في طوكيو .

● اعلن معهد الارصاد الجوي في طوكيو ان ثلوج ملوثة بالاشعاعات الذرية تساقطت في منطقة طوكيو في الخامس من شهر مارس واشار المعهد الى ان الامطار الملوثة بالاشعاعات الذرية او التي تساقطت في هيروشيما واوساكا في السادس عشر وفي العشرين من الشهر الماضي قد يكون نشأ تلوثها عن التجارب الذرية الاميركية .

● تنبأ العالم الذري الياباني ياشواماكي بان البلاد المتمدنة المعمورة مهددة بان تصبح صحراء قاحلة بتأثير الاشعاع الذري وان خطر هذا الاشعاع على الصحارى والمناطق القليلة السكان أقل منه في أي مكان اخر .

وحذر من « الامطار الذرية » قائلا ان خطر الاشعاع الذري اشد في المحلات التي تهطلفيها الامطار بغزارة لان الامطار تتشرب بالاشعاع القتال المبيد .

واعلن هذا العالم الذري الياباني ان الصيادين الخمسة الذين ذهبوا ضحية التسمم بالاشعاع الذري في الساحل الغربي من الجزر اليابانية انما شوهوا وماتوا بنتيجة



الاشعاع الذري الناجم عن تفجير الروس بعض القنابل الذرية في سيبريا على سبيل التجربة. وحجته في ذلك ان القنابل الذرية التي يفجرها الاميركيون في بيكيني يجب ان يتجه اشعاعها بموجب مجرى الهواء الى شرقي اليابان لا الى غربيها . فوصول الاشعاع الى الساحل الياباني الغربي يدل على انه آت من سيبيريا .

ثم قال العالم ان التفجيرات الذرية في سيبيريا قد احدثت امطارا موبوءة بالاشعاع الذري سقطت على بعض الاماكن في الجزر اليابانية بين اغسطس وديسمبر ١٩٥٤ . وبعد ان حذر من الخطر الهائل الكامن في الامطار الذرية وفي استمرار التجارب الخطرة ناشد « الدول الذرية » ان تؤسس هيئة دولية للاشراف على المجهود الذري في الغرب والشرق واقامة مراقبة دولية فعالة لمنع استخدام الذرة الا في الاغراض السلمية .

● اعلنت الحكومة البريطانية في مجلس العموم انه ليس من المحتمل ان تكون الانفجارات الذرية في العالم قد احدثت حتى الان اية نتائج ملموسة على القدرة البشرية على التوالد .

وقد اعلن هذا مستر ماليكود وزير الصحة ردا على سؤال لبعض النساء من اعضاء مجلس العموم اللواتي اعربن عن مخاوفهن من ان تؤدي الاشعاعات الذرية الى انتشار العقم والسرطان واعترف وزير الصحة بان الاشعاعات الذرية تحدث فعلا بعض الاضرابات في التناسل .

على ان الوزير اكد من الناحية الاخرى انه ليس في المستطاع على ضوء المتوفر من الحقائق العلمية حتى الان تعيين مدى الاشعاع الذي سيتحقق معه الاضرار بحيث تؤثر على سعادة الناس في النواحي المذكورة وكانت النساء الاعضاء في البرلمان قد دعون الى عقد مؤتمر لمجابهة اخطار الاشعاع الذري تشترك فيه روسيا والولايات المتحدة وفرنسا . وقد ادخلت الحكومة تعديلا على الاقتراح تحث فيه المجلس على تأييد مواصلته الابحاث الصحية والبيولوجية في الطاقة الذرية .

● نشرت مجلة « انـد وورد ريبورت » الاميركية تقريرا عن تأثير الغبار الناجم عن التجارب الذرية جاء فيه انه لا يوجد أي دليل يشير الى ان تساقط الغبار الذري الناتج عن الانفجارات الذرية يشكل أي خطر على الناس في الوقت الحاضر او على الاجيال المقبلة كما انه لا يؤثر مطلقا على المنتجات الغذائية او على الطقس .

ويؤكد التقرير الحقائق التالية :

ـ نتج عن التجارب الذرية التي اقيمت في السابع من مارس الماضي سحابة مشحونة بالمواد الشعاعية اجتازت جميع الولايات المتحدة ولكنها لم تصب أي شخص بأذى .

ـ ان تأثير الغبار الذري على أي شخص في الولايات المتحدة يعادل تأثير الاشعاع الذي ينبثق عن الساعة التي تضيء احرفها بمادة شعاعية .

ـ ان مجموع تساقط الغبار الذري على أي مكان واحد خلال مدة سنة يعادل ربع التساقط الطبيعي .

ـ توضح التجارب الجديدة ان معدل « التساقط » الحالي لا يؤذي الاجيال المقبلة مطلقا .

ـ ان تساقط الغبار الذري لا يفسد المواد الغذائية .

ـ ان الاسماك التي تأثرت بالغبار الهيدروجيني في الباسيفيك كان يمكن اكلها بعد « برش » جلدها .

● صرح الدكتور روبرت هولز رئيس اللجنة الاميركية لتقدير خسائر القنبلة الذرية في اليابان بانه لم تتجمع اي دلائل هامة على ان القنبلة الذرية تخلف اثارا وراثية ضارة على الذين يتعرضون لاشعاعاتها . وقال ان ١٨٥ من النساء الحبالى شهدن الغارة الذرية على هيروشيما ونجون منها وولدن وظهر ان ثمانية من الاطفال المولودين فقط تأثروا بالاشعاع الذري فقد كان حجم رؤوسهم اصغر من الحجم الطبيعي وكانوا بلهاء الى حد ما ولكن هذه التغييرات التي طرأت عليهم ليست من الاهمية بحيث يخشى منها على تأثر الاجيال المقبلة بالاشعاع الذري .

● رد المستر هارولد ماكميلان وزير الدفاع البريطاني خطيا على سؤال وجه في مجلس العموم بصدد استخدام الدخان لمحاربة اثر انفجارات القنبلة الذرية فقال : لقد بدأت بريطانيا القيام بتجارب لاستخدام الدخان للوقاية من الانفجارات الذرية وتجري هذه التجارب تحت اشراف وزارة التموين وان النتائج ستكون لمصلحة الدفاع الحربي والمدني.

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية انها وقعت اول اتفاق يهدف الى استخدام الطاقة الذرية في تسيير محركات السكك الحديدية .

وقد جرى توقيع الاتفاق مع شركة بولدوين ـ ليما ـ هاملتون للسكك الحديدية . وستقدم لجنة الطاقة الذرية المعلومات الفنية والخدمات المتعلقة بتنفيذ هذا المشروع الذي تموله الشركة الخاصة .

● نشرت ـ وول ستريت جورنال الاميركية ـ تقول ان تجارب استخدام الطاقة الذرية في اعمال التنقيب عن النفط وتعقيم الادوية وانتاج القوى الكهربائية وتسيير المحركات تسير بنجاح عظيم .

ويقول مراسل الصحيفة في اوتاوا ان الحكومة الكندية قد وقعت اتفاقا لبناء مصنع ذري لتوليد الكهرباء تقدر نفقاته بنحو ٢٥ مليون دولار .

● أعلنت شركة كونسوليستد اديسون التي تمون مدينة نيويورك بالكهرباء ان المصنع الكهربائي الذري الجديد الذي تبنيه سيولد ٢٣٦ الف كيلوات من الطاقة الكهربائية . وستبلغ نفقات هذا المصنع الجديد ٥٥ مليون دولار .

● تقدمت شركة يانكي لتوليد الكهرباء الذرية بطلب من لجنة الطاقة الذرية الاميركية للترخيص لها ببناء مصنع لتوليد الكهرباء الذرية في نيوانغلند . ويكفي المصنع المقترح لتوليد ١٠٠ الف كيلوات كهرباء .

● جرى في وشنطن عرض كمية من الخضار واللحوم تعرضت للاشعاع الذري منذ ثمانية اشهر واحتفظت طوال هذه المدة بطزاجتها ونضارتها ولم يعد يؤثر فيها تقلب الطقس والحرارة .

● تتكهن اللجنة الطبية التابعة للجنة الطاقة الذرية الامريكية ان العقد القادم سيشاهد تقدما مدهشا في مقاومة السرطان بنتيجة الانقلاب الهائل الذي احدثته دراسة الطاقة الذرية .

وقد اعلن الدكتور جون بوخر امام مجلس الصحة الوطني بانه بفضل ما اتبعه البرنامج الذري من اساليب قد انتج ادوات للاختبار كانت حتى قبل بضع سنوات احلاما خيالية .

● ساهمت قيادة الطيران الاميركي ببناء دماغ اليكتروني ، يستطيع قيادة الطائرات بدون سائق عندما يصاب الجهاز المسير بعطب ، فاذا سقطت الطائرة « الام » التي تقود الطائرة او اذا اصيب الجهاز الارضي الذي يسير هذه الطائرات بعطب يستطيع عندها « الدماغ » ان يقود الطائرة .

● افتتح الرئيس ايزنهاور حملة التبرع لجمعية مقاومة السرطان الاميركية . وقد قدم الولد ليروي كورتس البالغ ستة اعوام رمز الجمعية للرئيس ايزنهاور . وكان ليروي قد اصيب بالسرطان وهو في الشهر الثاني من عمره ولكنه شفي منه لان الاطباء شخصوا المرض قبل امتداده وتأمل الجمعية ان تجمع هذه السنة مبلغ ٢٤ مليون دولار تنفق في الابحاث العلمية عن طرق مكافحة هذا الداء الخبيث .

● ربما كان بالامكان حول اواخر هذا العام اجراء التجارب التمهيدية على اكبر راديو تلسكوب في العالم سيتم انجازه قريبا في « جوردل بانك شيشاير » من اعمال الجزر البريطانية . وسيمكن علماء الفلك من سبر غور هذا الكون وسعته وحجمه اذ يجعلهم هذا التلسكوب يدركون حجم الكون ٥٠٠ او الفمرة اكبر من أي جهاز سابق كما يمكنهم من ادراك المسافات والابعاد عشر مرات اكثر من الماضي . وتضطلع دائرة الابحاث العلمية والصناعية بالاشتراك مع مؤسسة نفيلد بنفقات هذا المشروع التي يتتظر ان تكون نصف مليون استرلينية تقريبا . ولقد اصبح البرج الخاص بقبة التلسكوب الدوارة على وشك الانتهاء وعلو هذا البرج ١٨٥ قدما وستوضع فيه المحركات الكهربائية .

● في منطقة تيان شان الوسطى ، المغطاة ابدا بالثلوج ، تقوم اعلى محطة فيزيائية جغرافية في الاتحاد السوفياتي ، وهي تابعة لاكاديمية العلوم في جمهورية كيرغيزيا السوفياتية . وقد اوجد العاملون في هذه المحطة طرائق جديدة لتنظيم جريان الانهار الجبلية .

تحلق فوق جبال كاراكاتكان ، المكللة بالكتل الثلجية الجبارة ، طائرة ترش عليها طبقة رقيقة من دقيق الفحم ، فتشدد هذه الطبقة الفحمية من مفعول اشعة الشمس على الثلج ، وتعجل في ذوبانه ، فيصعد مستوى مياه النهر .

ان لتنظيم مسيل الانهار اهمية عملية كبرى من اجل الزراعة . ذلك ان فيضان الانهار في آسيا الوسطى لا يصادف دائما مع الاوقات التي تحتاج فيها الزراعة الى المزيد من المياه . ومن شان تبديل مواعيد الفيضان على نحو اصطناعي ان يسمح بزيادة المساحات المزروعة في الوديان زيادة محسوسة .

● جاء في تقرير رسمي يستعرض اعمال الاذاعة الهندية في العام الماضي ، ان ابرز ما حققته دائرة الابحاث اللاسلكية التابعة لراديو عموم الهند هو صنع مولد حراري كهربائي يستخدم اللهيب المتصاعد من مصباح بترولي صغير لتشغيل جهاز راديو لاقط .

وقال التقرير انه اذا امكن استخدام هذا الاختراع تجاريا فانه قد يحل مشكلة ايصال الاذاعة الهندية الى جميع انحاء الريف عن طريق تزويد القرى والمراكز الريفية باجهزة الراديو .

وجاء في التقرير انه تم اقامة ١٣ الف جهاز راديو لاقط في مختلف انحاء الريف وسيقام ٢٥٨٠٠ جهازجديد حتى شهرمارس عام ١٩٥٦ .

● احدث مرور طائرة اخترقت جدار الصوت ، فوق مزرعة السيد رالف غردال في انجلترا فاجعة فقد ذهبت بجميع حيواناتها التي ماتت من الخوف .

وامام هذه الكارثة ينوي المزارع الشكوى الى وزارة الطيران . اما زوجته فقد صرحت : يتحدثون عن تأثير القنبلة الذرية على الاطفال ، وانني أرى طائرات « بنغ » التي تخترق جدار الصوت تماثلها في الخطر .

● يقول الاب بول برنييه ، استاذ العلوم في كلية الاباء الدومينيكان في اوتاوا ، عاصمة كندا ، انه ما من شك في ان الاطباق الطائرة سفن فضائية يسيرها اناس من سكان الكواكب الاخرى ، قطعوا شوطا في ميدان العلوم اكبر مما قطعناه نحن .

ويعترف الاب برنييه بان التقارير الاولى التي وردت عن الصحون الطائرة قد تركت في نفسه كثيرا من الشك في صحتها ، غير انه اليوم اصبح متوثقا من صحة هذه الاقوال لانه شهد مثل هذا الحدث .

واضاف قائلا : اذا اردنا حل مشكلة «الثقل» التي تشكل أهم اعتراض على الرحلات بين الكواكب ، فلا بد لنا من تهيئة الحقل المغناطيسي الارضي كي نبتعد عن الارض بدلا من ان نجتذب اليها .

ولما سئل الاب الكاثوليكي عما اذا كان يتعين تعديل المذهب المسيحي اذا ما ثبت ان الكواكب الاخرى يسكنها مخلوقات بشرية ، أجاب بقوله :

ان هذا لن يكون له ادنى اثر لان الحاجة الى مرشد روحي ضرورة كونية ، وانه ، وان كان السيد المسيح قد أتى الى الارض ليخلص الخطأة ، الا ان المبادىء التي نادى بها تطبق على جميع المخلوقات البشرية سواء التي تعيش على الارض او التي تسكن الكواكب الاخرى .

● يحاول علماء مؤسسة الدراسات التقدمية في جامعة برنستون ان يحصلوا على صورة حسابية للطبقة الجوية القريبة من الارض وذلك بواسطة استخدام عدادات الكترونية حديثة . ويأملون بان تسفر نتائج ابحاثهم عن معرفة تقلبات الطقس بصورة دقيقة .

● اصبح في مكنة مهندسي القطر الحديدية ان يتبينوا مقدما وفي خلال بضعة ايام ، مصير الاجزاء الحساسة للقاطرات كالمقصات

والفرامل والمشاحم والاكسات بعد سنوات من الخدمة والعمل الشاق .

ففي مركز الابحاث التابع لرابطة السكك الحديدية الاميركية في شيكاغو آلة جديدة تستطيع تحديد ما سيحدثه الاستعمال الطويل والعوامل المختلفة من سرعة واثقال وحرارة من اثر في عجلات العربات واجهزتها المختلفة .

● قدم فريق من العلماء الزراعيين بجامعة كورنيل ، بولاية نيويورك ، تقريرا عن النجاح الواسع الذي احرزه استعمال مستحضر كيماوي جديد لقتل الاعشاب الضارة بمحصولات الكروم . ويعرف هذا المستحضر الجديد تجاريا باسم (الاناب) اما اسمه الكيماوي فهو (ن ـ ١ حامة ، نافتيل فتالاميك) .

ويشير العلماء الى ضرورة رش هذا المستحضر بعناية على اكثر النباتات المتعرشة وخاصة نبات القرع الاصفر وقد ثبتت فائدته في مزروعات الخيار والبطيخ والشمام .

● اذاعت الدوائر المعنية في وزارة الزراعة الاميركية ما صادفته من نجاح وتوفيق في اكتشاف انواع جديدة من الادوية في مكافحة الذباب وحشرات البعوض . ويتوقع خبراء الوزارة ان يقبل الناس على استعمال هذه العقاقير للقضاء على الحشرات الوبيلة التي تحمل معها جراثيم الامراض والاوبئة الفتاكة .

ويسود الاعتقاد الان ان العقاقير الجديدة الموضوعة لمحاربة بعوض الملاريا هي افضل بكثير من اي عقار جرى استخدامه حتى الان في مكافحة بعوض الملاريا والحمى الصفراء التي لم يؤثر فيها استعمال مبيدات د.د.ت.

والتجارب التي اجريت على العقار الجديد مؤخرا اتت بنتائج رائعة اذ ادت الى القضاء على ٩٩ بالمئة من الذباب بعد استعماله باربع ساعات . ويتوقع هؤلاء الخبراء ان يتمكنوا قريبا من صنع انواع جديدة من هذه العقاقير تقضي قضاء تاما على الذباب سواء في المساكن ام في الشوارع .

● يعتقد علماء التاريخ الطبيعي من الفرنسيين ان افريقيا ـ لا اسيا ـ كانت مهد الانسانية ، فقد اكتشف في الجزائر فك انسان قيل ان عمره يقدر بنصف مليون سنة . فقد ذكر البروفيسور كميل ارمبورج من متحف التاريخ الطبيعي للاكاديمية الفرنسية في باريس انه اكتشف فكا كاملا مع ضروس من اضراس الضحك ذات الراسين وسنين كاملين . كما انه وجد نصف فك آخر بالقرب من قرية « باليكاو » في الجزائر على بعد خمسين ميلا من جنوب اوران .

وصرح ارمبورج بان هذا الافريقي البدائي كان معاصرا لانسان بكين وانسان جاوا ان لم يكن جدا لهما . وقد يكون من اكلة لحوم البشر فقد وجد في محل الاكتشاف ساحة عظام ، وقد كسرت نخاعات العظام يد بشرية

ويختلف تركيب الفك الذي اكتشف اختلافا قليلا عن النوعين الاسيويين المذكورين . وبمقارنة الفك المكتشف بفك الانسان الحديث يظهر ان صاحب الفك البدائي كان ذا جبهة منسرحة وصفحة وجه جانبية اكثر انسراحا . كما ان له قاعدة اسنان اكثر ثقلا وسمكا من قاعدة اسنان الانسان المعاصر .

● أعلن الدكتور كيت كرمسون ان دواء جديدا قد اكتشف لمعالجة ضغط الدم العالي ، وان هذا الدواء الذي يعرف بـ Su 3088 سيسهل ويقلل نفقات العلاج ، ويؤخذ بمقدار حبة واحدة قبل الفطور تستطيع ان تخفض الضغط الى حالته الطبيعية خلال اليوم كله .

وكان الدواء الشائع الاستعمال هو «الهكسا ميثيو نيوم» الا ان المريض كان يحتاج من ٤ ـ ١٦ حبة في اليوم . كما كانت هناك ادوية اخرى تؤخذ على شكل زرقات في الدم .

والدواء الجديد لا يلائم الذين يشكون ارتفاعا خفيفا في الضغط ولا الذين في حالات متأخرة جدا ، ولكنه يلائم الغالبية من المرضى .

والدواء الجديد جاء بعد جهود استمرت خمس سنوات ، ودراسة شملت اكثر من ١٥٠ مركبا كيماويا .

● يقول الدكتور جورج سميث ان ما تسمى احيانا « باقسى الالام البشرية » يمكن ان يضعف الان بحقنة من دواء « الستلباميدين » ويشير الدكتور بذلك الالم الى « صداع الوجه التقلصي » وهو يحدث في جهة واحدة من الوجه ويصبح حادا بصورة لا تطاق ، ويدفع الضحية دفعا قويا الى الانتحار تخلصا من الالم الممض .

وكان العلاج المتبع في السابق يجري عن طريق الجراحة ، ولكن ذلك قد يؤدي الى فقدان الشخص الاحساس في الجانب المصاب بصورة تامة وقد وجد الدكتور سميث ان « الستلباميدين » المركب الكيماوي المستعمل في علاج الامراض الجلدية يقدم مساعدة ملموسة في هذه الناحية بعد ان يحقن المصاب اكثر من ١٤ مرة في اليوم .

وقد عولج (١٦) مريضا بهذا العلاج شفي منهم (١٥) مريضا بصورة تامة .

● اعلن الدكتور راسموسن تاكستدال (من بالتيمور) ان السرطان يشع لونا احمر عندما يحقن المريض بمركب كيماوي مستخلص من الدم ويفحص تحت الاشعة فوق البنفسجية .

وهذا التلون يعطى للجراح تحديدا صحيحا للمنطقة المصابة بالسرطان والواجب بترها .

ولا يرى هذا اللون الاحمر الا عندما يكون المريض اثناء الجراحة . والامل مركز في ايجاد اختبار خاص يمكن بواسطته معرفة عمق الاصابة بالسرطان قبل الابتداء بالمداخلات الجراحية .

ويسمى المركب الكيماوي الذي يحقن به المريض بـ « بورفارين » .

● استطاع البيولوجيون ان يصوروا تراكيب عودية الشكل تصل بين نواة الحجيرة الحية والمادة السايتو بلازمية المحيطة بها . وقد استخدموا في ذلك ميكرسكوبا الكترونيا .

وقد كان معروفا منذ اكثر من قرن ان النواة هي المسيطرة على الحجيرة ، الا انه لم تكن معروفة الطريقة التي تتصل بها النواة بالسايتو بلازم وتسيطر عليه .

وسيؤثر هذا الاكتشاف اكبر الاثر بدراسة الحجيرات الوراثية وقد شرح البروفيسور ارثر بوليستر (من قسم الحيوان في كولومبيا) تفاصيل الاكتشاف بما يلي :

لقد سلط العلماء ميكروسكوبا الكترونيا على قطع رقيقة للغاية من بيض الضفدع . وقد كشفت مراقبتهم لقطعة حجمها واحد من مليون من الانج عن وجود خيوط دقيقة تبرز من سطح النواة وتتجه الى السايتو بلازم كما وجدت شعيرات دقيقة داخل النواة نفسها .

وقد صرح البروفيسور بليستر بان الصور المأخوذة تجعلنا نستنتج بانه حتى في هذه المرحلة من تطور البيضة هناك نوع من الاتصال المادي المتصل بين النواة والسايتو بلازم .



نيسان

لنقولا قربان ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي بيروت

لست ادري ما اذا كان بامكاني اقناع القارىء الذي طالع « نيسان » ، كتاب نقولا قربان ، بان ما تضمنه هو فعلا اول ما خط هذا الكاتب الشاب . فاني شخصيا كنت ارفض الاعتقاد بأن الكاتب لم يتمرس بالكتابة زمنا طويلا قبل ذلك ، يكتب ويحرق ، ثم يكتب ويرسل الى الصحف ، فاذا ما لم يحرقه صاحبه يلقى نصيبه من الاهمال عندها .

ذلك ان « نيسان » ، في اسلوبه الذي درج عليه ، وفي تعابيره الفنية وقوته التصويرية والايحائية ، ينم عن نضوج بالغ حده ، وعن قلم طوع اليد تتصرف به كما تشاء ، فلا هي مجهدة ، ولا هو عسير .. ولا عقبة في الطريق .

والذي يعنيني من الكتاب اولا هو ذلك اللون الخاص في اسلوبه ، وذلك الجو الذي يشترك في خلقه الاسلوب والكلمات ، فانما خط الكاتب « نيسان » في اسلوب لا يجري على تقليد ، ووفق في اعطائه كامل حلته ، بحيث لا يبدو انه في طور التخلق والنمو ، كما هو طبيعي بالنسبة لنا شيء . ولاطلع القارىء على ناحية من نواحي هذا الاسلوب ، يكمن فيها ، على بساطتها ، سر من اسراره الكبيرة ، اورد هذا الشاهد من مقطوعة « خاتم أخضر » ؛ فبينما هو يهتف : « يا للغدير المحبوك باللازورد ! يا للغدير المحبوك باللازورد ! » اذا به يستطرد مستعملا العطف ، دونما حاجة الى ذلك من ناحية اللغة والمعنى ، فيقول : « ومن نهد صبية حصه الاخضر ، ومن خصر شجرة شربين » . بينما كان بامكانه القول : من نهد صبية حصه الاخضر ، الخ... وجرب ايها القارىء ان تقرأ هذا المقطع مع الواو وبدونها لترى اي دور يلعب الحرف الواحد عند صاحب « نيسان » في جعل النفس الشعري حاليا زاهيا . فبدون هذا الحرف يتقلص ذلك اللون الذي يغمرك بالمتعة ، وينقص شيء كثير من حلاوة الاداء وروعته ، بينما تظل اللغة صحيحة ، ويظل المعنى على ما هو عليه ، ان لم يستقم اكثر فاكثر .

ومثل ذلك عندما يقول في مقطوعة « ضحكة » :

« يا سهرتنا التي لا تنتهي ، وبلون فسطانك خيطانها الحمراء ، يا سهرتنا التي لا تنتهي .

ومن لحم الاطفال رائحتها ، ومن خشب الفار » .

وكذلك في مقطوعة « في سقفي القصب » :

« يا للضحكتين من الفضة . وترويان على الدرب قصة شال خيطته اصابعك باوراق الورد » .

وايضا في مقطوعة « شعره » : « من صنعه . ازميل سكير نحته من ضلوع الفار . ازميل سكير لا يؤمن بالحجر .
وفيه رائحة الصفصاف ، الخ ...» .

فاسلوب « نيسان » خلقته ريشة دقيقة ، وخلقه شعور بالجمال كثير الارهاف ، حتى أمكن الانتباه لكل هذه الدقائق الخفية ، التي لو نقص منها شيء قليل لذهب من روعة الكتاب شيء كثير .

ويضفي على الاسلوب كذلك لونه الطريف هذا تكرار مستحب ، ينزل في موضعه ، فيقول مثلا :

« كم عمرك ؟ شهر ؟ هذا اجمل عمر . اجمل عمر » .
او : « وكانت ساقك اجمل من خبر . اجمل من خبر » .

وهناك طريقة في رصف الكلمات احيانا تساهم هي الاخرى في جمال الاسلوب ، اذ تأتي مستحسنة لا غلو فيها ولا نشاز ، من مثل :

« وظل قلبه على القبة ، وعلى الباب ظل قلبه » .
او : « وتصنع عيناك سلال القصب ، وآنية الحبق ، وتحملان السماء ، وتزرعان البيادر ، عيناك » .

واما الجو الذي يوحيه « نيسان » فهو يحيطنا بقوة ما دمنا نقرأ ، ويظل اثره مدة طويلة اذ نودع الكتاب . فل « نيسان » مقدرة تصويرية وايحائية نادرة ، تجعلك غارقا في رحاب من العطر والنور واللون والزهر والفراش ، جميعها ماثلة امامك في قوة وسطوع ، كأنك فعلا تعيش بينها .

ولعل دفعها اليك متصلة متتابعة من قبل الكاتب مما يجعلك لا تستطيع التملص منها ، فاذا هي محيطة بك وآخذة عليك بالخناق . فهو يقول مثلا : « فأضحت كالمقصورة المعجوقة ، التي تزدحم في نوافذها ثريات العاج ، واباريق البلور ، وخزائن الريش المقلم » . وانه ليكفي ان تطالعك اسماء ثريات من عاج ، واباريق من بلور ، وخزائن على رحبها من الريش ، حتى يكون في هذه التعابير قوة ايحائية كبيرة ، فكيف به وهو يضيف الى الريش نعت « المقلم » ، وهي كلمة قوية التصوير بطبيعتها ، وكيف به وهو يدفعها مزدحمة بعضها وراء بعض ، فاذا بك تتلقى في لحظة جميع هذه الاوصاف ، فتتمثل هي في خيالك قبل ان تحاول تمثلها انت .

واذا انتقلنا من خلق المشاهد الى تصوير الاحاسيس

الشخصية والحالات النفسية والطباع لاحظنا ان ذلك لا يتم فنيا الا بطريقة غير مباشرة ، قد لا نغالي اذا ما قلنا انها حيلة من الحيل ؛ والا فانك تعرضها عرضا علميا لا غنى فيه من ناحية الفن . فان ما تضطرب به النفس ، وما يخالجها من حالات ، وما يتصف به الشخص من اميال ومنازع ، وما يتجسم في الحياة والكون من وقائع وصور : هي حقائق تتضمن تفاصيل دقيقة متشعبة وكثيرة . اما سردها وتفصيلها ، فكما قلنا يصبح شرحا علميا ، واما التشبيه الموفق او الصورة الفنية ، فهي التي ، بكلمتين ، تنقل اليك ابعد وادق ما يختلج في نفس الانسان . وان هذه المقدرة في تصوير المشاعر والحالات والاطوار وظواهر الحياة والكون ، مع مراعاة جانب الفن ، لهي ميزة رئيسية في الادب الصحيح ؛ فان من صفات الادب ان يعبر عن الواقع بطريقة مختصرة ، حين يحتاج العلم الى الشروح الطوال ، فالعلم مضطر لان ياتي عليها واحدة بعد اخرى ، بينما التعبير الفني يؤديها دفعة واحدة ، فكأنما يقدم لنا لوحة جسمت فيها الحقيقة المنوي التعبير عنها ، او كأنه ، بواسطة التعبير ، قد انتزع المشاعر او الحالة النفسية او الظاهرة ذاتها ليجعلها امام القارىء وجها لوجه .

فلننظر في مبلغ التوفيق الذي اصاب قربانا في التعبير عن مثل هذا ؛ ففي معرض وصفه لنفسه ، في طور من اطواره ، يقول : « انني كنت كالصبي لا اسمع كلمة احد ، منزوعا ، عنيدا » . فهو قد اعتمد على بعث صورة الصبي الذي يركب راسه ، وهي صورة يعرفها الجميع ، وعلى التعبير المألوف الذي يدل على الحقيقة اوفى دلالة « لا اسمع كلمة احد » و « منزوعا » و « عنيدا » ، مما لا تؤديه في هذا المجال العبارات العالية ، لان هذه التعابير المتداولة الصق بحقيقة الصبي عند الناس . ولذا فقد رسم للصبي صورته التامة من جهة ، والقوية البروز من جهة ثانية ، وجعل نفسه شبيها له ؛ فاذا بك وقد تمثلته هو في صورة الصبي نفسه ، ونفذت الى حقيقة حالته في طوره ذاك .

وان تصوير الاحتقار يوجهه الوضيع الى الكبير ليبلغ الذروة في مقطوعة « فلاح » ، و اني اتوجه الى الذين ينكرون على « نيسان » كونه من الادب النضالي الثائر ، فاضع نصب اعينهم مقطوعة فلاح ثم اسمعه يقول : فينجر السكاكين في كوخه ، ويعطيها لاخوته الفقراء . ويشعل العاصفة في كوخنا . وسامسح بالحقد والكبرياء شفتيه » ، ليروا ان الالوان والعطور في « نيسان » لا تمنعه من حقد على طغيان واستعجال ليوم الجهاد . وهل اروع من هذا التصوير الفني للثورة تتأجج في صدر المظلوم اول ما تتأجج ، لتسري بعد ذلك ، هل اروع من هذا التصوير لها في قوله : « ويشعل العاصفة في كوخنا » ؟

ويقول في مقطوعة اخرى : « وخذلها قلبي ، وشفتي الاثنتين ، وحيك لها شالا . وحيك لها شالا » . فانظر الى الاصرار على اخذ الشفتين الاثنتين ، كيف يعبر عن روح تود ان تنسكب من اجل السخاء . افليست هي صيحة الكريم الجواد يؤكد عليك ان تأخذ ما عنده هنا وهناك ، لا هنا وحسب ؟

وعينان في وميضهما ونظراتهما معان للحب كثيرة ، وفتنة لا يفيها حقها شعر تقوله فيها كساها ؛ عينان تتضمنان كل ما يمكن للحب ان يتضمن ، وفتنة تحتاج الى كل ما قيل في هذا المعنى من شعر وكلام .. فكيف يعبر قربان في « نيسانه » عن كل ذلك ، فياتي تعبيره المقتضب وافيا بكل ذلك ، مغنيا عن اي كلام آخر ؟ يقول عن العينين : « وفيهما كتب الغزل » .

ومثل ذلك عندما يريد تصوير حدة الزرقة في سماء « الدرب » ، واحتشاد الالوان في الدرب نفسها : « للزرقة فيها الف جرة مدلوقة ، وللون جوارير من الف صباغ وصباغ » .

ويصور الشمعة التي تفني نفسها من اجل الغير ، فاذا انسكابها هذا من صلب طبيعتها ، من صميم تكوينها ، لان من صنعها جسد فيها نزعته الى ذلك :

« ان البحر ، والتلال المذهبة ، والسماء ذات النجوم المتدلية ، من صنع رجل اعمى . اما هي فمن صنع اصابع تحب » .

اما الغرفة التي لم تكن غير حانة تعبق فيها رائحة الخمر ، فهو يود ان يصور بصدق هذه العربدة المسترسلة فيها ، لا تقف عند حد معتدل ؛ فاذا بالصورة الفنية تأتي مجسمة هذا الواقع الى الدرجة التي ارادها الكاتب : « يا لحانة الاسرار ! وحتى درجها رائحة الخمر » .

ولقد قبل طبعة الخاتم يكاد ان يغرق شفته فيها . فكيف يصور هذه القبلة التي قد تكون تركت أثرها على الطبعة لقوتها او لحرارتها ؟ قال : « وفي الطبعة ، دفنت شفتي » .

ولقد احب ثمار التوتة الحمراء ، فاحب شفاه البنات لانها تشبهها ؛ فهنا تتحد براءة الولد مع العاطفة المتفتحة فيه . لقد احب شفاه البنات لانها تشبه ثمار التوتة ، فالاثمار هي المفضلة عنده ، وهذا دليل طفولته ؛ ولكن لماذا لم يحب غير شفاه البنات مما يشبه اثمار التوتة الحمراء ؟ انها العاطفة المستيقظة تقوده في هذا الطريق ، فيظن انه يحب الشفاه لانها تشبه الكبوش ، في حين انه يحبها لذاتها ويحب اي شيء يشبهها .

وان من اروع المقطوعات المعبرة في « نيسان » مقطوعة « العليقة » . فهي بكاملها تعبير رائع عن النفسية النسائية في عمر معين : امامنا الفتاة وقد بدات تراهق ، فلا تدري من امر هذه الظواهر الجديدة في جسدها شيئا . وتهرع الى امها تسالها ، ومن الطبيعي ان تتجاهل الام فلا تفسر شيئا لفتاتها .

وتحار الصبية الصغيرة ، وتشعر ان ما بصدرها ينفر

من القميص وينزع الى انطلاق ، فتحسب ما عندهـــا فرخين من اليمام (لاحظ سذاجة الفتاة الى جانب تصوير الحقائق) . وبفعل الجهل والسذاجة معا تمضي الفتاة الى الدكان ، فتشتري حب القنب وتقدمه لهما ، فلا ياكلان (تصوير لنزعة في النهدين الى غذاء غير الطعام) . وتبكي الفتاة (فهي ابدا ساذجة بريئة) ، وتدغش الى العليقـــة تقطف لهما منها الكبوش الليلكية ، فلا ينقـــدان شيئا . عندئذ تدرك الفتاة الحقيقة ، ولكنها تدركها على طريقتها الطفولية الساذجة ، فتفتكر انهما لا يحبان القفص (وحقيقة الامر كذلك ، انما هي لا تزال تحسبهما طائرين ، وتحسب صدرها قفصا بالفعل) ، فتشبك عليهما اصابعها ، وتحلف (وهنا منتهى الجمال في تصوير نفسية الطفل) انهـــا ستفلتهما ، عندما تمضي امهـــا الى السوق ، او لزيارة الجيران . فهي رغم سذاجتها وجهلها الخير والشر ، تشعر برهبة ان تفلتهما بحضور امها . انها (كالطفلة دائما عندما تنوي عملا حرم عليها) تنتظر غياب امها عن البيت ؛ وأين عسى تغيب امها ، غير ان تذهب الى السوق ، او لزيـــارة الجيران ؟ وفي هذه العبارة الاخيرة ما فيها من دقـــة الملاحظة .

ونصادف في « نيسان » عذوبة حقيقية ، عندمـــا نقع على امثال هذا الحديث توجهه الساقية الى الغصن : « اياك ان تنام في ساقية غيري ، فانني احبـــك » . او عندما يقول : لن نقتل الفراشات . بل سنعمر لها ، عندمـــا تحتضر ، قبورا في حديقتنا الخضراء » .

وتطلب اليه « نيسان » ان يحيك لها برنيطة . . اما كيف تغريه ليحقق رغبتها ، فانها تقول له : « وانني احبك ، واعطيك خصلة من شعري » .

ومن مقاطعه البسيطة العذبة قوله : « عنـــدي في خزانتي قميص من حرير ، وشريطة لاختي » . وتستوقفني هذه الشريطة التي يذكرها كما لو كان يذكر شيئا ثمينا من محتويات خزانته .

والشباك ، تذيع اسرار كثيرة على شفتيه ، منها « ان عينيك اطيب عطرا من خشب السنديان والصنوبر ، واجمل من صناديق الورد ، وان يدك من روح النهار » . فانظر الى هذا النوع الفريد في بابه من الاشاعات والاسرار الزائعة . وانظر – بالمناسبة – كيف يعبر عن كون يدها بيضاء لا تدانيها في ذلك يد ، فيقول عنها انها من روح النهار .

ومثل ذلك قوله : « وشاع في القرية الخبر ، بأن الدور لمن تحمـــل ابريقا ، وترقص مزلطة على حجـــار المعصرة » . انه لخبر مهم ، يسري بين الاهلين في سرعة البرق الخاطف . وما قولك في الدور يوزع بين الفتيـــات على هذا الاساس ؟

وهل الطف من قوله : « في العرزال ، قطفنا القبلة الثانية ، وما حكى العرزال » ؟

وما قولك بالمعاني البعيدة التي تتلبس ثوبا مـــن العذوبة واللطف في قوله : « شكت الشبابة همها لجبوب السنديان » .

وهو اذا ارخ ميلاد الشمعة يقول : « ولدت في الشهر الذي يلقح النحل فيه الزهور » .

اما الفراشة ، فقبل ان تموت توصي بشالهـــا لزهرة جميلة . واما التينة ، فانهم ضمنوها للطير وجعلوها مزارا له ، فكان ان عيرهم الجيران بذلك .

وما احلى هذه الشروط يتبادلها الاطفال : « اذا وقـــع احد حبة فانه يقدم شفته للاخر » . ثم يعترف لها بانـــه وقع الحبوب اربع مرات اكثر منها ، لان يده كانت ترتجف . فهو قد شعر بالحب ولم يدر ما هو تماما .

ولـ « نيسان » لغة خاصة جميلة بمقدار ما هـــي جديدة : فالثلج والضباب لجتان ، والقبل تصب في اليد وتقطف ، والحساسين يخضر صوتها ، ويعصر الليل علـى الصدر ، ويفل الصحو واللون ، وتدلق النار ، ويهرق النور ، وتزرع الرياح ، ويشك الفلك في الحقل . والقمر يموت ، والثغر يلطخ بالسهر ، والسماء تجر وتكدس ، والصندل يزيح بالنور ، بينما الورقة تزيح ضلوعها بالظل . وكذلك الشفة فهي تدعك بالنور ، فيما الدرج الاخضر يدعـــك برائحة الصنوبر . وللقبلة لون ، فهي حمراء (ولا يبتعد في ذلك عن حقيقة نوع من القبل) ، وللقمر دموع ، وللريشة حنجرة تفرخ فيها الكلمات . وهناك حروف من عطر ، وساقية من لجين ، وزنار زمرد ، وضحكة من عنب احمر ، وكأس من الظل ، وسلال من الهرج . وهناك رائحة للفيء ، واخرى للنجمة المحترقة ، وغيرها لليالي المقمرة . والغصن هو صالة العصفور . والوردة والقنديل مبحوحان .

واذا اراد ان يشيد بجمال شيء فلا يقول مثلا : اجمل من البدر ، او من الورد ، او اي شيء من هذا القبيل ، بل :

اجمل من خبر ، واجمل من كلمتين في طاقتنا ، واجمل من لحن على قصبة بلادي .

وهو يحلف بالنهر ، ويشتري الخنجر بعشرة ليال من عمره ، كما يشتري الخاتم بخليج ورابية وجدول ؛ والسوار بموسم زهر ، وموسم ثمر وسنابل ، والشال بعش بلبل ، واربع سنديانات ، وبيدرين ، ويبيع القلب بالقبل .

والليل يترك على السياج ، وتقتص منه شريطة تترك على الزند ، وضفة النهر تحمل على الزنود ، والنهر يطوى على الخصور ، والشفتان تحملان اكثر من الف رابية ، واليد تحمل اكثر من الف بلد وتتركها امام الباب .

اما الفصول فلا يسميها باسمائها في مقطوعة « الف رابية » ، بل يعطيها اسماء انتزعها من صفاتها ، فالخريف هو « الاوراق التي دفنت » ، والشتاء هو « الثلج الذي غمر البيوت » ، والربيع هو « البراعم المنبثقة » ، والصيف هو « النجوم المهجورة على السطوح » .. ويا لها من نجوم مهجورة في لغة «نيسان» .

واذا ما عنينا بالالتماعات الفنية في « نيسان »،وجدنا ما يعجب ويروق ، مثل : الجروح المزوقة ، والقنديل الذي هو دورق النور ، والذي يفرق شعره الذهبي على جبينه . حتى اذا خاطب هذا القنديل ، قال له : « وعمرنا قصة فقير ، وقصة كرخنا » . ولنتأمل هذا القنديل الذي تختصر حياته قصة فقير ومنزل فقير .

اما الفم فيضحي هو نفسه سؤالا : « ولم يبق فم الا وهو عني سؤال » ؛ ويجري دم الزهور في العروق . الى ان يصور الاغصان وهي تخدش الجسد وتجرحه ، فيقول : « وتمد الاغصان اصابعها الى لحمي » . فهو قد جعل لها اصابع ، وجعل هذه الاصابع تمتد رأسا الى اللحم ، للتدليل على انها تمزق الجسد .

والدرب التي تحمل الرسائل باستمرار ، ولا ينقطع عليها الزائرون ، والمارون الذين يسألونك في طريقهم عن صحتك وامورك ، هذه الدرب يصور حالتها التي ذكرنا هكذا : « ولا تمضي ساعة الا وعلى لسانها رسالة او زيارة او سؤال » .

والالوان في الحقول والدروب ، وشتها بها فتاته من علبة في يدها :

« وتضعين على عتبته علبة الالوان التي توشين بها الحقول والدروب ».

والزلغوطة التي في فمه اخذها الديك منه ونقلها للروابي :

« وكان في فمي زلغوطة خضراء ، حملها الديك على السلالم ، ونقلها للروابي الغافية » .

واذا شاء ان يصور التشرد الذي هو فيه ، بل اغراقه في التشرد ، يقول : « المشردون في التاريخ كانوا اهلنا » . ثم يصلي ، لا ليرزق ما يحتاج اليه ، بل لتبقى رجلاه حافيتين كما هما : « فصلي بأن تبقى ارجلنا حافية » .

اما اقصى امانيه ، فان تلفظ كلمة رحب ، وان تلفظ في بابه لا في مكان هو عنه غريب : « وقولي للمساء ان يلفظ كلمة حب في بابنا » .

وهو يعبر احيانا عن حقائق نفسية بعيدة بطريقة جد موفقة من الناحية الفنية : « ان من يحب كثيرا ، كمن يبغض كثيرا ، يطعم كلاهما قلبه للنار » .

***

أطلت في تعداد محاسن « نيسان » وهي كثيرة، فهل لي ان اعدد معائبه وهي قليلة ، بل قليلة جدا ؟

اعتقد ان الترديد في القطعة الاولى مصطنع ، لا يترك اثرا حسنا في مهجة القارىء :

« اغلقي الشباك ، انبح صوت الريح ، اغلقي الشباك » .

وهي كلها على هذا النحو .

ومثله الترديد في القطعة الثانية :

« صرخت صقالة العريش : في عروقي البرد ، في عروقي البرد ، في عروقي البرد ، وسعلت صقالة العريش » .

وهي ايضا كلها على هذا النحو . الا انها قطعة قوية ، خصوصا في خاتمتها ، رغم ما يعتورها من تكلف .

وارى تكلفا وابتذالا في تعاقب النداءات احيانا :

« يا غابات ، يا نيل ، يا قمر ، من روحكم نيسان » .

كما اكره استعماله الفاظا عامية او غريبة لم نالف استعمالها بعد في اللغة الفصحى . فان غفرنا له استعماله لالفاظ « الفسطان » و « الكنزة » و « المشوار » ، فلا نغفر له استعمال « الكيلوت » و « الزعطوط » مثلا .

انهما شوكتان او ثلاث في وردة فواحة العبير ، وهي ذوات رؤوس تكاد لا تبين ...

جونيه ــ لبنان ــ معهد الرسل **جان كميد**
رئيس تحرير مجلة الرسالة

بوح ــ قصائد واهازيج

لادفيك جريديني شيبوب ــ ١٢٨ صفحة ــ منشورات دار الاحد ببيروت

يظهر ان دار الاحد ابدا على موعد ، كل سنة ، مع المكتبة العربية ، تتحفها بكتاب ثمين يدعى بحق « كتاب السنة » . وقد اخرجت في مستهل هذا العام للشاعرة ادفيك شيبوب جريديني رئيسة تحرير صوت المرأة كتاب بوح ، اقل ما يقال فيه انه « انيق » . هذا وقد اشترك في الاخراج كبار الفنانين امثال يوسف الحويك وعمر الانسي والدكتور عبد الرحمن اللبان وهنري فورتييه .

و « بوح » قصة جناح صغير ازغب ، استهوته النجوم فجاورها في الشوامخ وغمزته فراح يشحذ منه

القوادم والخوافي ، وعصفت به السافيات الهوج في الاعالي فكان بوح ملحمة السمو والجمال ، ونشيد الحب والاشتياق .

وكتاب « بوح » لون جديد من الوان الادب ، لك ان تسميه بالوجودي ، ان شئت ، من حيث طلقة التعبير ، تبثه شاعرة ، بل رائدة من رواد الحب ، تتحدى الرجل وتبزه ... وهذا ، على ما اظن ، ما حدا بالشاعر سعيد عقل ان يقول في تصدير الكتاب : « رسالة الادب الادفيكي عميقة اذن اكثر مما يظن . انها قد تحدث مذهبا » .

والشاعرة في بوحها تكشف لنا بصدق وصراحة عن اخطر خطرات نفسها في اوقع واقعها واجد وجودها . والحب في نظرها « نعمة الحياة » وهو المحور الذي تدور حوله ارضنا والهة مجنونة . به توجد وتنتظم العوالم وتتحرك في مجراتها . وهو هو رسم جوهر الله الخالق . فعلام تخاف اذا ان تبوح ؟

« واي معنى يبقى لهذا القلب
يوم السنون توهنه فيشيخ
وهل لذة العيش في عمل جديب موحش »
لا طرف يتيه في سماء طرف ،
ولا انفاس تسكب محرورة في انفاس ،
ولا قلب يصطرع في ضلوعه .. توقا لقلب ؟! »

وشاعرتنا ادفيك في صراع عنيف مع قلبها ، كان عليها ان تروضه منذ ما درجت على دروب الحياة . فهي في خطراتها تثير الفتنة والاغراء . ولنستمع اليها الان تتحدث عن نفسها ، في شلة من الصويحبات ، يوما ، يتقدم شيخ غريب يفك رموز الكف ... « وتوالت الاكف الطريئة تتناوب راحة الشيخ الغريب .. وجاء دورها صفراهن فبسطت كفها وانصت الكل .. » وتكلم الشيخ :

« زواج قريب ...
وارى في حياتك بعد السنوات الاربع
تجهما وانقلاب عيش
قد يكون فقدان زوج .... »

وتوالت الايام وتزوجت الصبية :

« وكانت حياتنا بحرا من حب واغمارا من سعد
وفجاة يجيء اليوم الاسود ..
وهوت الفاس الطائشة على حبنا الطفل
تقتلع قلبه من بين ضلوعه ..
وفي شبه هذيان تذكرت ..
تذكرت ان قد مر على زواجنا سنوات اربع »

من هنا تبدا نقطة التحول في حياة الشاعرة ، فقد زلزلت المصيبة كيانها وحولت ايامها ليلا لا نجوم فيه تضيء ولا قمر . فحاولت ان تقف عمرها على رثاء زوجها بـ « توامها الذي شطرته الصاعقة » ، الا انها ادركت ان للالم معنى اجل واسمى ، فراحت في « شموخ صامت تعيش انسانة ثانية ، تغلف قلبها بالجليد ، وكل املها زغلولان متشبثان بها يحببان اليها الحياة » .

وفي دور الامومة هذا تجد ادفيك منفذا لحبها الجريح ولواعج قلبها ، فتتخذ ولديها موضوعا لغزلها تودعه اسمى عواطف الامومة فهي في قصيدتها « الشموع الست » و « تفتح الزهر » تبلغ الذروة من الانشاد . الا انه رغم كل هذا ، اقول رغم حبها لطفليها ومحاولتها ان توقف العمر على خدمتهما ، تشعر بفراغ سحيق في اعماقها لا يملأه سوى حبيب يكون رفيقها في غدوها ورواحها ، في سرائها وضرائها . اجل انها تصبو الى حبيب وليس كالاحبة له من الحرارة ما يدفيء ويبوح ، ومن مفتول الذراعين ما يطوق الخصر ويرد لطمات الزمان . فاسمعها في قصيدة رفيق الغدوة .

« اطلقها يا بلبل ــ نغمة رقراقة صافية
ومع همسات السكون الهاجع
تنصب كلها في قلبي !!!
لانني احتاجك يا رفيق الغدوة
احتاج نغمتك المؤاسية
تهدىء اعصابا حساسة حطمها ارق الليالي !
اطلقها يا بلبل .. غن لي !
فرفيقنا الفجر لاه عنك وعني . »

واسمعها في قصيدة فراغ :

« غريقة انا ، في بحر من جليد
احس قشعريرة تهز مفاصلي
وتستقر في قلبي رجفانا ساخرا
احس فراغا يطبق علي
ويخمد انفاسي ... »

ان شاعرتنا على حق ، فقد توجع قبلها الكثيرون ، حتى أقدس القديسين ، من ألم الوحشة المريرة ورهبة الفراغ المكشر القاتم .

وفي « ضلال » تبلغ ادفيك الذروة اذ يلج بها الشوق في الليل ، فتعود الى قلبها تنهره قائلة :

« كف عن خفقانك ، يا قلب ، حرام عليك !
لقد اوجعتني ، لقد اضللتني !!!
أحب جديد يترعرع بين جنبيك
اصرعه الان قبل ان يقوى هو عليك
اما ترى ... ويحك .
الخاتم الذهبي .. على اصبعه ؟! »

هذا ويبدو لي ان الشاعرة بين قبضتين قريتين يصعب عليها الانفلات منهما ، اولهما ، اخلاصها لزوجها الذي قضى في عمر البطولة ، فاسمعها تناجيه بقصيدة « غموض » قائلة :

واحمد ربي ، الذي زرعك في قلبي هكذا ،
حتى امتدت جذورك وتشابكت في عروقي
وامتزج ماؤها بدمي ...

والسبب الثاني حبها لولديها وفرحتها الكبرى بهما ففي « برعمة » تقول لابنتها :

وذكرت يوم زحلت عن قلبي ، حفنة من قلبي
فاستفاق في شعور رضي ، ومع قيثارتي غنيت
لعينيك فرفطت اغنياتي نجوما وفراشات !

وتقول لابنها في قصيدة « امل » :

أيشرق في قلبها من جديد ،
امل ريان اخضر
أيعود حبيبها يخطر في الدار
بعد فراق مضن سحيق
فتنعم بطلته ، ملء العين .. ملء القلب
في شخص هذا الصغير الغالي ـ صغيره ؟

هذا بعض ما في ديوان « بوح » وابرز ما فيه هو سمو الأخراج ، فالشاعرة فنانة اصيلة ، عالمة بخفايا الالوان وسحر التركيب . ففي كل قصيدة امتداد وعظمة يوشحها جميعها الجمال ، الجمال الذي يقدم للذوق اسمى اللذة ويبعث في النفس طمأنينة تختلف عن الشعور الموقت الذي يثيره التسامي وحده .

الجامعة الاميركية ببيروت **يعقوب حوراني**

كتاب الديارات

تحقيق كوركيس عواد ــ طبع في العراق

أتاحت لي الظروف منذ اعوام ان اطلع على كتاب الديارات للشابشتي وهو مصور بدار الكتب بالقاهرة . واعجبت بهذا الكتاب ، وعجبت ، لم لم ينشر مطبوعا محققا ، ثم علمت ان الاستاذ كوركيس عواد معنى باخراجه وتحقيقه

ومضت الايام والاعوام ، ثم جاءت الى القاهرة نسخ مطبوعة منه بتحقيق الاستاذ كوركيس . وفي هذه الايام بدا لي ان ارجع الى الكتاب . والحق ان الاستاذ قد عني به من الناحية العلمية والتاريخية والشروح اللغوية وتنسيق الفهارس عناية لا ينكر فضلها انسان . والذي يلقي نظرة عليه يبهره اطلاع الاستاذ كوركيس وغزارة علمه واخراجه للانباء والاخبار والشعر ، وتراجمه للاعلام من ادق المصادر واعمقها مما ينبني على معاناته للكتب العربية وتصنيف ما تحتويه من جزازات دقيقة وافرة .

اما اخراج الكتاب من الناحية الادبية والشكلية ففيه ويا للاسف قصور كبير . طباعة خلت من العناية وكلمات خلت من الضبط ، وشعر ــ وهو الاهم ــ لم يعن بتقسيمه واقامة اوزانه وضبط الفاظه . ويبدو ان الهمزات ترك الخيار في وضعها وحذفها للطباع . وتلك ظاهرة تصدم القارىء فيجميع صفحات الكتاب ، ولا اعني بذلك ما في الهوامش وهو كثير بل الذي اعنيه هو صلب الكتاب .

وهذه هي بعض نماذج لما فيه : في ص١٤ :

ليلة لم تكــن سوى قصر اللية فيها عيب ولا تقصـير

علق عليه بما يأتي : « هذا البيت مضطرب »

مع ان البيت في تقسيمه اولا خطأ ، ومع ان البيت يستقيم ضبطا وكتابة هكذا :

ليلة لم تكــن ــ سوى قصر الليلة ــ فيها عيب ولا تقصير

واذن فالبيت غير مضطرب . ومعناه واضح ، اي ان الليلة لا عيب فيها ولا تقصير سوى قصرها . واذا اردنا ان نكون الحكم ضبطا قلنا : ليلة لم يكن ــ .... الخ . وفي ص ١٨ مثلا :

تذكرت دير الجاثليق وفتية بهم تم لي السرور واسعفا

وهذا البيت غير مستقيم الوزن ، وصحة استقامته كما يلي :

تذكرت دير الجاثليق وفتية بهم تم لي [فيه] السرور واسعفا

وانظر امثال هذه الاخطاء في الابيات الناقصة او التي لم يعن بتقسيمها من ناحية الصدر والعجز او التي حدث فيها خلل بسبب وضع الهمزة او تركها في الصفحات التالية : ص٢٠ وفيها ستة مواضع في ستة ابيات ، وص٢١ وص٢٨ و٣١ و٣٨ و٤٠ و٤٢ و٤٣ في بيتين و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ في ثلاثة ابيات و٤٨ في بيتين و٤٩ و٥٠ في ثلاثة ابيات و٥١ و٥٢ في بيتين و٥٣ و٥٥ و٧١ في اربعة ابيات و٧٤ في بيتين .

وهكذا الى آخر الكتاب فيه بعد ذلك خلل او خطأ في التوزيع في اكثر من خمسين بيتا .

ومن الامثلة على الخطأ في ص٢٩ سطر ٩ :

« طرق احمد بن يوسف الكاتب اسحق بن ابراهيم .. الخ . وفي الهامش « هو المعروف بابن الداية المتوفي سنة

٣٤٠ هـ (٩٥١) أديب كاتب .. الخ . وذلك خطأ بالغ فأحمد بن يوسف الذي ذكره الاستاذ كوركيس توفي ٣٤٠ ابن ابن الداية وليس ابن الداية ، فابن الداية هو ابوه يوسف بن ابراهيم النحاس لانه ولد داية ابراهيم بن المهدي .

وعلى كل حال فالذي ذكره الاستاذ كوركيس متوفي ٣٤٠ هـ في حين ان اسحق بن ابراهيم المذكور في الاصل متوفي سنة ٢٣٥ هـ : راجع الهامش (٧) ص٢٢ والهامش (٣٠) ص ٨٠ . ولا يعقل انه اجتمع به وهو في بطن امه، او اجتمع الثاني به وهو في قبره . واذن فالمراد بأحمد بن يوسف هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب الكوفي المتوفي سنة ٢١٣ كان من افاضل كتاب المأمون « راجع ترجمته في معجم الادباء وتاريخ بغداد » .

ومن الامثلة على الفهم الخاطيء في ص ٥٧ :

ازاد علي ان يقول قصيدة — بمدح امير المؤمنين فادنا

« بالدال المهملة »

فقلت له لا تعجلن باقامة — فلست على ظهر بغال ولا انا

وعلق عليه في الهامش (١) اد الامر : أثقله وعظم عليه . وفيها خطأ مطبعي وصوابه اده الامر . مع ان صواب البيت :

ازاد . . . . . . بمدح . . . . فاذنا

بالذال المعجمة وذلك لان علي بن الجهم مدح الخليفة بقصيدة مطلعها :

الله اكبر والنبي محمد — والحق ابلج والخليفة جعفر

فقال فيه الشاعر البيتين السابقين « ازاد علي . . الخ» انظر مثلا ص ١٨٨ ذيل زهر الاداب وانظر الموشح للمرزباني وكذلك كتاب الشعراء مخطوط بالمكتبة التيمورية .

ومع هذا فان البيت الثاني « فقلت له لا تعجلن باقامة . . الخ » صريح من هذا المعنى ، وفوق ذلك فان البيتين نسبا لابي العيناء ايضا وليراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٩٧ فقد كان هذا الكتاب من مراجع الاستاذ كوركيس.

على انني كنت نقلت من الديارات المصور وهو طبق الاصل مما حققه ان الرواية للبيت هي : « اراد بن جهم ان يقول قصيدة .. الخ فكيف غير الاستاذ كوركيس رواية الشطر مع انه صحيح ويتفق مع رواية ابن المعتز له في طبقات الشعراء .

ومن الامثلة التي فيها خطأ متوال في سطرين ما ياتي:

في ص ٥٦ سطر ٩ – ١٠ : « علمت ان محمد بن عبدالله احسن بن عمرو بن بحر وابا عبدالله احسن بن ابي عثمان ، ولكن الجاحظ أحسن من ابي العيناء . . . »

معلوم ان ابا العيناء اسمه محمد بن القاسم . انظر ص ٦٠ من الديارات وانظر ص ٥٢ الهامش . واذن فما في الاصل « علمت ان محمد بن عبدالله » هو خطأ وصوابه « محمد بن القاسم » وصواب الجملة بعد « احسن من عمر بن بحر . . . احسن من ابي عثمان »

وقد غير الاستاذ كوركيس جملة « وابو عبدالله احسن الخ » فجعلها « أبا عبدالله » بالنصب مخالفا بذلك الاصل وقد أشار في الهامش الى انه غايره قائلا « ان ذلك هو الوجه » ولم يعلم ان حرف التاكيد « ان » اذا استوفى خبره جاز العطف عليه مع اسمه بالرفع ، وليراجع كتب النحو وليراجع التفسير في قوله تعالى « ان الله بريء من المشركين ورسوله » واذن فليس الوجه ما أثبته الاستاذ كوركيس بل هو احد الوجوه . وان ما في الاصل صواب.

ومن اعجب الامثلة ما ياتي ص ١٢٢ :

وانهار تسلسل جاريات — يلوح بياضها كاللؤلؤتان

وعلق في الهامش بما ياتي : « كذا .. وهو ما اقتضته القافية »

والواقع انه أخطأ في التعليق والكتابة وكسر البيت والصواب هو :

وانهار تسلسل جاريات — يلوح بياضها كاللؤلؤان

يقال في اللغة لون لؤلؤان أي لؤلؤي أي يشبه اللؤلؤ في صفاته ، فالكلمة ليست مثنى حتى يحتاج الى ان يعتذر بقوله « وهو ما اقتضته القافية » وليس فيها تاء تخل وزن البيت .

ومن الامثلة الطريفة ما ياتي :

ص ١٧٣ : « وكتب اليها وقد كانت هجرته : يا سيدة، عبدها والله ان الله بلغك باطل لكنني اعترف به » وهذا كلام لا يفهم مطلقا وعلامات الترقيم اخلت به . والصواب هكذا : « يا سيدة عبدها والله ان الذي بلغك باطل ، لكنني اعترف به » .

★★★

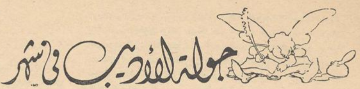
يؤسفني ان الكتاب حافل بالاخطاء والاهمال في حين ان الكتاب قصد به مؤلفه الى الادب اكثر من المعلومات فلماذا تهمل الناحية الادبية في الكتاب ولا يعنى بها العناية الحسنة، ولماذا لا يعرض على اديب يستطيع ان يقيم وزن الابيات والى خبير في المراجعة ليصحح الاخطاء وهي تعد بالمئات والى محسن للاعراب حتى يتجنب المزالق النحوية الكثيرة التي وقعت فيه ؟

ارجو حين يعاد طبعه ان يفعل فيه ما أشرت اليه . واني على استعداد لتقديم ما يمكنني وتوضيح بعض ما غمض واضافة بعض المراجع في الهوامش .

ولي ملاحظة أخيرة على المنهج الذي سلكه الاستاذ كوركيس في صلب الكتاب . وهو اقحام بعض الزيادات من مصادر اخرى واذا جاز هذا فيما كان منقولا من الاصل فانه لا يجوز اذا كان من كتاب سابق كالاغاني ما دام الكلام في الاصل مشتقا . ومع هذا فانه ترك أشياء لم يقحمها كانت اولى بذلك لانها منقولة من الاصل وسيرى ذلك كل من راجع الكتاب .

القاهرة

عبد الستار أحمد فراج
المحرر بمجمع اللغة العربية



داء الشعر ... حول قصيدة «ابو ماضي»

•

في حداثتي ـ كما اذكر ـ لم تكن تمر قصيدة كالتي ارسلها «ابو ماضي» في يوبيل «سميره» دون ان تثير ضجة، ودون ان تدفع بين يديها وتسحب خلفها امواجا تشعر الناس بحركة الحياة، وحياة الادب بوجه اخص.

ترى هل تاخر الشعر فلم يعد يجاري حاجة الناس، ولا يعبر عن مشاعرهم، فهو من اجل هذا لا يثيرهم؟ أم تقدم الناس في هذا الشوط من اشواط التطور فحجموا على الاستجابة لدوافع الشعر ودواعيه لانهم سبقوه؟ أم اختلفت المقاييس، وتبدلت القيم فساء ـ من اجل هذا ـ التفاهم بين الشعر وبين الناس، وكان علينا ان ننتظر وقتا ما حتى يتكامل التطور الحاضر، وتستقر الحياة على وضع جديد ينشيء في الشعر دوافع جديدة، ويركب في الناس رغبة تنفعل بهذه الدوافع الجديدة، او يلغي الشعر الغاء، ويرسم مكانه فنا اخر ينبض بحاجات القلوب والعقول وفق المنهج الجديد؟

ربما كان هذا او لبعضه اثر في هذا الوجوم المخيف المحيط بالشعر في هذه الايام، ولكن هناك واقعا أصرح من هذا يطالعنا من جانب الحياة بانشغال الناس عن هذه المتارف بخبزهم اليومي، وهموم غدهم المجهول، وفواجع اندحاراتهم في كل الميادين، ثم يطالعنا من جانب الشعراء بوقوفهم حيث كانوا، بينما الحياة تتقدم بسرعة الضياء سائرة بحكم قوانينها الحتمية التي لا ترحم المتخلفين، ولا ترفق بالعاجزين والضعفاء فلا تنتظرهم.

كثير ممن ادركناهم مبعثا للحركة والضجيج ماتوا. لا اشك بموتهم وان كانت صدورهم ما تزال تلهث، ولكني اظلم ابا ماضي، بل اظلم نفسي حين اعده من اولئك الشعراء المنطفئين، فصاحب «الطلاسم» يدار بموهبة نامية تغلي فيها قوة ديناميكية ضخمة، فهو منها ابدا في شباب طليعي مجدد باعث على التجديد، مبدع باعث على الابداع، وليس هذا كثير على شاعر يعين هدفه، ويعيش عصره، ويرافق حركاته بروح انساني يعير التحولات الارتقائية اهتماما جريئا سمحا منفتحا لا جبن فيه ولا عصبية ولا انكماش.

لن اعود بك الى شعر «أبي ماضي» كله لاثبت لك انه شاعر طليعي ابدا، فقصيدته التي اوحت هذه الكلمة تقول ذلك (1). تقول انه شاعر اليوم، كما كان شاعر امس فما لها ـ اذن ـ لا تثير ضجة، ولا تدفع بين يديها ولا خلفها امواجا تشعرنا بحركة الحياة؟

احب ان الح في الجواب سببا أعمق من الاسباب التي قدمتها بالتساؤلات السابقة.

محنتنا باعراض «الانتقال»، وبامراض الخوف من التطور، وبمشاغل القلق ومشاكله، امر قد لا يحتاج الى بيان، وهي محنة مركبة معقدة تعيق حقا عن سماع الشعر الحي، حق السماع، ولكن هذا وحده لا يبرر كل التبرير الانصراف عن شعر يواكب الحياة، فلماذا لم تثر قصيدة ابي ماضي ما ننتظر ان تثيره؟

في معرض الجواب عن هذا السؤال ذكرت كلاما لسيجمند فرويد في كتابه الجليل: «مقدمة في التحليل النفسي» اداره خلال حواره التعليمي البارع، على توضيح فائدة «الكلام» وحسن أثره في شفاء المرضى، فالتحليل النفسي «مركب كلامي» صرف لا قرابة بينه وبين العقاقير والحقن والاقراص، ولا صلة له بالمشارط والمسابير والكهرباء.

سخر فرويد بلسان محاوره من تأثير الكلام، وعد هذه الطريقة في المعالجة خرافة. ثم رآها دعوة الى الايمان بالسحر، ثم قال:

«هذا عين الصواب. فهو ـ التحليل النفسي ـ سحر لو امكن ان ينتهي سريعا، ذلك لان من خصائص ما يدعى بالسحر ان تظهر نتائجه سريعا، ويمكن ان يقال: ان نتائج السحر تمتاز بانها تقع بسرعة مفاجئة، على ان العلاج بالتحليل يستغرق شهورا، بل سنوات في بعض الاحيان، فان كان هذا ـ يعني التحليل ـ سحرا فقد افقده بطفره كل اعجاز السحر، والحق اننا لا نريد ان ننكر خطر الكلام والالفاظ، فالالفاظ اداة قوية جبارة، هي الوسيلة التي نعبر بها عن مشاعرنا، وهي السبيل الذي نؤثر به في غيرنا من الناس، الكلمات يمكن ان تحقق خيرا كثيرا، وتوقع شرا كبيرا، وليس من شك انه في البدء كان الفعل، ثم اتى القول بعد ذلك، وكان من دلائل التقدم الثقافي في بعض الاحوال، ان تحولت الافعال الى اقوال، وفوق هذا فقد كانت الكلمات اول الامر عجبا، كانت افعالا من افعال السحر، وما زال للكلمات جانب من سطوتها القديمة (2).

المفروض انني سقت هذه الكلمة بطولها كي أفيد منها للجواب على سؤال طرحته، وما سقتها لاستشهد فقط على نفع الكلام بذاته، بل لاشير مع ذلك الى الجواب الحقيقي ... الى ان الجمعيات السياسية والثقافية والاجتماعية منتنا بما يشبه الهستيريا والقتنا في الطريق حيرى نشك باشياء كثيرة تجيء انفسنا في طليعتها، ويتناول الشك فيما يتناول من اشيائنا ادابنا، والشعر منها على الاخص. الشعر بخاصة تضرر بهذه الهستيريا، اذ لم تكتف من خذله سلبا حتى خذلناه ايجابا، اي لم نكتف باهماله حتى بشرنا بعجزه وقصوره. وبهذا خسر الشعر الكلام سلاحا، وخسره دواء.

ونستخلص مما تقدم ـ مع الاعتراف بفساد واقعنا وبتأثيره السيء في ركود الشعر ـ ان لهذه الهستيريا يدا في الاجحاف على الشعر ونصيبا من الممالأة عليه، ذلك ان هذه الهستيريا ازاغت ابصارنا، فاذا نحن نرى النقص اشد نقصا مما هو، وقد لا تقع عيوننا على نقص غير نقص

1) الاديب عدد مارس ١٩٥٥

2) ـ مقدمة في التحليل النفسي ص ٤٣ ترجمة اسحاق رمزي طبع دار المعارف المصرية.

انظارنا ، ثم يجرفنا الزيغ هذا ، فلا يكتفي من ارسالنا في خط الوهم بوضعنا حيث تنقلب الحقائق فتصغر او تكبر او تتبدل في حسنا ، حتى يحيد بنا عن تلمس الطرق المؤدية الى شفائنا وشفاء مريضنا ، او شفاء ما نتوهم انه مريض من مظاهرنا . الشعر هنا هو المريض . واعني انه هو المتهم بالمرض ، فاذا كان به انحراف فانه لا يبلغ الحد الذي يصوره وهم الهستيريا ، وهو انحراف اذا سلمناه يزول بوصفة يسيرة معروفة في طب الكلام ، ولكن وهم الهستيريا يحول بيننا وبين هذه المعرفة البسيطة ، وبهذا يتركب داء هذا الوهم فينا ويزدوج .

ومن بدائه القول اننا ، نحن الكتاب والادباء مسؤولون عن هذا الحيف ، بداهة اننا اصحاب الاختصاص وذوو الكلمة المسموعة في هذا الموضوع ، فليس الكلام الذي يعالج مريضا ، كالشعر غير كلامنا نحن .

ولا تنس سحر الكلام وسطوته ، فالكلام الذي يطبع « المحلل » ، وينقاد له في انهاض النفس من كبواتهـا ، واعفائها من شوهاتها ، وانقاذها من عاهاتها . ثم يزيد فيطيع المحلل ، في تطهير الجلد من لوثات الاحتقان والبصـق وغيرها ، لا يجمع على الناقد حين يستخدمه لانهاض الشعر ودفعه مع الحياة يماشي اغراضها جنبا الى جنب ، ويومئذ لا ينتفع الشعر وحده ، بل تنتفع الحياة كلها بسلامة لسان من أعذب السنتها ، ونشاط فن من اكرم فنونها . ولعل الاصح ان نقول : ننتفع يومئذ بصحتنـــا التي هي اساس الصحة في حكمنا على المفاهيم والاشياء .

وفي هذا الصدد ينبغي ان نذكر « عقدة نرسيس » المتحجرة في نفس كل منا تحجر العجب والغرور والانانية ، فانها ــ كما اتصور ــ ذات اثر في المؤامرة على خنق الشعر هذه المؤامرة القائمة على اسباب متنوعة كثير منها خفي غامض مجهول ، ولا اظن عقدة نرسيس ، غريبة عن هـذه الاسباب ، الا تجعل هذه العقدة الاديب ضنينا على زميله بالتقويم ، لكانه حين يزيد غيره ينقص هو ؟!

الشعر فن حياتي أصيل ، وهو فن يواكب حياتنا اليومية مواكبته للحياة في مختلف اطوارها الماضية ، اما هذا الوناء والعجز اللذان نراهما يعترضان نموه ، ويمنعانه عن مطابقة الحياة على وجه اكد وافضل ، فليسا هما مـن طبيعته في شيء ، وانما هما من الظروف المحدقة به ، هما منا نحن ، من انتكاستنا التي تصرفنا عن الانتفاع بحركـة التاريخ ، ان لسوء نظرتنا الى الاشياء نصيبا كبيراً من عجزه ووناته ومن الحكم عليه بالعجز والوناء . فلو قارنا لم نجد قدماء الشعراء خيرا من عباقرة شعرائنا المعاصرين في مجاراة كل فريق لعصره ، ولم نجد الشعر القديم خيرا من الشعر الحديث ، لولا اننا تعودنا تقدس القديم ، فتركنا ــ جريا على العادة ــ لمن بعدنا ان يقدروا شعرنا الحاضر الـذي نتجاهله ، وشعراءنا الذين خانهم الحظ فعاصرونا .

كل ما يجعل الشعر شعرا حيا ، ناميا معبرا عــن الحياة : حقها وخيرها وجمالها وصعودها نجده في شعر ابي ماضي ونفر غير كثير حقا ، ولكنهم احياء يبثون فـن « الضاد » في الشرق والغرب ، فهم شعراء وبشعرهم شعر لا ينقصه الا طب الكلام ، ولا اعني بطب الكلام الثناء المجرد الاجوف ، بل اعني النقد المؤسس عـلى صحة التقويم ، وفلسفة التربية . والنقد على هذا الاساس ينهض عـلى دعامتين : احداهما الحرية بمفهومها العلمي القائم عـلى صخرة الموضوعية ، والثانية المكافاة وتشمل هذه التقدير المعنوي وضمان العيش .

ذلك هو الطريق . قد ابدو خياليا بهذا الاقتراح ، ولا سيما في الشق الثاني من الدعامة الثانية ، بداهة ان ضمان العيش جزء من عمل الدولة ، وليس هو من عمل النقاد والمتكلمين ، وان ضمانه جزء من عمل دولة اشتراكية ، على حين اننا اعضاء مجتمع ينبت راسه في مرحلة راسماليـة ، وتتحرك ساقاه في مرحلة اقطاعية .

هذا صحيح ، وبرغم صحته لست خياليا ، فالكلام : كلام النقاد الواعي ذو طاقة سحرية ، انه لا يقل تاثيرا عن كلام المحلل النفساني ، انه يعيد الى الكلمة قدسها وتاثيرها ، فيدفع الشاعر الى الابداع والتجويد ، ويدفع الابداع الشاعر الى الخروج باغانيه من قلوب الجماهير وحاجاتهم ، ونماذجهم والامهم ، وتدفع اغانيه الطالعة من نفوس الناس هذه حواس الناس الى تحقيق هذا الاقتراح ... الى اخراجه من عالمه الخيالي الى عالم الواقع الملموس .

سيظـــل الشعر متاخرا ، والشعراء متخلفـــين ، والاقتراحات خياليه ، حتى نعتمد خطه ، فاذا خرجنا من عفويتنا وفوضويتنا الى نظامية التكنيك ، واخذنا انفسنا باسلوب المنهج تكاتفت اعمال الحياة ، وانسجم سير الاحياء ويومئذ لا يخطر ببال احد ان اقتراحا مثل هذا يمكن ان يكون خياليا .

صدر الدين شرف الدين

« تلغراف بيروت »

هانز كريستيان اندرسن

احتفل في الدانمرك بذكرى مرور مئة وخمسين عاما على ولادة الكاتب الشهير هانز كريستيان اندرسن الذي غذى الادب الاسطوري العالمي بروائع خالدة من الحكايات الشعرية الخيالية التي تقف في مصاف « الف ليلة وليلة » و « بوسيه الصغير » عند مختلف الامم والشعوب .

وبالفعل ، فان هذا النوع من الادب لم يعـرف ابـدا الحدود او السدود التي رسمتها الشعوب فيما بينها .

وهكذا فان العالم يحتفل بذكرى هانز كريستيـان اندرسن هذه الايام كما يحتفل بذكرى الشوامخ الذين غذوا مكتبة الادب الرومانتيكي الشعري بحكايات لا ينضب خيالها .

وهنا قد يتساءل البعض عن سر « عالمية » هذا النوع من الادب ؟

ان ذلك قد يعزى الى كون كبار مؤلفي حكايات الجن ، عرفوا ان يجدوا وطنا مشتركا لدى الجميع ، هو وطن الطفولة .

وليس يهم كثيرا بعد ذلك الديكور ، او الازياء ، او التعبير ، لان في حكاياتهم لغة سحرية يقدرها الجميع كما استطاعوا بعالمية الخيال ان يحيوا الاشياء ويعطوها الصور المختلفة ، ويغذوا ليالينا ، ومن منا يستطيع ان ينسى ذلك .

ان حياة اندرسن تشبه الى حد بعيد احدى حكاياته .

فلقد ولد في عائلة فقـيـرة ، وكم كان يلذ له وهو طفل ، الوقوف طويلا امام مسرح صغير صنعه وصنع شخصياته المختلفة بيده من الخرق البالية وقطع الخشب العتيقة .

وحين بلغ الرابعة عشرة من عمره حاول ، بغيه الحصول على ما يقتات به ، ان يعمل منشدا ثم راقصا ، ولكن احدا لم ياخذ بعين الجد محاولات هذا الغلام الطافر الذي كانت تبدو عليه بوادر الذكاء والخيال الواسع . وهذا ما حمـل احد الاشخاص الذين اعجبوا بميول هذا الغلام الى ان يتوسط فيحصل له على منحة من الملك .

وقد كان من المنتظر ان يصبح اندرسن اليافع تلميذا ناجحا ، يسلك سبيل الدراسه كغيره ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، فقد كان كالطير البري الذي يعض القضبان .

وهنا يشير بعض النقاد الى ان قصه « البط الصغير المشاكس » قد تشبه الى حد ما هذه الفترة من حياته ، حيث يصف بطريقه مؤثره جدا مصير طير مائي صغير تعرض لصعوبات جمه الى ان تبين اخيرا انه ليس من فصيله البط بل من فصيله الاوز الطويل العنق .

ان فن اندرسن يقوم على توازن بديع بين الغرائب والوقائع بين السحريه والساعريه ، وهو لا يفصح ابدا عن تأثراته . بل تلتقط يده الافكار ليفما تأتي وهي صوره ، ثم تدعها تروح .

واخيرا — ولعل هذا ما يجعله محببا لدى جميع الشعوب — فانه يعمل مع جماعه من الشرفاء هم بمثابه الكنز الخير ...

فهناك اللوح الخشبي المنزوي في الريف او الجبال ، والخزانه القديمه ، وشله الصوف ... انها تؤلف ادواته التقليديه في معظم قصصه . اما الحوار ، فهو من كلمات في منتهى البساطه تنطوي على حجج يفهمها الجميع بدون عناء .

وثمه الشفقه التي لا تدعو الى الرثاء ، والنقد الذي لا يتضمن المرارة ، ولدى النهايه يختم حكاياته على نحو من الابهام الذي يلتبس حتى على القارىء الرصين .

تلك هي مقومات القصه عند اندرسن ، فهو ذلك الكاتب العابث المسلي ، الذي يحيل الوقائع الى خيال ، وينتقل بالقارىء كما تنتقل الاحلام اللذيذه بالنائمين .

ويبدو ان اندرسن ظل طوال حياته ذلك الشغوف بالدراسه ، المغرم بوثبات المرح ، المفعم بروح من الفضول المتعرج . ولقد زار في انكلترا ديكنز ، ويقال بان الكاتبين اعجب جدا ببعضهما وتبادلا الرسائل مدة من الزمن .

وحضر اندرسن مرات عدة الى فرنسا حيث اجتمع بلامرتين، وفيكتور هوغو والكسندر ديماس، ودي راشيل. ولكن المصادفات لم تجمعه بجيرار دي نيرفال الذي كان كثير الشبه به من حيث تمتعه بحساسيه الحلم وموهبة منح الحياة للجماد . وهذا الابهام « الارادي » في عدم اعتبار الزمن ، ولكن نرفال قام بلعبة خطرة ، فتخطاه في هذا المضمار واصيب بالجنون .

واخيرا فان اندرسن كان يمتاز بصفة نادرة بوصفه كاتبا خصب الخيال رومانتيكيا يحلق مع الاحلام والاساطير القديمة ، ذلك بانه كان من اشد المعجبين بالتطورات الالية الطارئة على عصره، فلقد غنى التقدم الفني، واشاد بالقطار الحديدي ، واعجب اشد الاعجاب بطريقة التنوير بالغاز عندما شاهدها في باريس سنة ١٨٦٧ وكان يقول ان عصرنا بالفعل عصر الحكايات الجميلة ...

رحم الله اندرسن الذي ادرك على الرغم من مادية العصور الحاضرة ان متعة الغرائب والعجائب لا تفنى ، وسيظل للانسان هذا الجانب الروحي الذي يحمله الى عالم غير عالمه ، يغذي به خياله المرهق المكدود على الدوام .

أديب مروة

« الحياة »

انضباط الترجمة في مصر وانفلاتها في لبنان

انتهى الدكتور طه حسين من حصر الروائع العالمية التي تترجم الى العربية ، وقد فرغ من اختيار الاشخاص الذين سيعهد اليهم بترجمة اعمال شكسبير

هذا الخبر الذي حملته الينا صحف القاهرة ، يحتاج الى توضيح اوجزه بكلمات . فقد سبق للدوائر المصرية المسؤوله ، ان كلفت الدكتور طه حسين الاشراف على ترجمة الروائع العالمية الى العربية . فعكف الدكتور على مهمته .. وانتهى سريعا من حصر الروائع ... وفرغ من اختيار الاشخاص الذين سيعهد اليهم بترجمة اعمال شكسبير ..

ويهمني هنا من الامر ، ان اشير الى نقطتين مهمتين .

الاولى ، ان حركة الترجمة التي قطعت في مصر شوطا بعيدا في طريق الانضباط ، بعد ما عرفناه من انفلاتها في النصف الاول من هذا القرن ، توشك اليوم ان تتركز على اسس علمية صحيحة ، ووفق توجيه ثقافي سليم .

وما تكليف الدكتور طه حسين بمهمته هذه ، الا خطوة جديده في هذا السبيل ، نأمل ان تعود باجل الفوائد ، واشهى الثمار ، لما نعهده في اديبنا الكبير من جداره وتجرد وجراه ، كفيله جميعا بجعل اختياره الافضل والاوفق ، في مجال الحكم على الروائع العالميه الجديره بان تترجم الى العربية ، وعلى الادباء المرشحين للاضطلاع بهذه الترجمات.

اما النقطة الثانيه التي اود التوقف عندها ، فتتعلق بحركة الترجمة في لبنان .

ولئن اقتضاني الانصاف ان اسجل ، ههنا ، لبعض المهتمين بشؤون الترجمة ، فضلهم الكبير في خلق هذا النشاط الخير الذي استهدف في السنوات الاخيرة نقل الكثير من الروائع العالمية الى لغتنا ، وتلقيح تراثنا بنتاج قيم متنوع المصادر والاتجاهات لن نلبث ان نجني فوائده.

لئن اقتضاني الانصاف ، قلت ، ان اسجل ذلك ، فلا ارى بدا من الاشارة الى ما يعتور هذه الحركه من شوائب خطرة ، اخشى اذا ما طال الاغضاء عنها ، واستشرى امرها ان تنقلب معها الترجمة شرا على تراثنا الفكري والادبي .

واولى هذه الشوائب الخطرة ، ما بدأنا نعانيه من « انفلات » في الترجمة ، كان رائد ابطاله التجارة من اسهل السبل ، فيما الترجمة ، ولا سيما منها الادبية والعلميه ، عمل فكري مرهق ، لا يقل ارهاقا عن الخلق والتأليف .

وهكذا رأينا في الفترة الاخيرة ، الى جانب الترجمات الرصينة الناضجة ، موجة طاغية من الترجمات الرخيصة التي وصفها صديقي الاستاذ حسين مروه من مدة ، في « قافلته » ، بانها « ارتجال واسراع واستباق أهوج لنشر الفج من التأليف والمترجمات تحت ستار التقدمية » ...

وادهى من ذلك ، ما وقفت عليه اخيرا من استغلال بعض الجهات لنشر ادب معين عن طريق الترجمة ، وعلى أيدي « مترجمين » معينين ، ارتجلوا انفسهم ادباء في ليلة « ليس فيها ضوء قمر » وجل عدتهم من العربية معلومات مدرسية محدودة بادية الهزال في ما يكتبون ويترجمون ، ورائدهم الوحيد ان يتقاضوا لقاء « ترجماتهم » اجورا باهظة تدفعها دار كبرى للنشر في باريس !

وبعد ، الا يرى القارىء اننا في حاجة الى ضابط يحد من موجة الترجمات الرخيصة « الفجة » ، ويرفع عنا وصاية بعض الجهات المغرضة ، ضنا بمصلحة الانتاج الادبي ، وحفاظا على مستقبل الادب العربي في لبنان .

فانى لنا بدكتور طه حسين اخر يعهد اليه « بحصر الروائع العالمية التي تترجم الى العربية ، ويختار الاشخاص الذين يعهد اليهم بترجمتها » .

اميل داغر

« الحياة »



١٨ مارس ١٩٥٥ – احدث اذاعة ونشر وثائق مؤتمر يالطا السرية ضجة عالية فهذه الوثائق اخطر ما وضع في الحرب العالمية الثانية وقد علقت الصحف الاوروبية على نشرها بقولها انه تبين ان الرئيس روزفلت كان يقدم التسهيلات لروسيا على حساب الدول الغربية الحليفة .

– توفي في لوزان الامير محمد علي ولي عهد مصر السابق وشقيق الخديوي عباس

١٩ – عادت البعثة السورية التي يراسها السيد خالد العظم من العراق وقد صدر بلاغ مشترك باتفاق الجانبين السوري والعراقي على العمل من اجل اعادة المجموعة العربية الى سابق اتحادها .

٢٢ – سافررئيس الجمهورية اللبنانيةترافقه حاشية كبيرة الى روما في زيارة رسمية لايطاليا

– احتفل برفع العلم المصري على قاعدة قناة السويس .

٢٣ – اعلن الرئيس ايزنهاور انه يرى متى تم ابرام اتفاقات باريس بصورة نهائية ان تجري محادثات تمهيدية ترمي الى عقد اجتماع بين رؤساء الدول الكبرى

– رفضت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني فصل المستر بيفان من عضوية الحزب .

– استانف مجلس الامن الدولي النظر بحادث العدوان الاسرائيلي على غزة

٢٥ – اكد الرفيق غروميكو ممثل السوفيات في محادثات نزع التسلح في لندن ان الاتحاد السوفياتي يبحث الان مشروع عقد مؤتمر عام في العام الحالي لاجراء تخفيض عام للتسلح ومنع الاسلحة الذرية .

٢٦ – اعلن الماريشال بولغانين رئيس مجلس الوزراء السوفياتي موافقته على اقتراح الرئيس ايزنهاور الاخير الخاص بعقد مؤتمر للدول الاربع الكبرى .

– تظاهر في بروكسل عشرات الالوف من الكاثوليك احتجاجا على مشاريع الحكومة لتخفيض الاعانات للمدارس الكاثوليكيةوفرض رقابة حكومية عليها وقد سقط مئات الجرحى

٢٨ – اعلنت حالة الطوارىء في جميع انحاء الباكستان وتولى السيد غلام محمد الحاكم العام جميع مقاليد السلطة في البلاد ووصف هذا الاجراء بانه المخرج الوحيد من الازمة الدستورية المعقدة .

٢٩ – قررت الوزارة النمساوية قبول دعوة الرفيق مولوتوف وزير الخارجية السوفياتية للمستشار راب لزيارة روسيا وعقد محادثات حول معاهدة الدولة النمساوية .

٣٠ – اعلن السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية في اجتماع مشترك عقده مجلس الامة قيام الحكومة العراقية والبريطانية بتوقيع اتفاق بانهاء المعاهدة العراقية البريطانية المعقودة سنة ١٩٣٠ وانضمام بريطانية الى الميثاق العراقي التركي اعتبارا من ٦ الشهر القادم .

– ادان مجلس الامن الدولي اسرائيل لعدوانها الغاشم على الاراضي المصرية في منطقة غزة وذلك بتبنيه المشروع الذي قدمته الدول الغربية الثلاث بتوجيه اللوم الى اسرائيل.

٣١ – سافر الاستاذ سامي الصلح رئيس الحكومة اللبنانية الى انقرة

– تجري في القاهرة مباحثات هامة بين الحكومة المصرية والسيد خالد العظم رئيس الوفد السوري والامير فيصل رئيس وزراء المملكة العربية السعودية . وقد وصل الى القاهرة سفير لبنان في وشنطن الدكتور شارل مالك بعد زيارته للعراق .

اول ابريل ١٩٥٥ – وصل الى انقرة قادما من روما رئيس الجمهورية اللبنانية في زيارة رسمية لتركيا .

– صرح الرئيس ايزنهاور انه لا يعتقد ان روسيا تريد ان تشترك في حرب رئيسية في الوقت الحاضر ولا ان تعضد حربا من هذا النوع .

٢ – اذاعت شركات الاخبار ان الامام احمد ملك اليمن قد تنازل عن العرش الى شقيقه سيف الاسلام عبدالله وزير الخارجية وذلك بعد اشتباكات بين الجيش وحرس الامام .

٤ – وقع في بغداد الاتفاق الخاص بين العراق وبريطانيا .

– قدمت الحكومتان العراقية والتركية مذكرة مشتركة الى حكومة الباكستان تدعوانها فيها الى الانضمام الى الحلف التركي العراقي

٥ – قدم السير ونستون تشرشل الى الملكة اليزابيت استقالته من رئاسة الوزارة البريطانية مع استقالة حكومته . وبذلك يعتزل السير تشرشل الذي يبلغ الواحدة والثمانين من عمره الحياة السياسية .

– قدم الجنرال فضل الله زاهدي استقالته من رئاسة الوزارة الايرانية وكلف الشاه السيد حسين علاء تاليف الحكومة الجديدة

– اذاعت وكالات الانباء ان الامير البدر نجل الامام احمد قد استطاع السيطرة على الموقف وفك الحصار عن الامام احمد الذي لم يتنازل عن العرش وقد القى القبض على جميع المتآمرين وبينهم الامير عبدالله .

– صدر بلاغ مشترك تركي لبناني جاء فيه ان السلام والاستقرار في الشرق الاوسط يعدان عاملين جوهريين للسلام والاستقرار في العالم ويستلزمان انماء الصداقة بين لبنان والدول العربية وتركيا ثم يقول البلاغ انه في سبيل بلوغ الاهداف التي عددها ستقيم الحكومتان اللبنانية والتركية اتصالات وثيقة بينهما ومشاورات عند الاقتضاء .

٦ – وصفت الاوساط الرسمية المصرية والعربية السعودية البيان اللبناني التركي المشترك بانه جاء طعنة للميثاق العربي الجديد

– عهدت الملكة اليزابيت الى السير انطوني ايدن برئاسة الوزارة البريطانية .

٨ – ما تزال القلاقل مستمرة في قبرص وقد القيت عدة متفجرات على بنايات تقطنها اسر افراد الجيش البريطاني . واذاع راديو اثينا ان اليونان تطالب بوجوب اجراء استفتاء حر .

٩ – اعلنت الحكومة السوفياتية انها اتخذت الخطوات التنفيذية لالغاء معاهدتي الصداقة المعقودتين بين الاتحاد السوفياتي وفرنسا وبريطانيا بسبب انتهاء جميع البرلمانات المختصة من ابرام اتفاقات باريس لاعادة تسليح المانيا .

١١ – وصل الى موسكو وفد حكومة النمسا برئاسة المستشار جوليوس راب لاجراء محادثات تتناول معاهدة الدولة النمساوية .

– بدات الوفود تصل الى باندونغ باندونيسيا حيث سيعقد مؤتمر الدول الافريقية والاسيوية.

١٢ – وصل رئيس جمهورية لبنان الى بيروت بعد رحلته الى ايطاليا وتركيا

١٣ – يواصل الوفدان الفرنسي والتونسي المكلفان باجراء المفاوضات الرامية الى منح تونس استقلالها الذاتي الاجتماعات في باريس لبحث مختلف النقاط المعلقة

١٤ – وافق مجلس الوزراء السوري على الميثاق العربي الجديد الذي يحل محل ميثاق الضمان الجماعي العربي والذي وافقت عليه مصر وسوريا والعربية السعودية

١٥ – صدر بيان مشترك في موسكو اعلن ان الحكومتين السوفياتية والنمساويةقد توصلتا الى قبول الشروط المتعلقة بعقد معاهدة الصلح النمساوية .

١٦ – صرح السير انطوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية ان مجلس النواب سيحل في ٦ الشهر القادم وتجري الانتخابات النيابية في ٢٦ منه .

مطبعة العمال اللبنانيين – الحازمية
تلفون ٣١٦٧٤